شيخ المجاهدين

محمد مهدي عاكف

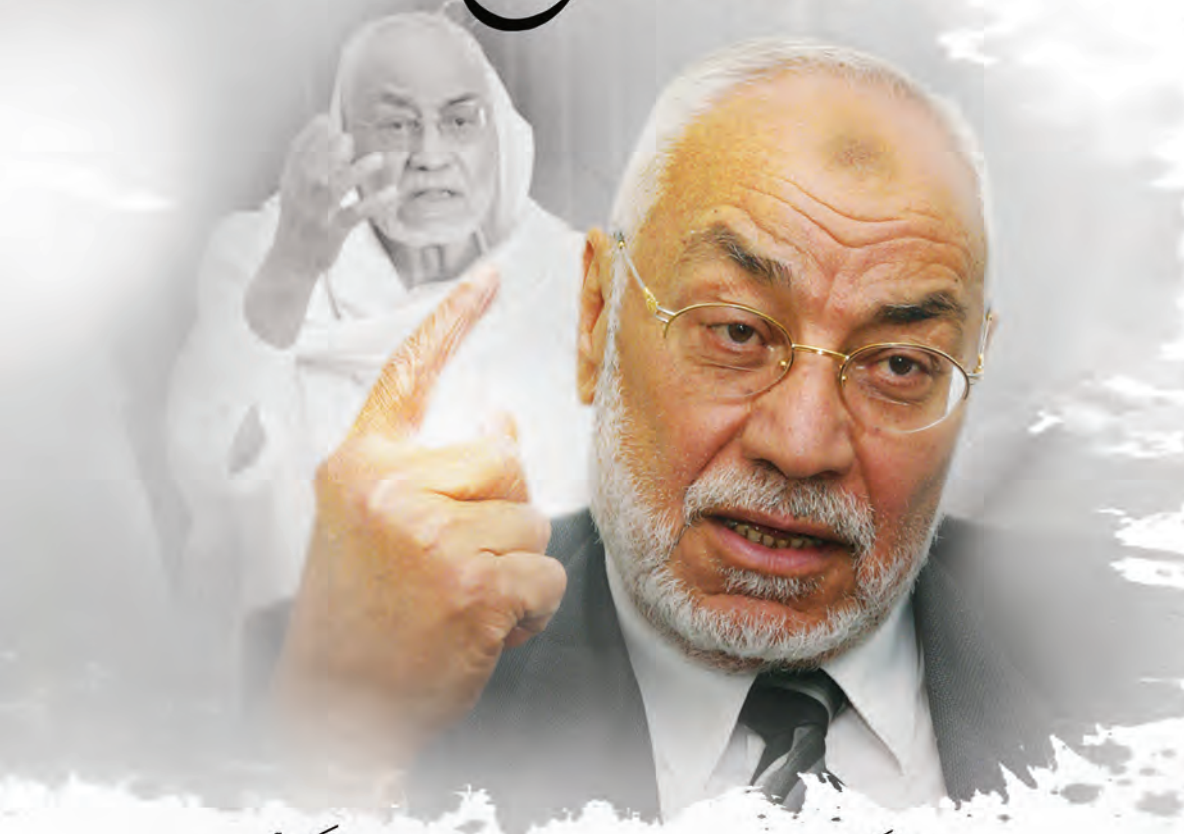

إعداد
أحمد حسن علي

تقديم
صلاح عبد المقصود

محمد مهدي عاكف

شيخ المجاهدين

إعداد

أحمد حسن علي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ
عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ
وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب: 23).

إهداء

- إلى الشهيدين: حسن البنا وسيد قطب
- وإلى الركب الطاهر، الأئمة: حسن الهضيبي، وعمر التلمساني، ومحمد حامد أبو النصر، ومصطفى مشهور، ومحمد المأمون الهضيبي
- وإلى الشهيد المحتسب: محمد مهدي عاكف
- وإلى المرشد الصامد: الدكتور محمد بديع
- وإلى الرئيس الشرعي: الدكتور محمد مرسي
- وإلى كل من قال "لا" في وجه الطاغوت المجرم

أهدي إليهم تلك الصفحات

أحمد حسن علي

مقدمة

بقلم: أ/ صلاح عبد المقصود

وزير الإعلام في حكومة
الرئيس د. محمد مرسي

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 3)

اصطفاء من اصطفاء من اصطفاء!.. ففي هذه الآية الكريمة اصطفى الله المؤمنين الذين أيقنوا بالقلوب، وعملوا بالجوارح - من عامة المسلمين الذين اصطفاهم الله (عَزَّوَجَلَّ) من خلقه أجمعين، وأعزهم بأعظم دين، ثم اصطفى من هؤلاء المؤمنين مَنْ صدقوا العهد مع الله، وبقوا على هذا العهد حتى مات منهم من مات وبقي الأحياء ثابتين ينتظرون مَنِيَّتهم وهم يَعَضُّون على عهدهم مع الله بالنواجذ، فلا تتغير قلوبهم أو تفتر همتهم أو يهتز يقينهم بأنهم منتصرون حتمًا، عاشوا أو ماتوا، وبأن انتصارهم ليس في الظفر بالعدو، وإنما في الوفاء بعهد الثبات على الحق مع خالقهم حتى يلقوه غير مفتونين أو مُبَدِّلين.

ولئن كانت هذه الآية الكريمة قد نزلت في سياق حديث القرآن العظيم عن غزوة الأحزاب، فإن أمتنا لم تعدم على مدار تاريخها العريق هؤلاء المصطفين الصادقين الذين ينذرون أنفسهم لخدمة عقيدتهم ووطنهم الإسلامي الكبير، ويرابطون على ثغوره أسودًا بواسل، يتحدُّون الطواغيت، ولا يرهبون إلا الله، ويظلون على رباطهم حتى يدقّ الشيب رؤوسهم الأبية التي لم توهنها أعواد المشانق المنصوبة في سجون الطغاة، وتتجعد جباههم الشامخة التي لم تسجد لغير الله فيكونون شيوخًا في أعمارهم؛ شبابًا في هِمَّتهم وفُتوّة قلوبهم.

وقد أشرقت في سماء خير أمة في نهاية العشرينيات من القرن الماضي (عام 1928م) دعوة مباركة كانت محضنًا إيمانيًا وتربويًا لكل من انضووا تحت لوائها الوارف، وتعلموا في رحابها أبجديات العمل لدين الله، والجهاد في سبيله، ومقاومة الظلم، ونصرة الحق، والشجاعة في مواجهة الأنظمة الفاسدة.

أشرقت دعوة الإخوان المسلمين؛ أعظم جماعة دعوية وإصلاحية تهتم بالفرد مثلما تهتم بالأمة كلها، وتعمل للوطن كما تعمل لكل قطر إسلامي.

كانت هذه الدعوة نبعًا فياضًا بالخير والإصلاح، وفي ربوعها الطاهرة نشأ الصادقون ورثة الرجال الذين امتدحهم الله (عَزَّوَجَلَّ)، وأثنى على ثباتهم، وبشّرهم بالأجر الجزيل، وكان من بين هذه الكوكبة العظيمة فتى خرج إلى الحياة بعد أربعة أشهر من نشأة جماعة الإخوان، وكأن الله شاء ألا تنطلق صرخة الميلاد الأولى من صدر الطفل محمد مهدي عاكف إلا بعد أن تبزغ هذه الدعوة، فيتزامن ميلادهما، كما توحدت أقدارهما، وتشابكت منذ انضم الفتى إلى مواكب الهدى في دعوة الإخوان، وهو في الثانية عشرة من عمره يحمل سنوات قلائل بمقاييس الزمن عميقة بمقاييس الوعي والعطاء..

ولد الفتى ودعوته ما زالت وليدة، وكبرا معًا حتى صارا عملاقين، وعايش كل منهما حوادث الأمة والوطن، وتفاعلا معها، ولم يتردد الفتى في التخلي عن حلم الالتحاق بكلية الهندسة ليلتحق بمعهد التربية الرياضية امتثالاً لمشورة مرشده الذي رأى فيه مشروع جهاد عظيمًا، ومنحه ثقته، وكلّفه بمهام كبيرة؛ فاضطلع بها، وتحمل تبعاتها، وأدّى واجب الجندية خير أداء، متدرجًا في المهام الدعوية، وعضوًا في النظام الخاص الذي استهدف مقاومة الاحتلال الإنجليزي، وقام بعمليات فدائية أرّقت مضجعه وأربكته.

عاصر عاكف انقلاب يوليو 1952م الذي أطاح بالملك فاروق، وانقلاب يوليو 2013م على الرئيس المنتخب الدكتور محمد مرسي.

تقبل عاكف كل أقداره برضا واحتساب منذ بايع مرشده الإمام الشهيد حسن البنا، ولم تكن تلك الأقدار مهامَّ ثقيلة وتكليفات تنوء بها الجبال فحسب، بل كانت أيضًا سجونًا ومعتقلات تنقَّل المجاهد عاكف بينها شابًا وكهلاً وشيخًا، حيث يقيد الطغاة حرية جسده وتستعصي عليهم روحه الوثّابة ونفسه الأبيّة، فيخرج من سجنه أكثر إصرارًا على المضي في طريق شائك يعرف وعورته، ولا تقعده صعوبته.

فمن سجون الملكية إلى معتقلات الناصرية إلى محاكمات مبارك العسكرية إلى زنازين الانقلاب الغاشم، والقلب هو هو، والثبات هو هو، والعهد مع الله لم يتغير، واليقين به لم يهتز.

وكأنما العكوف ليس مجرد اسم لهذا المجاهد العظيم، بل سمة لشخصيته، فهو العاكف على هدفه يتعهده بلا كلل، ولا يرى في مشاق الدرب إلا اختبارًا لصلابة قلبه الفولاذي.

لم يخرج عاكف يومًا للإعلام متحدثًا عن خلافاته أو معاركه الإصلاحية داخل الجماعة مهما كانت حدتها وسخونتها.

وظل الأستاذ محمد مهدي عاكف (رحمه الله) جنديًا مخلصًا لدينه، ثم دعوته، عصيًا على المساومة والتنازل، فكم حاول سدنة الأنظمة المتعاقبة شراءه وتطويعه، فعادوا خائبين مخذولين بعد أن لقّنهم الرجل درسًا في الكرامة والإباء لم يستوعبوه، وعلّمهم أن المبادئ لا تتجزأ، وأن الرجولة الحقّة مواقف، ولكنهم لم يتعلموا.

وفي السيرة العاكفية كثير من محاولات المساومة الخبيثة التي لم يخضع لها، ولم يتردد لحظة في رفضها، باقيًا على عهده مع الله، ثم مرشده الذي بايعه فتى، وظل على بيعته شابًا وشيخًا، حتى نال الشهادة، وتحرّرت روحه من أسر الدنيا.

وعندما خاض الإخوان الانتخابات البرلمانية عام 1987م، وكان عاكف من مرشحيها الفائزين قدّم تجربة نيابية مميزة تستحق التوثيق، وكان صادعًا بالحق، شجاعًا في مواجهة السلطة التنفيذية، واضح الرؤية في مواقفه من مشروعات القوانين التي نوقشت تحت قبة البرلمان في فترة عضويته بمجلس الشعب.

أخذت الأيام دورتها، وانتقل الأستاذ محمد مهدي عاكف من صفوف الجندية إلى موقع القيادة مرشدًا عامًا لجماعة الإخوان المسلمين، وكان وقتها في السادسة والسبعين من عمره، ولكنه كان في هِمّة شاب فتيّ، فقد ظلت روح الجندي فيه على توقدها وحيويتها؛ إذ كان قائدًا في ثوب جندي، وجنديًا في رداء قائد، وكانت له بصماته الواضحة على الجماعة.

استهل عهده بمبادرة شاملة خاطب بها النظام السياسي، وأكد من خلالها

السمة الإصلاحية للإخوان كجماعة دعوية تتبنى نهجًا معتدلاً لا شطط فيه ولا تطرف، كما بقي على شجاعته النادرة في مواجهة النظام وانتقاده بموضوعية ومنهجية، طارحًا نموذجًا من الأداء الذي امتزجت فيه الدعوة بالسياسة بشكل سَلِس لا تنافر فيه ولا اختلال.

كان عاكف ثوريَّ الروح، يكره الظلم والاستبداد، ويعبر عن قناعاته بالمواقف قبل الأقوال.

فكانت مواقفه دليلاً دامغًا على أن الرجل جندي دعوة في المقام الأول لا تغيره المناصب ولا تغرّه.

وما أشبه عاكف بابن تيمية.. كلٌّ منهما مات في السجن، ونال منه علماء السلطة، وقالوا عنه ما ليس فيه، ومع ذلك كان من علامات القبول عند الله أن خرج في جنازته مالم يخرج في جنازة ملك أو سلطان ..

وكان الحراك السياسي والاجتماعي والفكري الذي أحدثه عاكف داخل الجماعة، فنقلها من محمية التنظيم إلى ربوع مصر حراكًا فوّارًا بالأمل والنهوض، فساهم في كسر حالة الجمود السياسي الذي أحدثها انقلاب يوليو 1952م على الحالة السياسية المصرية؛ مما كان له عظيم الأثر في تمهيد الطريق لثورة 25 يناير، فكان الخروج الكبير لجموع الشعب المصري إلى ميادين الثورة، للمطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية وحقوقية، وتحوّل الأمر من رسالة هادئة إلى النظام إلى فيضان ثوري جارف شمل ربوع مصر كلها، حينها خرجت مواكب الإخوان تمد الثورة بوقود من الحماس والأمل، وكانت لتلك المواكب بصماتها المحفورة على كل فعاليات هذه الثورة الفاصلة في تاريخ مصر.

نجحت الثورة في اجتثاث رأس النظام الفاسد، بينما بقيت الأذناب تكمل دورها المرسوم، وتمارس عمالتها، حتى أهدرت كل مكتسبات الثورة، وداست بأقدام ثقيلة على الاستحقاقات الانتخابية التي أعقبت ثورة الشعب الغاضب، وأسفرت عن اكتساح الإخوان للانتخابات الرئاسية والبرلمانية.

وبعد مؤامرة خبيثة حِيكت بليل وقع الانقلاب الغاشم على الشرعية، وعلى الدكتور محمد مرسي أول رئيس مدني منتخب في تاريخ مصر، منذ انقلاب الجيش على النظام الملكي في يوليو عام 1952م.

وتوالت أحداث السجل الانقلابي الأسود، وزجّ النظام الخائن بالإخوان في سجونه، وقبلهم الرئيس الشرعي المنتخب، ونال الأستاذ محمد مهدي عاكف ما نال إخوانه في أقبية الانقلاب.

كان الشيخ الكبير - عاكف - قابعًا في سجن العقرب - سيء السمعة - لثلاث سنين، محرومًا من الدواء أو الغذاء الصحي، أو الهواء النقي، لينقل بعدها إلى سجن طرة، وعندما ساءت حالته الصحية نقل لتلقي العلاج على نفقة أسرته، لكن بعد أن تمكن المرض من جسده الضعيف، ولم يوافقوا على طلب محاميه - والعديد من المنظمات الحقوقية والإنسانية - بالإفراج عنه على ذمة القضية التي يحاكم فيها، وهو في حكم القانون بريء لم تثبت إدانته بعد، ومن حقه الإفراج..

كما أن القساة غلاظ القلب لم يوافقوا على طلب زوجته السيدة/ وفاء عزت بالسماح لها بعيادته لساعة كل يوم، كي تقدم له بعض الرعاية الضرورية لمن هو في مثل عمره ومرضه..

إنه حسن الختام لرجل بذل حياته مجاهدًا، خادمًا لدينه ووطنه، وأبى الله إلا

أن تكون نهايته شهادة في سجون الظلم، لا على فراش بيته كما يموت البعير!

لقد حرم النظام الانقلابي المصريين من تشييع جثمان عاكف الطاهر إلى مثواه الأخير، لمعرفتهم بشعبيته وحب الناس له، رغم محاولات إعلام الانقلاب تشويه صورة الرجل وتاريخ جماعته التي تصدر قيادتها لست سنوات..

لماذا لم يترك الانقلابيون الحرية للشعب في تشييع جنازة المرشد أو الصلاة عليه، وقد كانت فرصتهم ليثبتوا صحة ادعائهم بأن شعبية الإخوان قد تآكلت، وها هي الجنازة التي تعد نوعًا من أنواع الاستفتاء على الرجل وجماعته كانت فرصة، كما قال الإمام أحمد (بيننا وبينهم الجنائز)؟!

ولماذا يمنع شيوخ السلطة بوزارة الأوقاف المصرية صلاة الغائب على الفقيد، إلا إذا كانوا يعلمون أن الصلوات ستفضحهم، وتظهر كره الناس للانقلاب ورفضهم له.

لقد أبى الانقلابيون إلا أن يدفنوه في الواحدة صباحًا، ولم يمش في جنازته إلا أرتال المدرعات والمصفحات، وجنود الجيش والشرطة المدججين بالسلاح.

ولم يسمحوا لأحد أن يصلي على قبره إلا محاميه، وزوجته وابنته وحفيدته..

لكن الاستفتاء على المرشد كان عالميًا، في تلك الصلوات التي أقيمت في كل مدن فلسطين، وفي المسجد الأقصى بالقدس التي عشقها عاكف، وفي كل المدن التركية وجامع الفاتح باسطنبول، وغيره من المساجد..

إضافة إلى تلك الصلوات التي أقيمت على روح الفقيد في معظم دول العالم، ومجالس العزاء التي فتحت لذكر سيرته ومسيرته والدعاء له..

إن هذه الأعداد الهائلة التي خرجت تصلي على المرشد تذكرني بشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية الذي توفي بسجن القلعة بدمشق، لكنه لما مات "اجتمع الناس لجنازته اجتماعًا لو جمعهم سلطان قاهر وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي

اجتمعوا لها في جنازته وانتهوا إليها".. هذا مع أن الرجل مات بالسجن، محبوسًا بأمر السلطان...

ووري الشهيد الأستاذ محمد مهدي عاكف التراب وأراد النظام الخائن أن توارى مع الجسد الطاهر سيرة الرجل، ومآثره الخالدة، ورحلة جهاده الموحية، ومسيرته المحتشدة بالدروس والعبر، ولكن هيهات!! فكم من عظماء اغتالتهم أيدي أعداء الحرية، فلفظ التاريخ قاتليهم، وسجل بحروف من نور سير هؤلاء العظماء ليكون رحيلهم بداية حياة جديدة لهم في ذاكرة الأمة والأجيال الجديدة التي تستلهم من هذه السير أروع معاني العطاء والبذل والثبات والإخلاص وعلو الهمة.

لقد مات الرجل مثلما يموت كل حي إلا الله وحده، ولكن شتان بين موت وموت، شتان بين من يموت بعد عمر لم يعشه لنفسه بل لدينه وأمته وبين من يموت ووراءه سجل من العار والخيانة يطارده في قبره المشؤوم.

رحل الأستاذ عاكف، فصار على تلاميذه الاضطلاع بواجب الوفاء له، وذلك بتوثيق سيرة معلمهم وإبراز ملامح القدوة في رحلة رجل صدق ما عاهد الله عليه حتى الرمق الأخير حماية لهذه السيرة العطرة من الاندثار والتشويه والتزييف والتعتيم، وكل ما يحترفه الانقلابيون من عبث بتاريخ العظماء الذين تصدوا لهم، ووقفوا في مواجهتهم متحملين صنوف الظلم والتنكيل والاضطهاد في سبيل الله أولاً، ثم حرية الأوطان وكرامة الشعوب.

من هذا المنطلق، يقدم مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب هذا الكتاب الوثيقة حول رحلة حياة شيخ المجاهدين الأستاذ محمد مهدي عاكف، يقدمه عرفانًا لرمز عظيم من رموز الأمة، وبرهان ساطع من براهين خيريتها، وتصحيحًا لوعي الأجيال المنكوبة بإعلام فاسد يروج لنماذج قدوة مشوهة يراد لها أن تتصدر هذا الوعي، وتشغل أصحابه بالتوافه والسفاسف ليصبحوا معاول لهدم الأمة لا وقودًا لنهضتها.

ويعد هذا الكتاب هدية لروح الأستاذ عاكف الروح الصلبة التي لم يستطع الطغيان كسرها، ولم يغيبها الرحيل؛ فالآثار مكتوبة في كتاب الأزل مصداقًا لقوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ (يس: 12)، ومن بين واجبات الاستخلاف أن يكون هناك من يضطلعون بتوثيق آثار العظماء وسيرهم لتظل شاهدًا على ما بذلوه وتحملوه، ومدرسة في فقه الجهاد تتخرج فيها مواكب المرابطين في كل زمان ومكان.

لقد منع الانقلابيون الخونة الصلاة على جثمان الأستاذ عاكف شهيد الحرية، ولكنهم لن يستطيعوا منع صلاة العقول والأفئدة في محراب سيرته العطرة التي نوثقها ونتوقف متأملين محطاتها ومنعطفاتها وما وراء سطورها.

وستمر السنون، وتتعاقب الأجيال، وتبقى هذه الوثيقة خنجرًا في صدر مزيفي الوعي وأعداء الحرية، وأصحاب المصالح الرخيصة المشبوهة، ووكلاء الاستعمار في الأوطان المبتلاة بحكام تربّوا في مواخير العمالة والفساد، وتعلموا أبجديات الخيانة على أيدي خصوم الأمة الذين يأتمر هؤلاء الحكام بأوامرهم ويدينون لهم بالولاء.

هذا الكتاب واجب وقت، وفريضة مرحلة؛ فكل رموز الأمة الخالدة يجب أن يوضعوا في دائرة الضوء، فيذب المخلصون عن أعراضهم، ويسجلوا سيرهم بموضوعية ومنهجية ليحبطوا مؤامرات طمس وتشويه هذه السير، ولعل هذا التوثيق يوضع في سياقه التاريخي والفكري كجزء من مشروع الحفاظ على التراث الإنساني للأمة ممثلاً في قاماتها الدعوية والجهادية ورموز الإصلاح والتجديد فيها، وذلك بتوثيق سيرهم وفق منهج محدد وآليات واضحة لتكون هذه السير داحضة لمزاعم وشبهات أعداء المشروع الحضاري الإسلامي، ومرشدة

للأجيال الجديدة إلى نماذج القدوة الصالحة، وموجهة إلى العقل الغربي الذي تمت تغذيته بصورة ذهنية مشوهة عن الحركة الإسلامية؛ مبادئ ورموزًا، وشاهدة على جرائم العسكر ومفاسدهم.

ويُعَدُّ هذا الكتاب الوثائقي امتدادًا لعمل شيخ المجاهدين الأستاذ محمد مهدي عاكف (رحمه الله) بإبراز مكامن العِلم النافع في حياته العريضة؛ عِلْم الجهاد في سبيل الفكرة والمبدأ، كما يعد صدَقةً جارية عن روحه التي بقيت على شموخها وإبائها رغم تحديات الطريق ووعورته، صَدَقَةً على العقول المتعطشة للفكرة والقيمة والقلوب الظامئة للمعاني السامية التي جسّدتها حياة هؤلاء الصادقون، فاستحقوا الاصطفاء والفوز بالشهادة ونيل وسام الثبات، وهو النصر الحقيقي القريب من كل نفس مؤمنة صامدة على طريق الحق تنتصر حين ترحل على ثباتها وعهدها وتحيى حين تموت.

رحم الله شيخنا وأستاذنا، شهيد سجون العسكر التي لم يقوَ ظلامها الدامس على طمس الضوء الساطع المنبعث من أعماقه المضاءة بالإيمان، ونفسه المشرقة باليقين، وجعل سيرته نبراسًا هاديًا لكل من ينشد الحياة الحقيقية، ويبيع نفسه لله ثمنًا لتلك الحياة التي تبدأ بعد الموت.

طوبى لك أيها الشيخ الذي جاهد وصدق، وسحقًا لكم أيها الجبناء الذين لم يرعوا في مؤمن إلًّا ولا ذمة وإلى لقاء قريب معكم يوم الفصل حيث تجتمع الخصوم أمام الحق الذي لا تضيع عنده الحقوق ولا الدماء.

الفصل الأول

مسيرة حياة

"كان والد الأستاذ عاكف صارمًا جدًا في تربية أولاده حريصًا على تعليمهم معنى الرجولة الحقّة وفنون الحياة والقوة، والحوار مع الآخر، والإعراض عن السفيه والجاهل، فقد كان والدهم يعطيهم الفرصة كاملة ليعبروا عن آرائهم بكل شجاعة دون الإخلال بأدب الحديث"

مسيرة حياة

الأستاذ محمد مهدي عاكف من مواليد قرية "كفر عوض السنيطة"، مركز أجا، بمحافظة الدقهلية، بالمملكة المصرية آنذاك في (3 صفر 1347هـ/ 21 يوليو 1928م). نشأ في أسرة تنتمي إلى ما يمكن تسميته بـ"البورجوازية" الكبيرة الريفية، وهي "بورجوازية" كبيرة في دخلها وفرديتها، كانت تعيش خارج القاهرة والإسكندرية، أي تعيش بالريف، ولم تتأثر بمظاهر الأوربة والتغريب التي شكّلت ملامح وسمات بورجوازية المدن، ولذا ظلّت هذه البورجوازية الريفية محتفظة بالقيم المصرية والعربية والإسلامية، وهذا ما سوف نلاحظه ساطعًا في عائلة مهدي عاكف!

فالوالد من الموسرين، سافر لدراسة الطب في بيروت، ولما قامت الحرب العالمية الأولى (1914م)، قطع الدراسة وعاد إلى مصر، وتسلم أرضًا ورثها عن أبيه المتوفي في بداية القرن العشرين (1900م)، وكان ذلك الجد طبيبًا ماهرًا يعمل لدى الخديوِ توفيق، ثم ابنه الخديوِ عباس حلمي، والخديوِ الذي أسماه (عاكف) لاعتكافه في طلب العلم، فالعائلة كانت في الأصل تسمى "الأفندي"!

وكان الجد ثوريًا شديد المراس، ويقال إن الإنجليز دسّوا له السم في دمياط لمواقفه المناهضة لهم، وبعد وفاته تولّت عمة الأستاذ عاكف الكبرى (نبوية) الإشراف على الأرض والعناية بأفراد الأسرة، وكانت سيدة قوية تركب الحصان، وتشرف على المزرعة (300 فدان)، بمن فيها من فلاحين وزرع وحيوان!

ولد الأستاذ عاكف وفي فمه ملعقة من ذهب - على حد التعبير الشائع - ولننظر وصفه لبيته عندما كان في الصغر، يقول: (**كان بيتنا الكبير مليئًا**

بالخيرات، وكان والدي محط احترام أهل القرية وإجلالهم، وما كاد يخرج من البيت لعمله حتى تدب الحركة، ويعلو صياحنا - نحن الأطفال - حتى يملأ البيت، وتبدأ أمي الحبيبة تلك الملاك الجميل الباسم الوجه، المشرقة المحبة، يومها بعد صلاة الفجر بتجهيز طعام الإفطار الشهي، وإيقاظ النائمين، ثم تبدأ في أعمال البيت بكل همّة ونشاط.

وأتاح لنا مرور الترعة أمام البيت أن نتدرب على فنون الصيد، فكنا نخرج بالساعات نقضيها على الترعة في صيد السمك، وكانت هذه الهواية لها عامل كبير في تعليمنا فنون الصبر والتريث)[1].

وكان الوالد صارمًا جدًا في تربية أولاده حريصًا على تعليمهم معنى الرجولة الحقّة وفنون الحياة والقوة، والحوار مع الآخر، والإعراض عن السفيه والجاهل، فقد كان والدهم يعطيهم الفرصة كاملة ليعبروا عن آرائهم بكل شجاعة دون الإخلال بأدب الحديث.

فقد رُزِقَ سِتة عشر ولدًا عاش منهم أحد عشر، كان أستاذنا واسطة العقد الفريد، ترتيبه السادس، ويقول أستاذنا عن والده: **(...أنه لم يكن سعيدًا بانضمامه للإخوان، ولكن بعد ذلك أصبح واحدًا منهم؛ لأنه رأى منهم نماذج رائعة، فعند زيارته إيّاه في مختلف السجون التي تنقل بها، كان الوالد يهتف في فرح: أنا قادم لأشاهد الإخوان وليس لزيارتك فقط!.. وعندما توفاه الله عام 1972م، وكان لا يزال مسجونًا صلّى عليه أعضاء الجماعة صلاة الغائب في كل سجون مصر)**[2]!

(1) عبده مصطفى دسوقي: محمد مهدي عاكف،.. رحلة عمر، مجلة (المجتمع)، ع 2112 - المحرم 1439هـ - 10/2017م، ص37.

(2) ج (صوت الأمة)، حوار: محمد عبد القدوس: أول حديث من نوعه مع محمد مهدي عاكف (الإنسان الذي لا نعرفه)، 28/ 6/ 2004م.

أما الوالدة (رحمها الله)، كما قال عنها في إحدى حواراته: (عندما شببت عن الطوق عرفت أن اسمها (هانم!)، كنت أظن أن هذا مجرد لقب، حيث كان الجميع يقولون لها: "يا ست هانم"!.. ولكنني اكتشفت أن هذا هو الاسم الحقيقي لها (هانم شرف)، وكان اسمًا على مسمى (هانم!) بالفعل)[1]! والدها كان من كبار تجار الأخشاب بطنطا، وهو المرحوم (محمد عوض شرف).

وهكذا تضافرت عوامل عديدة في تكوين أستاذنا عاكف: ثورية الجد الشديد المراس، وصرامة الأب الجادة في تربية هذا العدد الكبير رغم ثراء الأسرة وعيشها في ظل نعمة وارفة، وثقافة الأم وأصلها الأرستقراطي.

وتعلم وحفظ أستاذنا القرآن الكريم في كُتّاب القرية، وبدأ تعليمه في المدرسة الابتدائية بالمنصورة، وحصل على الشهادة الابتدائية عام 1940م.

(1) نفس المصدر.

تحت لواء الإخوان

ارتحل الأستاذ عاكف إلى القاهرة مع الأسرة جميعها، حيث انتقل عدد من إخوته إلى الجامعة، وكان ذلك عام 1940م، وهي السنة التي تعرف بها على دعوة (الإخوان المسلمون)، في (شعبة حي الظاهر)، وكانت من أوائل الشُّعَب، والمجموعة التي تعرف عليها كانت متفردة في شخوصها وأدوارها التي رسمتها لها الأقدار، وكان من بينهم الأساتذة: إبراهيم الطيب، وعبد المجيد أحمد حسن، وأحمد عادل كمال وغيرهم..

(وكانت الشعبة في تلك الفترة المبكرة من عمر جماعة الإخوان المسلمين تمثل الجماعة، وترمز لها في المنطقة التي فيها، فكانت بمثابة الملتقى الذي يجتمع فيه الناس بعد نهاية عملهم؛ ولذا حرص الإخوان على إثراء أنشطة الشعبة لتجذب الناس إليها، فجعلوا منها ناديًا رياضيًا لممارسة الهوايات الرياضية المختلفة، وجعلوا منها منارة ثقافية يؤمها الناس في دروس عامة وخاصة، وفصول يؤمها الطلاب للاستذكار والدراسة، وجعلوا منها ملجأ يهتم بالمحتاجين والأيتام والأرامل، يبحث عنهم ويبعث لهم بما يحتاجون إليه، هذا فضلاً عن أن فيها مسجدًا يأتيه المصلون من كل مكان للعبادة والشعائر..، ومع استقرار الشعبة، وزيادة عدد أفرادها ينشأ بها مجلس شورى مركزي للشعبة يعقد اجتماعًا شهريًا ينظر في أمور الشعبة، ويعمل على تطويرها، مما ينعكس إيجابيًا على تطور بناء الدعوة...)[1].

أو كما أوضح الأستاذ أحمد رائف بصورة أكبر: (كان برنامج الإخوان المسلمين في الشعبة يعتمد على التربية وعلى التثقيف. فقد كانت هناك

(1) جمعة أمين عبد العزيز، أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين (بدايات التأسيس والتعريف: البناء الداخلي (1928 - 1938م)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1423هـ / 2003م، ص160 - 179.

مواد معدة قام على ترتيبها ووضعها اختصاصيون أصحاب درجات كبيرة في تخصصهم. وكانوا يهتمون بالقرآن الكريم وتلاوته وتفسيره، ويهتمون بالسنة النبوية وبالأحاديث وعلمها، ويهتمون أيضًا بالسيرة النبوية وماذا حدث لرسول الله (ﷺ) من أمور، وكيف سار بجهاده منذ بعث بالإسلام حتى توفي (رحمه الله) بالمدينة، والدروس المستفادة في العهد المكي، وكيف كان تصرفه وفعله باليهود والمنافقين والذين أشركوا في المدينة، حتى أشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وأسلم كل من فيها.

وكانت هناك دروس في كل التخصصات والمجالات للتثقيف العام، ولخلق جيل يعي دوره في تغيير المجتمع بعد الهجمة العلمانية الإلحادية الشرسة من أجل تحقيق مبادئ الإسلام وقيمه.

وكانت هذه الدروس تعد إعدادًا دقيقًا يتناسب مع أعمار من يذهبون إلى (الشعبة) وثقافتهم وتوجهاتهم. وكانت تطبع في رسالة صغيرة قليلة الثمن يستطيع دفعه أي واحد مهما قلّ دخله.

وكان هناك قسم للطلبة وقسم للعمال، ولكل قسم برنامجه في التثقيف والإعداد، وكانت الشعبة بوجه عام كخلية النحل في العمل والدأب والنشاط. فقد كانت تغص بالناس يروحون ويجيئون، فهي مليئة، كثير من فيها، فمنهم المحب والصديق، ومنهم من يعجبه هذا اللحن الذي يعزف، ومنهم العضو العامل الذي يقوم بواجبات الدعوة وأعبائها، ويفعل ما فهمه من واجبات الجهاد)[1].

وشعبة الظاهر بالسكاكيني، كما وصفها الأستاذ عادل كمال: (**بيتًا ذا طابقين، الأرضي فقط هو الذي كان للشعبة، وكان عبارة عن صالة، وثلاث غرف،**

(1) أحمد رائف، سراديب الشيطان، الزهراء للإعلام العربي، 1989م، ص220.

وفناء كبير به بعض الملاعب لكرة السلة والملاكمة والمصارعة، ومكان للجوالة، ومكان آخر للصلاة. كما كان به تكعيبة عنب بها مصباح كهربائي تصلح للجلوس وعقد الاجتماعات تحتها..)[1].

وتعددت الأنشطة التعبدية والدعوية التي مارسها الأستاذ عاكف في الشعبة من أداء النوافل، وقيام الليل، والمداومة على صلاة الفجر في الشعبة، وحضور طوابير الجوالة والرحلات، والسير في طوابير الاستعراضات في المناسبات المختلفة، والكتائب التي يحضرها الأستاذ البنا، والانتظام في سلك الأسرة لتدارس القرآن الكريم وحديث رسول الله (ﷺ) والسيرة النبوية الشريفة.

وتدرج الأستاذ عاكف في السلم الهرمي بالجماعة حتى صار مسؤولاً عن مدرسة فؤاد الأول الثانوية (400 طالب)، وهي من المدارس المعدودة آنذاك في القاهرة، مثل السعيدية والخديوية...، وكانت تلك المدرسة من معاقل حزب الوفد، ولكن بعد ظهور الإخوان، وعلى رأسهم عاكف بمظهره الرياضي ونشاطه الدؤوب، تحول الميزان، والتف الطلاب حول دعوة الإخوان.

وكان مسؤول الطلاب وقتها الأستاذ فريد عبد الخالق، وقبله الأستاذ عز الدين أبو شادي، ومن فرط اهتمام الأستاذ البنا البالغ بالطلاب أن جعل لهم يومًا في الأسبوع (يوم الخميس)، يلتقي بهم بعد صلاة المغرب ويتحدث إليهم حول الدعوة الإسلامية، ويبدأ بدراسة القرآن الكريم باعتباره معجزة الإسلام الكبرى، وأساس الدعوة الإسلامية، والمعين الأول الذي يتربى عليه المسلم، فيتحدث عن أسلوبه وموضوعاته ومواقفه الخالدة في تربية الرعيل الأول من المسلمين.

ثم ينتقل الإمام البنا بعد القرآن إلى تاريخ الدعوة الإسلامية والأسلوب الذي اتبعه الرسول (ﷺ) في نشر الدعوة والمحن التي صادفته في الدعوة، وكيف

(1) أحمد عادل كمال، النقط فوق الحروف (الإخوان المسلمون والنظام الخاص)، الزهراء للإعلام العربي، 1407هـ / 1987م، ص 30.

صبر المؤمنون على هذه المحن الجسام، وثبتوا على الإسلام، وضربوا الأمثال في البطولة والتضحية (رضوان الله عليهم)، وتعددت لقاءاتهم بالإمام البنا كل يوم خميس على سطح المركز العام الرئيسي بالحلمية الجديدة.

وعن تأثير الإمام البنا، مجدد القرن الثالث عشر الهجري وأستاذ الجيل، في نفس الشاب الطُّلَعَة عاكف، وذكرياته ومواقفه المؤثرة معه - بداية من التوجيه والإرشاد إلى رابطة الحب والتواصل بهذه الدعوة المباركة، نلتقط بعض هذه الذكريات من الحوار الذي دار معه عقب توليه مرشدًا عامًا لجماعة الإخوان:

الأستاذ البنا.. ما الذي جذبك إليه بهذه الصورة؟

- رجل علمني الإسلام الحقيقي.. شموله وكماله.. حينما كان يتحدث إلينا كنا نأخذ كل كلمة منه لنطبقها.. فكنا رجالاً يحترمنا الناس.. أساتذتنا وزملاؤنا جميعًا..، عندما قال لنا الأستاذ البنا: أريد أن يكون كل واحد منكم سليم العقيدة، صحيح العبادة، متين الخلق، مثقف الفكر، قوي الجسم.. كانت كلمات، لكن كنا نعتبرها أوامر واجبة التنفيذ فورًا.. وكنا نحاسب أنفسنا حسابًا شديدًا؛ لأننا نعتقد أن الأخ لابد أن يكون على مستوى راق في التعامل والخلق.. وعندما تم حل الجماعة أرسل إلينا المرشد رسالة يقول فيها: أنتم الروح الذي يسري في هذه الأمة فيحييها بالقرآن.. لقد كنا نسمو بهذه الكلمات إلى السماء.. كان الأخ نموذجًا حيًا لما يجب أن يكون عليه المسلم.. وكان (رضي الله عنه) يراعي كل شيء.

وماذا عن طريقة البنا في التعامل مع شباب متحمس مندفع؟ كيف كان يدير هذه الطاقات المتوقدة؟

- كان يعلمنا كل شيء.. كان يعرف عنا كل شيء، كان يعرف أن أبي صارم، فلا أستطيع التأخر عن البيت بعد الساعة 8 مساءً، فكان قبل ذلك الموعد يقول لي: (يا عاكف.. روّح)، حتى لا يحدث بيني وبين أبي شيء.

ومن الأشياء العجيبة التي كانت سببًا في انجذاب أبي إلى الإخوان، ودفعته للتعرف إليهم، أذكر أنه طلب مني الذهاب مع أختي إلى دمنهور لتوصيل جهاز عرسها، لكني كنت مكلفًا في ذلك اليوم برحلة مع الإخوان تنطلق عند الفجر، فاعتذرت لأبي... فغضب غضبًا شديدًا، وصفعني على وجهي، وكانت تلك المرة الأولى في حياتي التي يصفعني فيها والدي (رحمه الله).. ولذا فقد أخذتني الدهشة.. **كيف حدث ذلك؟!**

ودخلت إلى حجرتي.. وقبل الفجر تناولت حقيبة سفري، وانطلقت للرحلة، فذهب والدي إلى الأستاذ البنا في المركز العام وأخبره بما حدث، فبعث إليّ الأستاذ البنا أحد الإخوان - اسمه رفعت النجار (رحمه الله) - طالبًا مني قطع الرحلة والعودة فرفضت، وأكملت الرحلة.. لكن عند العودة وجدت نفسي متحيرًا، لا أدري إلى أين أذهب.. إلى مقر الإخوان أم إلى بيتي؟

فذهبت إلى بيت الأخ الحبيب إبراهيم الطيب (رحمه الله)، وكان أبي يحبه جدًا، وبتّ ليلتي عنده، وفي الصباح ذهب إبراهيم إلى أبي فطيّب خاطره، ثم أتى وأخذني إليه؛ فقبلت يدَه وتصالحنا، ولم يكلمني والدي في شيء.. بعدها بدأت علاقته بالأستاذ البنا تتوطد، وتأكد ذلك بعد وفاة البنا ودخولي المعتقل، حيث صار أبي من خيرة الإخوان، وكان يصرّ على أن يولم لهم بحضور الأستاذ عبد القادر عودة وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت وعبد العزيز كامل.. وغيرهم من كبار الإخوان.. كان لا بد أن يعزمهم كل سنة.. وكانت له مواقف بطولية أثناء الثورة.. يرحمه الله.

الأستاذ البنا.. كيف اهتم ببناء ثقافتكم كإخوان وشباب صغير في مقتبل العمر؟

- لم نملك من الكتب شيئًا، من كان يمتلك (إحياء علوم الدين) و(فقه السنة) كان محلّ غبطة من الإخوان.. انظر ماذا فعل الرجل (البنا)؟ قال لي: اذهب إلى محب الدين الخطيب، فاحضر جلساته ودروسه، وإلى عبد القادر المازني (ولم يكن من الإخوان) حتى إنني وطدت علاقتي بهما، وكان عمري 17 سنة، الآن ربما يمنع بعض الإخوان إخوانهم من الذهاب إلى أحد الشيوخ.. وهذا خطأ.. هل تعلم أن العقاد وطه حسين كانا ملحدين، وظل الإخوان يحضرون جلساتهما حتى تراجعا.

محمود شاكر كان عالمًا، ولكن كان يسبّ الإخوان، وكان الإخوان يحضرون جلساته ودروسه. وعبد القادر المازني - كما ذكرت - لم يكن من الإخوان، ولكن عندما كنت أذهب إلى الأستاذ البنا بمقال له للنشر في جريدة الإخوان يسر جدًا. وقد استطعنا أن ندخل أولاده - بفضل الله - جماعة الإخوان)[1].

وفي تلك الفترة، انتشرت الأدبيات الماركسية وسط الطلاب، وبدت وقتها النظرية الماركسية لأول وهلة جاذبة غلابة.. مفتاح لكل الأبواب، وحل لكل المشاكل المستعصية بمنطق العلم وقانون الصراع.

فقد كانت تمثل عقيدة طرحت للتجربة وسط آمال إنسانية واسعة.. لها إمبراطورية كبيرة ممثلة باسمها (الاتحاد السوفييتي)، وبدأت في تحقيق انتصارات مبهرة في الحرب العالمية الثانية.

وحدثت اشتباكات بين طلاب الإخوان والشيوعيين في المدارس والجامعة، ولذا اقترح عليهم الأستاذ البنا قراءة ودراسة مصادر الفكر الماركسي ليسهل

(1) مجلة (المجتمع)، ع1، 615، حوار: شعبان عبد الرحمن، 5 رجب 1425هـ، 21/ 8/ 2004م، ص 40 - 41.

عليهم فهمها، وليتمكنوا من مواجهة الطلاب الشيوعيين على أرضية هذا الفكر الذي يؤمنون به، فالفكر حتمًا يواجه بالفكر!

هكذا كان النشاط المدرسي آنذاك ما بين رياضة وخطابة ورحلات وجدل فكري مثمر رغم أجواء الحرب العالمية الثانية، وما تفرضه من رقابة عسكرية واحتياطات أمنية بالغة الشدة!

ما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى تنكّر الإنجليز لوعودهم للمصريين بالجلاء، وبدأ من جانبهم التسويف والتلكؤ والعودة وأحزابهم الكرتونية لدوران ساقية المفاوضات!.. فلم يجد المصريون من حل إلا الخروج للشارع للتظاهر السلمي.. وكان الطلاب في الطليعة، ويتذكر الأستاذ عاكف في إحدى المظاهرات جاء حكمدار العاصمة، وكان إنجليزيًا اسمه (فيتريس باترك)، للمدرسة ليتحدث مع الطلاب بشأن إيقاف المظاهرة.. ولكن الطلبة رفضوا وطردوه من المدرسة، وخرجت المظاهرة!

وبإقالة حكومة النقراشي بعد حادثة كوبري عباس 2/ 1946م، أتت وزارة إسماعيل صدقي (16/2/1946م)، والتي سعت على الفور لعقد معاهدة مع الإنجليز (صدقي - بيفين)، ولكن بشروط مجحفة تخل بحقوق مصر في السودان، وبنود أخرى أسوأ من معاهدة 1936م.

وقوبلت برفض شعبي عارم، وخرجت المظاهرات في كثير من أنحاء مصر وقادها الإخوان.

وفي إحدى تلك المظاهرات قبض على عاكف وأُودع حجز قسم (الوايلي) بالقاهرة، وصدر قرار بفصله من جميع المدارس الأميرية في جميع القطر المصري، وأفرج عنه بوساطة من صدقي باشا رئيس الوزراء لصداقته لوالده بشرط ألا يبقى في القاهرة!

فأخذه والده وعاد به إلى قريته، وظل مقيمًا بها لا يبارحها إلى أن سقطت وزارة إسماعيل صدقي في 1946/12/9م. فعاد مرة أخرى إلى القاهرة. ولكن قرار فصله ظل ساريًا، وسمح له فقط بأداء امتحان نهاية العام.

وكان له صديق هو شقيق الشهيد إبراهيم الطيب يسكن بجوارهم يذهب إلى المدرسة صباحًا ويلتقي معه من بعد صلاة العصر حتى صلاة العشاء يراجع معه ما تلقاه من دروس في الصباح، حتى دخل الامتحان، ونجح بدون انتظام في الدروس بالمدرسة!

فتـــى النظام الخـــاص

في سنة 1940م، أنشأ الإمام البنا جهازًا خاصًا داخل الجماعة سمّاه (النظام الخاص)، يضم إليه من أفراد الجماعة من عرفوا بإخلاصهم للدعوة وثباتهم عليها، كما يتميزون باللياقة البدنية والقدرة على الاحتمال، والصبر على المكاره، وكتمان الأسرار، والسمع والطاعة في المنشط والمكره، والاستعداد للتضحية والبذل..

كان الإمام البنا قد أدرك أن الأعداء الحقيقيين للدعوة، هم المستعمر وأذنابه، وإن هذا المستعمر لابد من الوقوف له بالمرصاد، كما أدرك (رحمه الله) أن قضية فلسطين مؤامرة عالمية اشترك فيها العديد من الأطراف، وهؤلاء بحاجة إلى قوة تفتت جمعهم وتردعهم عما يرتكبونه من جرائم على أرض فلسطين.

كان حسن البنا يائسًا من قيام الأنظمة العربية والإسلامية بنصرة القضية الفلسطينية، وكان واثقًا أن عصابات الصهاينة في فلسطين وجنود الإنجليز في مدن القناة لن يستطيع التصدي لهم إلا عصابات الإخوان. أما الانتظار لحين حدوث يقظة عند الأنظمة أو الجيوش العربية، فهذا حلم الغائبين عن الوعي.

لقد كلف الإمام البنا خمسة من الإخوان بالإشراف على هذا النظام، واختيار جنوده وتدريبهم على الجهاد، وهؤلاء الأخوة هم: صالح عشماوي، وحسين كمال الدين، وحامد شريت، وعبد العزيز أحمد، ومحمود عبد الحليم، وقد عهد إليهم بأن يكون هذا النظام وما يتعلق به على أساس من العسكرية القوية النظيفة، وعلى أن يحاط بالسرية المطلقة، بحيث لا يعرف عنه أحد شيئًا سوى أعضائه،

على أن يكون تمويله من جيوب أعضائه؛ لأن علأمة الجد فيمن تقدم للتضحية بروحه أن يضحي بماله..

وكان برنامج المنتمين لهذا النظام أن يقوم على ما يلي:

- تقسيمهم إلى أسر مع تسلسل القيادة، مع اشتراكهم في جميع أوجه النشاط العامة للدعوة.
- دراسة عميقة مستفيضة للجهاد في الإسلام، وما جاء بشأنه في القرآن الكريم من سور وآيات، والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي القديم والحديث، مع أخذ العضو بنفسه بأنواع من العبادات والصيام.
- التدريب على الأعمال الشاقة.
- التدريب على توزيع المنشورات.
- التدريب على التخاطب والتراسل بالشفرة.
- التدريب على استعمال الأسلحة.
- المبالغة في السمع والطاعة في المنشط والمكره.

وقد نجحت مجموعة الخمس المختارة في تدريب أفراد الجهاز القلائل على توزيع المنشورات والأعمال الشاقة، وبدؤوا في جلب الأسلحة من الصحراء الغربية بكميات قليلة.. حتى أقبلت أعداد لا بأس بها على الانخراط في الجهاز، وهي من أخلص عناصر الإخوان وأميزهم، دينًا وعقلاً وبدنًا..

وفي كتابه (أحداث صنعت التاريخ)، يتحدث الأستاذ محمود عبد الحليم عن تحول مهم حدث في قيادة الجهاز الخاص، حيث إنه لما التحق بوظيفة وابتعد عن القاهرة، وكان هو المشرف على الجهاز، طلب منه الإمام البنا أن يستخلف غيره مكانه، فلم يجد أحدًا مناسبًا سوى عبد الرحمن السندي)[1].

(1) عامر شماخ، الإخوان والعنف، السعد للنشر والتوزيع، د.ت، ص: 71 - 72.

ويقول الأستاذ محمود الصباغ في مذكراته عن بدايات النظام الخاص: (.. **عرفني الأخ مصطفى مشهور على أخي في الله عبد الرحمن السندي بصفته المسؤول عن إعداد هذا الجيش المسلم في تنظيم الإخوان المسلمين، وقد كان ذلك عام 1940م، وكان الأسلوب في ذلك الوقت هو أن يربط بالأخ السندي كل من يرى هذا الرأي، ويشعر بنفس الشعور، ويحب الارتباط بالجيش المسلم الذي يجري إعداده لأداء فريضة الجهاد**)[1].

وعلى هذا، تم قبول الفتى عاكف في صفوف النظام الخاص، وهو لم يستكمل ربيعه الثامن عشر، على يد الأستاذ البنا نفسه!.. يقول: (**كنت في هذه الفترة في النظام الخاص للإخوان.. ومكثت حوالي عامين لم أرَ الأستاذ البنا.. فقلت للأخ المسؤول عني: هل نحن نتبعك أم نتبع الأستاذ البنا؟!.. وكان ذلك يوم الخميس.. ويوم الجمعة مباشرة أرسل لي الأستاذ البنا، وقال لي: لا ياسيدي أنت تبعي!!**)[2]، فقد كان الأستاذ البنا يعرفه جيدًا كرياضي بارز، إضافة إلى صفاته الشخصية البارزة والواضحة للعيان.

وكان من عادة الأستاذ البنا أن يتكلم مع شباب الجماعة عن أحوالها، وفي حديث بحضور الأستاذ عاكف سألهم: (**أليس لنا أحد في معهد التربية الرياضية؟!**).

ففهم الشاب النابه عاكف إشارة أستاذه فتوجه من تلقاء نفسه، وبدون تكليف مسبق لسحب أوراقه من كلية الهندسة، وتقديمها إلى معهد التربية الرياضية، على غير مسار إخوته جميعًا الذين تخرجوا من كلية الهندسة!

---

(1) محمود الصباغ، حقيقة النظام الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، دار الاعتصام، 1407هـ/ 1987م، ص127.

(2) حوار: شعبان عبد الرحمن، محمد مهدي عاكف المرشد السابع للإخوان يفتح أوراقه (1).. مجلة (المجتمع)، ع 1614 - 28 جمادى الآخرة 1425هـ - 14/8/2004م، ص37.

وهذا الموقف المصيري الذي حسمه الأستاذ عاكف بلا وجل أو تردد، حين سحب أوراقه من (كلية الهندسة)، إحدى أهم كليات القمة - ولا تزال - إلى (معهد التربية الرياضية)، والذي كان مجهولاً في ذلك الوقت.

ماذا يعني هذا؟ يعني الكثير، فقد أخذ منه هذا الموقف لمحة من الزمن ليست بكبيرة.. لقد وضع بين اختيارين لا ثالث لهما: مطلب ومسار الأسرة، ورغبة أستاذه، فإلى أيهما اهتدى عقله؟ ومع من منهما ألقى بمصيره وبمسار حياته؟!

اختياره السريع والحاسم يضع أيدينا على (مفتاح شخصيته)... فمفتاح الشخصية كما يُعرّفه أستاذنا العقاد: (مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التي تفتح لنا أبوابها، وتنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها، وهو كمفتاح البيت في كثير من المشابه والأغراض.. وليس مفتاح البيت وصفًا له ولا تمثيلاً لشكله واتساعه، وكذلك مفتاح الشخصية ليس بوصف لها، ولا بتمثيل لخصائصها ومزاياه، ولكنه أداة تنفذ بك إلى دخائلها ولا تزيد..)[1].

والذي نراه من تتبع خطوات تلك الشخصية الفريدة في كثير من خصائصها ومزاياها، بأن الصفة الغالبة عليها (طبيعة الجندي)، فتلك الطبيعة برزت واضحة في ذلك الموقف وسائر ما يتلوها من مواقف سنقف عليها في محطات تلك الشخصية: الشجاعة بلا خور، والحزم لا يشوبه تردد، والصراحة العارية التي جلبت عليه كثير من النقد، وخشونة مغلفة بكثير من التسامح، والغيرة الشديدة على حمى الإسلام كأنه المسلم الوحيد على هذه الأرض، ونجدة الملهوف والمعرض للضيم، وإن كلفه هذا الموقف الكثير، والإيمان المطلق بالرسالة التي آمن بها، وسرعة إنجاز ما يطلب منه وعدم الترَخّص والدِّعة والخُمول.

(1) عباس محمود العقاد، عبقرية عمر، كتاب الدوحة، 10/ 2012م، ص67.

وكانت اختبارات القبول في معهد التربية الرياضية صعبة للغاية، تبدأ باختبار شخصي بواسطة مجموعة كبيرة من الأساتذة، وقد سأل ضمن مجموعة من الأسئلة عن إحدى الممثلات وأشهر أفلامها فلم يعرف، فسأل: هل تعرف اسم رئيس وزراء مصر؟ فرد على الفور: أعرف جميع رؤساء وزراء مصر، منذ تم تشكيل أول وزارة!

وعن انتمائه السياسي؟ قال ولم يتلجلج: (أنا من الإخوان المسلمين!)، وقُبل عاكف في التربية الرياضية، فكانت الأزمة مع والده وإخوته الذين رغبوا أن يكون مهندسًا مثلهم، ولم تهدأ العاصفة إلا بعد شهور، حينما زار والده التربية الرياضية، ووجدها من الكليات المحترمة.

ولنستمع منه عن الأسباب التي دفعته لدخول التربية الرياضية، حيث قال: (لكن الحقيقة أنني دخلت المعهد لسببين: أولهما لخدمة الإسلام؛ حيث كنا نرغب في الانتشار، وتوصيل دعوتنا في كل مكان، أما السبب الثاني فقد كان والدي (رحمه الله) شديدًا جدًا في حرصه علينا، فلا نتأخر بعد الثامنة ليلاً، ولأنني كنت في النظام الخاص، وكنا كثيرًا ما نتأخر، وأحيانًا أرغب في المبيت خارج المنزل، فقد كان التحاقي بالمعهد فرصة لأتعلل عندما أتأخر خارج البيت)[1].

وكل ما بأيدينا من المصادر التي أرّخت للنظام الخاص في هذه الفترة (1946 - 1948م)، لم تظهر للأستاذ عاكف نشاطًا محددًا، وعلى الأرجح أنه كان في مرحلة التدريب على يد المخضرمين من أبناء الجهاز كمحمود الصباغ ومصطفى مشهور وغيرهما.

وبدأت عمليات (النظام الخاص) الأولية في الظهور، كيوم حريق الكتب الإنجليزية في الميادين الكبيرة، وتفجير القنابل الصوتية أمام جميع أقسام

(1) عبده مصطفى دسوقي، محمد مهدي عاكف.. رحلة عمر.. مجلة (المجتمع)، 10/ 2017م، ص39.

البوليس في القاهرة يوم 1946/2/3م، وإلقاء قنابل حارقة على رئيسي الحزبين اللذين منحا صدقي باشا الأغلبية (هيكل - النقراشي باشا). وكانت لتلك العمليات وقع المفاجأة على صدقي باشا، فلم يستطع وقفها أو معرفة مصدرها؛ مما ساهم في تعجيل الملك فاروق بإسقاط وزارة صدقي باشا!

وفي عامي 47 و48، بدأت الصهيونية العالمية في ترتيباتها الأخيرة لإعلان قيام دولتهم المزعومة على أرض فلسطين، بفعل تواطؤ الحكام الخونة في مصر والعالم العربي وغفلة شعوبها.

ومن إيمان الإخوان المسلمين الجازم بأن فلسطين جزء من العقيدة الإسلامية، وأن أرضها وقف إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يفرط أو يتنازل ولو عن جزء صغير جدًا منها، ولذلك فهي ليست ملكًا للفلسطينيين أو العرب فحسب بل هى ملك للمسلمين جميعًا...، لذا بدأ الإخوان في قطع رأس الأفعى الصهيونية الكامنة في القاهرة!

وبدأت عمليات النظام الخاص في ضرب مصالح الرأسمالية اليهودية في مصر، صاحبة القسط الأكبر في دعم وبناء المستعمرات اليهودية، وتكوين فيالق عصابات الهاجاناه على أرض فلسطين. ومن تلك العمليات:

- تعطيل سفينة يهودية في بورسعيد.
- شحن الأسلحة والذخائر إلى المجاهدين في فلسطين من سواحل بورسعيد.
- تفجير محلات شيكوريل، وعمر أفندي، وصيدناوي، والشركة الشرقية للإعلانات، وشركة أراضي الدلتا بالمعادي.
- نسف بعض المساكن في حارة اليهود بالقاهرة.

ولا ينسى الأستاذ عاكف وقائع تلك الفترة الرهيبة التي عاشها، يقول: (حرب 1948م كانت مرحلة نادرة.. كان الأستاذ البنا موجودًا.. والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، وعبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية، وكان هؤلاء أقطاب حرب 1948م، وكان المركز العام للإخوان عبارة عن خلية نحل للإعداد للحرب، ومعسكرات الإخوان كانت موجودة في الهايكستب وبورسعيد وسورية والأردن. وكانت السلطات تغض الطرف عنها.

وكانت أول كتيبة تستشهد من الإخوان بها 12 أخًا، وقد مثل ذلك صدمة كبيرة للشعب المصري، وأشعلت الروح الوطنية كثيرًا، وبعدها تدفق آلاف المتطوعين على معسكرات الإخوان بصورة لافتة للنظر، كان الأستاذ البنا يرغب في الذهاب إلى فلسطين على رأس كتيبة من عشرة آلاف مجاهد، لكن الهيئة التأسيسية رفضت ذهابه، وكانت كلها من الشباب مثلي، وكان سبب الرفض ظهور بوادر التآمر على البنا؛ فخشينا عليه (رحمه الله)، فذهب الشهيد محمد فرغلي وكثير من قيادات الإخوان.. وكانت الروح المعنوية ضد اليهود والصهاينة آنذاك عالية بين الإخوان والشَّعب عمومًا. وقد شعر الإنجليز بذلك، فاستغلوا وقوع بعض التفجيرات في المحلات اليهودية، مثل شيكوريل، فاتخذوها تكأة وحجة لحل جماعة الإخوان..!)[1].

(كنا نستعد، ولكن لم أذهب.. فقد رأى الإخوان أنه لا داعي لذهاب مجاهدين جدد؛ على اعتبار أن من ذهب إلى هناك يكفي.. وكانت الأحداث أسرع من الترتيب)[2]!

نعم! كانت الأحداث أسرع من الترتيب.. أظهر المتطوعون من الإخوان ضروبًا من البسالة والفدائية أعادت إلى الأذهان بطولات الصحابة (رضي الله عنهم) في صدر الإسلام..

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (1)... مجلة (المجتمع)، 14/8/2004م، ص 38 - 39.
(2) المصدر السابق نفسه.

وأوشك أن يفشل مخطط قيام الدولة الصهيونية في المهد، وبدأت أصوات استغاثة العصابات الصهيونية من فدائيي الإخوان.. وكانت الاستجابة سريعة!

واجتمع سفراء أمريكا وفرنسا وإنجلترا في فايد يوم 1948/11/20م، وقرروا أن يتقدم السفير البريطاني باسمهم إلى السلطات المصرية بحل جماعة الإخوان المسلمين في أقرب وقت مستطاع!

وبالفعل، بعد ثمانية عشرة يومًا (7 صفر 1368هـ - 8/12/1948م)، أذاع راديو القاهرة في العاشرة مساء قرار حل الإخوان: (**تحل فورًا الجمعية المعروفة باسم جماعة الإخوان المسلمين بشُعبها في جميع أنحاء المملكة المصرية، وتغلق الأمكنة المخصصة لنشاطها، وتظبط الأوراق والوثائق والسجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال...، وكافة الأشياء المملوكة للجماعة**)[1]!!

وكان صدور قرار الحل بناء على مذكرة تفسيرية وضعها عبد الرحمن عمار بك، وقد كتب الأستاذ البنا ردًا مطولاً فنّد فيه ما جاء بها، وحالت الرقابة دون نشرها، فطبعها الإخوان على شكل منشور وزّع على الهيئات والسفارات والصحف الحرة.

وارتج العالم الإسلامي لهذا القرار المشؤوم، وبدأت محنة الإخوان الأولى، وشغلوا بمحنتهم ومآسي الاعتقالات وتشريد الأسر وغلق ومداهمة دورهم وإغلاق شركاتهم عن قضية فلسطين، وما يدور على أرضها من معارك، وكان ذلك هو الهدف الرئيسي من حل الجماعة!

وفي يوم 29/12/1948م، تم القبض على الأستاذ عاكف للمرة الثانية!

وبعد اعتقال معظم الإخوان، تُرك الإمام البنا وحيدًا، ونزع سلاحه الشخصي، وأُبعد حرسه الخاص.

---

(1) محمود الصباغ، حقيقة النظام الخاص، ص: 189 - 191.

وبدأ التفكير في النيل منه، وحيكت المؤامرة بليل، وأرسلوا من أوهم الأستاذ برغبة الحكومة في إنهاء المشكلة، وحدّد المكان في دار الشبان المسلمين بالقاهرة، ولما لم يحضر أحد ممن كان مفروضًا لهم الحضور في اللقاء انصرف المرشد، ومعه صهره عبد الكريم منصور المحامي.. وعندما همّ بركوب السيارة عاجله المخبر (أحمد حسين) بالرصاص فأصابه وأصاب صهره.. وتحامل الأستاذ المرشد على نفسه، وهمّ بالقبض على الجاني الذي فرّ من أمامه، وعاد ليعاون صهره.. ورغم أن إصابة المرشد لم تكن خطيرة إلا أنه لم يتم إسعافه، وترك لينزف ونقل إلى مستشفى القصر العيني دونما رعاية حتى لقي ربه.

أما الذين قاموا باغتيال الشهيد، فهم عصابة كانت تتكون من اللواء عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية، ورفيق دربه الأميرالاي (محمود عبد المجيد)، وكان معهما اليوزباشي (عبده أرمانيوس)، والجاويش محمد محفوظ (سائق سيارة محمود عبد المجيد)، أما المنفذان فهما المخبران بمباحث سوهاج (أحمد حسين، وحسين محمدين) اللذين جلبهما عمّار وعبد المجيد من سوهاج لتنفيذ المؤامرة.

ولقد حوكم هؤلاء القتلة بعد انقلاب يوليو 1952م، وحكم على محمود عبد المجيد بـ (15 سنة)، وعبده أرمانيوس بـ (10 سنوات)، ومحمد محفوظ بـ (10 سنوات)، وحكم بالمؤبد على (أحمد حسين - حسين محمدين).

وكان لاستشهاد الإمام البنا وقع الصاعقة على شباب الإخوان خلف الأسوار، وانصرف ذهنهم وقتها إلى التفكير في مستقبل الجماعة والدعوة بعد هذا الحادث الخطير، ويتذكر أستاذنا عاكف ما دار في ذهنه خلال تلك الفترة العصيبة، قائلًا: (.. **في ذلك الوقت، كنا إخوانًا مسلمين.. الدعوة واضحة في أذهاننا.. وأعداؤنا كثيرون.. لم تكن الرموز عندنا تختلف من أجل منصب المرشد.. كان هناك الباقوري، وعبد الحكيم عابدين، وعبد الرحمن البنا، ومصطفى مؤمن.. كانت أسماؤهم تتردد كمرشدين.. ولكن لم نكن نعير ذلك اهتمامًا.. كنا طلابًا..**

ومعنا أساتذتنا الذين نحبهم ويحبونا.. ونحترمهم ويحترموننا.. الأستاذ محمد عبد الحميد.. الشيخ سيد سابق.. الشيخ محمد الغزالي.. البهي الخولي، كلنا نعيش للإسلام.. لم يكن في ذهننا الرياسة.. لم نكن ننشغل بها.. انشغل بها أهل الاختصاص، فبعد خروجنا من السجن اجتمعت الهيئة التأسيسية والإخوان المختصون.. واختاروا الأستاذ الهضيبي، عندما سألنا: على أي أساس تم الاختيار؟ قالوا: مستشار وحافظ للقرآن، وكان رأيي: ما دام يحفظ القرآن، فإن في ذلك خيرًا - إن شاء الله).

واعتقد قتلة الإمام البنا بخيالهم المريض أن الجماعة حتمًا مقضيًا ستدخل طور الفناء باغتيال مؤسسها ومرشدها، ولكن يقين عاكف وإخوانه الثابت بأن الله ما كان ليَطُل هذه الدماء: (**كلا.. كنا نتوقع ذلك، وكان يذكرنا أن الموت يأتي فجأة، وكان يقول: (نعم الحارس الأجل)، أي إذا حان أجل المرء لا تنفعه الحراسة، ومع ذلك كنا نحرص على تأمينه وحراسته، رحمه الله، خوفًا عليه ممن لا يتقون الله**)[1].

وقبل أن نطوي أوراق هذا الفصل الخطير من حياة أستاذنا، نريد أن نجلي بعض الحقائق الهامة حول (النظام الخاص) مفخرة الإخوان المسلمين وشرفهم!

فقد كان للنظام الخاص النصيب الأوفر من سهام المهاجمين، وأباطيل المرجفين، وتم وصمه بأبشع الاتهامات التي لم ينقطع ترددها إلى اليوم، فأين الحقيقة؟! إذن لا مجال لها إلا من شهادة أحد أهم أفراد الجهاز، والذي عايش معاركه وتفصيلاته المعقدة المتشابكة، وهذا ينطبق على أستاذنا مهدي عاكف.

ففي الذكرى المئوية لميلاد الشهيد حسن البنا، وُجِّه إلى أستاذنا سؤالان حول النظام الخاص:

---

(1) حوار: شعبان عبد الرحمن، محمد مهدي عاكف، المرشد العام للإخوان المسلمون يفتح أوراقه (2).. مجلة (المجتمع)، ع1615، 5 رجب 1425هـ - 21/8/2004م، ص 40 - 41.

بعض المتحاملين يتهمون الإخوان بالعنف.. ويضربون الأمثلة بحادث الخازندار؟

- هؤلاء الناس لا يعلمون شيئًا عن طبيعة دعوة الإخوان المسلمين، فالأستاذ حسن البنا له تاريخ عظيم، ومنهج سليم، ورؤية واضحة تمامًا، ودعوته العظيمة التي كان يدعو إليها (بناء الفرد - الأسرة - المجتمع) تدل على وعيه وموضوعيته. وقد استنكر البنا هذا الحادث بشدة، وحقق مع المسؤولين عنه، ولا يقر الإخوان أعمال العنف أيًّا كان مصدرها، بل المنهج المتبع هو التغيير السلمي من خلال مؤسسات الدولة.

قبل اغتيال الإمام البنا اعتقلوا الإخوان، ولم يعتقلوا الأستاذ البنا، هل تذكر تفاصيل الحادث؟

- هذه مؤامرة صهيونية، اشترك فيها الأمريكان والإنجليز والفرنسيون.. فبعد رجوع الإخوان من حرب فلسطين عام 1948م، وقد أبلوا بلاءً حسنًا، حلّ النقراشي الجماعة بأوامر غربية، حتى يتسنى لهم إعلان الهدنة، أما الشباب الذين ذهبوا إلى فلسطين، فلم يعتدوا إلا على المعتدين الصهاينة، ولم يعتدوا على أحد في مصر، فحينما حلّت الجماعة وقبض على آلاف الناس، لو أراد الإخوان المقاومة لقاوموا، ولكن ليس من منهج الإخوان أو خطتهم قتل الناس والاعتداء عليهم، ولم يكن في نية الإخوان الخروج على النظام أو إسقاطه، وحينما حلّت الإخوان، وقال لهم: سلّموا سلاحكم سلموه، ثم اعتقلوا المجاهدين، وألقوا بهم في السجون)[1]!

وفي الذكرى الستين لاستشهاد حسن البنا، وفي حوار صحفي، كان (النظام الخاص) مدار الحديث أيضًا:

(1) مج (المجتمع) حوار: د.جمال نصار، مائة عام على ميلاد الشهيد حسن البنا، ع 1723 - 22 رمضان 1427هـ - 14/10/2006م، ص34 - 35.

بصفتك أحد أعضاء النظام الخاص للجماعة، هناك اتهامات مباشرة بأن النظام هو من تسبّب ولو بشكل غير مباشر في اغتيال حسن البنا مؤسس الجماعة كرد فعلي على عمليات العنف والقتل التي قام بها أعضاؤه ضد بعض كبار رجال الدولة؟

أجاب الأستاذ عاكف: النظام الخاص لم يقتل أحدًا، فالنفس البشرية هي أكثر قداسة عندنا من الكعبة.

إذًا، بماذا تفسر قتل أعضاء النظام النقراشي والخازندار، وغيرهما؟!

- لقد تمت هذه العمليات بشكل فردي، ولم تكن من سياستنا أو منهجنا مهما تصاعد الظلم ضدنا، وأحب أن أشير إلى أن الشعب المصري في هذا الوقت كان حيًا، ورجاله لا يقبلون الظلم أو الضيم، وأعضاء النظام الخاص وغيرهم شعروا بظلم لا يحتمله أحد، وبالتالي كان رد فعل بعض أعضاء الجماعات والتيارات السياسية على قدر هذا الظلم، فتم قتل النقراشي والخازندار وبطرس غالي وأحمد ماهر، ومن نفذ ذلك لم يكونوا كلهم إخوانًا.. النظام الخاص لم يقتل بالطبع الإمام، وهناك من يقف وراء ترويج تلك الرواية من أجل نشر التضليل والأكاذيب، فهناك مكاتب متخصصة تتقاضى الملايين حتى تسيء لسمعة الإخوان مدفوعة من بعض الفاسدين والمستبدين، والقضية حسمت، وصدر فيها أحكام، وثبت أن وكيل الداخلية هو من قام بالتخطيط والتدبير لعملية الاغتيال، وكل من شارك في تلك العملية استمر في السجن حتى أصيب بالعمى.

أرى أنك تدافع عن النظام الخاص.. ألا ترى أنه السبب في توجيه النقد واللوم للجماعة على مدى العقود الستة الماضية؟!

- النظام الخاص للجماعة أنشئ في ظروف خاصة جدًا.. فمصر كانت تحت الاحتلال الإنجليزي، إضافة إلى الأميّة العسكرية لدى الشعب المصري، في ذلك الوقت، حيث كان كل فرد يمكنه دفع عشرين جنيهًا يستطيع التخلص من الخدمة العسكرية..

ودور الجهاز الخاص انحسر في إعداد نخبة منتقاة من الإخوان المسلمون للقيام بمهمات خاصة، والتدريب على العمليات العسكرية ضد العدو الخارجي، وذلك لمصلحة مصر وليس ضد الداخل، إلا أن النظام الخاص تم كشفه بشكل كبير في المحاكمات التي قدمت لها الجماعة في عام 1949م.. في الوقت الذي لم يكن فيه قيادات الجماعة تعلم بأمر هذا التنظيم الخاص، مما تسبب في أزمة بعد كشفه فيما أطلق عليه ثنائية القيادة؛ لذلك قرّر الإمام الهضيبي إعادة تشكيله، وجعل قيادته مركزية تتبع مكتب الإرشاد والمكاتب الإدارية للجماعة بالمحافظات المختلفة، وبعدها بعام ألغاه المستشار الهضيبي بشكل كامل على أساس أنه كان نظامًا سريًا ولا يعرفه إلا القليل، ومهمته انتهت؛ لأنه تم إنشاء جهاز علني يدعى (الجهاز الوطني) لتدريب الناس على الأعمال العسكرية للدفاع عن البلاد)[1].

(1) ج (الشروق): في الذكرى الستين لاغتيال حسن البنا، 26/2/2009م.

في مـدرسـة الطـور

وتم احتجاز الأستاذ عاكف وآخرين في سجن بمنطقة الهايكستب، ولم يُحقق معهم في شيء، فلم يكن لهم صلة بحادث اغتيال النقراشي باشا.. وكان معهم في السجن بعض اليهود معتقلين أيضًا.. وكان معهم أيضًا كبار الشيوعيين مثل هنري كورييل ورومانديك ومجموعة من الشيوعيين اليهود.

ومع بداية الهدنة الأولى في حرب 1948م - والتي كانت سبب المصائب التي حلّت على المنطقة كلها - أقام اليهود داخل السجن احتفالًا؛ لأن الهدنة فكّت الحصار عن 120 ألف يهودي، كانوا محاصرين في القدس.. وكان في الزنزانة حوالي 12 أخًا، وكانوا يطلقون عليهم أولاد الباشوات! وكانوا فعلًا كذلك، وبحرارة الشباب وتوهجه، كانوا يشعرون بالغيظ الشديد: كيف أن دماء الشهداء في فلسطين لم تجف بعد واليهود داخل المعتقل يحتفلون، ويحتسون الخمر، ويحدثون صخبًا، فقرروا أن يتم (التنكيد والتنكيل بهم!)، ويحكي الأستاذ عاكف عن ذلك الموقف قائلًا:

".. كان شراب الكوكاكولا قد ظهر في بدايته، فملأنا زجاجات فارغة رِمالًا، وجعلنا أحد الإخوان يطفئ أنوار السجن.. وقذفنا بالزجاجات من الشبابيك عليهم.. ثم عدنا وجلسنا على أسرّتنا، وكأن شيئًا لم يحدث، بينما اليهود يضربون في بعضهم البعض!.. وهم سكارى، وكان قائد المعتقل صعيديًا واسمه عبد الحفيظ، فدخل علينا في المساء، ونحن جلوس نحتسي الشاي، وقال موجهًا كلامه لي: عملتها يا عاكف!!.. "عملتها" بلهجته الصعيدية"[1].

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (1).. مجلة (المجتمع)، 14/8/2004، ص39.

وبعد هذه الواقعة بأسبوع، تم تحويل الأستاذ عاكف ومجموعة الطلاب إلى جبل الطور، وكانوا حوالي 400 طالب، منهم عز الدين إبراهيم، ورشاد رفيق (الذي حصل على جائزة الملك فيصل بعد ذلك)، وجمال السنهوري، ونفيس حمدي.. والشيخ القرضاوي، والشيخ الغزالي، والشيخ سيد سابق، ومحمد عبد الحميد، وكانوا مشايخ المعتقل رغم أنهم ربما لم يتعدوا الثلاثين عامًا، ولكن الطلاب كانوا في سن الـ 18 والـ 19 عامًا.

ويقول الأستاذ عاكف عن جبل الطور: "**مدرسة ضخمة تربينا فيها ونعتز بها، وكان معسكرًا دام سنة، ثم خرجنا عندما سقطت وزارة إبراهيم عبد الهادي، وجاءت وزارة النحاس**"[1].

"وُضِعْنَا في معتقل هايكستب، في ضواحي القاهرة، الذي جمعت فيه أعداد كبيرة من الإخوان، وفي الصباح نقلونا إلى مدينة السويس، حيث كانت تنتظرنا الباخرة (عايدة)، وعرفنا أن الباخرة ستنقلنا إلى (جبل الطور)، ومضت السفينة تمخر عباب خليج السويس، متجهة إلى الطور، وقد شغل الإخوان أنفسهم بذكر الله وقراءة القرآن...

وعندما وصلت الباخرة (عايدة) إلى (الطور) نزلنا منها لنوضع في الأماكن التي أعدت لتكون معتقلاتنا، وهي الأماكن التي كان يحجز فيها الحجاج قبل نزولهم إلى مصر لتكشف عليهم السلطات فتستوثق من خلوهم من الأمراض الخطيرة المعدية، التي قد تكون قد تسربت إليهم من حجاج آخرين جاؤوا من أقطار العالم.

وكان المعتقل مقسمًا إلى (حذاءات)، وكل حذاء مقسم إلى عنابر، والعنبر قاعة أو حجرة واسعة. وقد حللنا في الأحذية الثلاثة: حذاء رقم (1)، وحذاء رقم (2)، وحذاء رقم (3). أما حذاء رقم (4) فكان فيه قليل من الشيوعيين سبقونا إليه.

(1) نفس المصدر، ص39، (وقد نقلنا بتصرف ما حدث في معتقل جبل الطور والهايكستب من مذكرات الشيخ القرضاوي "ابن القرية والكتاب، المجلد الأول).

وبمجرد نزول الإخوان إلى أحذيتهم، كان أول ما فكروا فيه أن ينشئوا في كل حذاء مسجدًا، ويختاروا له إمامًا يؤم الإخوة في الصلوات الخمس. واختار الإخوان أميرًا لهم في المعتقل، هو أستاذنا (البهي الخولي) أكبر الدعاة الموجودين في المعتقل، ورفيق الأستاذ البنا، ولكنه استدعى للقاهرة للتحقيق معه في قضية تتعلق بالنظام الخاص، كما استدعى الأستاذ عمر التلمساني للقاهرة أيضًا، فاختار الإخوان أميرًا آخر اجتمعت كلمتهم عليه هو الشيخ محمد الغزالي، وكان معتقل الطور هو المخيم الدائم للإخوان!

في معتقل الطور، كان اليوم يبدأ من قبل الفجر بساعة، يستيقظ الإخوة استعدادًا لصلاة الفجر وقيام الليل، ثم يتقدم الشيخ الغزالي للصلاة، ويقرأ من القرآن ما توقف عند ورده، واعتاد الشيخ أن يقنت بعد القيام من ركوع الركعة الأخيرة، لا سيما في الصلوات الجهرية دعاءً على الظالمين، والدعاء بالتثبيت والصبر على النوازل ومحنة السجن، وبعد صلاة الفجر تقرأ المأثورات، ثم نجتمع في حلقات دراسة مع المشايخ حول بعض الموضوعات الدينية والعلمية، حلقة مع الشيخ الغزالي حول السيرة النبوية، وحلقة مع الشيخ سيد سابق حول الفقه، وغيرهما..

وقبل طلوع الشمس نَنْفَضُّ من هذه الحلقات، ثم يبدأ نشاط آخر وهو النشاط الرياضي، فقد قامت دعوة الإخوان على صياغة الفرد الإنسان والشخصية المسلمة على دعائم متكاملة روحيًّا بالعبادة، وعقليًا بالثقافة، وجسمانيًا بالرياضة.

وأوكل إلى الأستاذ (عاكف)، قيادة النشاط الرياضي في جبل الطور، يعطيهم التمرينات التي يسمونها (التمرينات السويدي)، ثم تمرينات الركض (الجري) والوثب والزحف وغيرها، وتستمر في ذلك صباح كل يوم نحو الساعة.

ويتنوع النشاط من أداء الصلوات جماعة والندوات والحلقات الثقافية والدعوية والتزاور والتعارف بين الإخوة توثيقًا للروابط الأخوية.

وصدق أستاذنا العلامة القرضاوي، حين قال:

هذا هو الطور شاؤوا أن نذوب به وشاء ربك أن نزداد إيمانا!

ونُقِلَ الطلاب مرة ثانية إلى معتقل الهايكستب عبر وسائل (لوري) في طرق عير معبدة، وفي أجواء طقس سيئ في ربيع 1949م، ومعتقل (الهايكستب)، كان معسكرًا للجيش الإنجليزي تخلّى عنه، فاُسْتُخدِم معتقلًا لبعض المصريين، وكان فيه من المعتقلين قبل الإخوان جماعة من الشيوعيين وبعض الوفديين اليساريين، وبدؤوا تنظيم حياتهم في هذا المعتقل مستفيدين من تجربتهم السالفة في الطور، وتم ترحيلهم مرة ثانية من هايكستب إلى الطور في يوليو 1949م/ رمضان 1368هـ، وفي 29 رمضان 1368هـ / 25 يوليو 1949م، أذيع النبأ السعيد بسقوط وزارة إبراهيم عبد الهادي هدية من الملك إلى الشعب بمناسبة عيد الفطر! وذهبت وزارة (العسكري الأسود) التي شردّت الإخوان وقتلت مرشدهم الأستاذ البنا، ومنعت تشييع جنازته.

وجاءت وزارتا حسين سري (من 26 - 7 - 1949م إلى 3 - 11 - 1949م)، (3 - 11 - 1949م إلى 12 - 1 - 1950م)، وأتت وزارة النحاس باشا عبر انتخابات نزيهة في 13 - 1 - 1950م، وبدأ الإفراج عن طلاب الإخوان وكثير من الإخوان، والحكم في قضية (السيارة الجيب) وقضية (الأوكار)، وتم براءة الإخوان من كثير من التهم الظالمة التي لصقت بهم زورًا في عهد حكومة الأقلية السعدية (النقراشي باشا - إبراهيم عبد الهادي).

ومن المواقف التي حدثت للأستاذ عاكف أثناء اعتقاله في معتقل الطور أنه ضاع عليه امتحان العام؛ نظرًا لأن الكلية عملية، غير أنه فوجئ بعميد الكلية يطلب من إدارة السجن أن يؤدي الامتحان في المعتقل، فتمّ ذلك في مارس من نفس العام، وظهرت النتيجة في إبريل ونجح، وكان ذلك لتدخل د. طه حسين لدى العميد لإعادة امتحانه.

تخرّج، وكان السادس على دفعته، وكان حقه التعيين في القاهرة، غير أن البوليس السياسي رفض، وخيّره بين المحافظات فاختار طنطا، حيث استطاع أن يحصل على توجيهي أدبي، ويلتحق بكلية الحقوق بعدما انتقل إلى مدرسة "سرس الليان"، وكانت تتبع منظمة "اليونيسكو".

بعد رحيل الإمام

انتقل الإمام الشهيد حسن البنا إلى جوار ربه راضيًا مرضيًا، وكان الإخوان في السجون والمعتقلات، واعتبر صالح عشماوي هو القائم بأمر الجماعة باعتباره الوكيل العام لها، وطبقًا لقانون الجماعة، كان على الهيئة التأسيسية أن تجتمع لتختار المرشد العام، ولكن حدث ونشاط الجماعة مازال محظورًا أن دعا منير دلة (رحمه الله) الأربعة الكبار الذي كانت تدور بينهم توقعات الاختيار (عبد الحكيم عابدين - السكرتير العام، وعبد الرحمن الساعاتي - شقيق الأستاذ البنا والمراقب العام، والشيخ الباقوري، وصالح عشماوي - الوكيل العام) اجتمعوا في منزله بالدقي، وسألهم عن رأيهم فيمن يلي الأمر!

وبعد أخذ ورد لم يتفقوا على واحد منهم، فقال منير دلة: أنتم مختلفون، ولم تتفقوا على رأي، فما رأيكم لو أحضرنا رجلًا كبيرًا يكون أبًا لكم جميعًا، ويكون رمزًا - مجرد رمز - ثم أنتم كل شيء بعد ذلك؟! ما رأيكم في حسن بك الهضيبي؟

ولما كان كل من الأربعة المجتمعين يشك كثيرًا في أن يؤول الأمر إلى نفسه، ولذلك وجدها كل منهم فرصة لإعادة تجميع الأنصار وزيادة عددهم حتى تجتمع الهيئة.

فأظهروا القبول على اختيار الأستاذ الهضيبي، ولكنهم جميعًا صُدِموا بأن الهيئة لن تجتمع لظروف قانونية وأمنية، وعلى ذلك كُتِبَت ورقة باختيار الأستاذ الهضيبي مرشدًا عامًا لتُؤخَذ عليها الموافقة بالتمرير، وقُدِّمت أول ما قُدِّمت إلى

صالح عشماوي فوقّع عليها متورطًا، وكل من وَقَّع عليها بعد ذلك قال إنه وَقّعَ لأنه وجد توقيع صالح عشماوي!

ولقد اجتمعت الهيئة بعد ذلك في المركز العام المؤقت الذي أقامه الإخوان بمنزل صالح عشماوي بالظاهر، وأعلنت انتخاب المستشار حسن الهضيبي مرشدًا عامًا، وقام عبد الحكيم عابدين فأعلن مبايعته مرشدًا. ثم كان أول خطاب للأستاذ الهضيبي للإخوان يوم الثلاثاء 23 أكتوبر 1951م، قال فيه: "**هذا أول لقاء بيني وبينكم، ويسعدني أن أوصيكم أيها الإخوان بتقوى الله وطاعته والإقبال على الله وترتيل القرآن الكريم.. وأن تستعدوا في هذه الظروف التي تمر بها بلادنا، والله معنا ينصرنا ويوفقنا**"[1].

ويحدثنا الأستاذ عاكف عن ملابسات تلك الفترة المهمة في تاريخ مصر والجماعة معًا، من اختيار الأستاذ الهضيبي واندلاع معارك الفدائيين في القناة ضد المحتل الإنجليزي، فيقول: "استرحنا لكونه مستشارًا وحافظًا للقرآن الكريم، وعندما أتى الهضيبي (رحمه الله) كنت قد بدأت العمل في المركز العام في القسم الرياضي، وجعلني عبد الرحمن السندي (رئيس التنظيم الخاص) رئيسًا للقسم، حتى يكون العمل علنيًا، ويخرج من إطار السريّة، وكانت فكرة د. خميس حميدة - نائب مرشد الإخوان (رحمه الله) - أنه بعد انتهاء مهمة (النظام الخاص) التي كانت متمثلة في محو الأمية العسكرية لدى الشعب المصري عندما كان الاحتلال جاثمًا على أرض مصر، وقد كان يُختار للنظام الخاص أُنَاس على أعلى مستوى من الخلق والدين والتربية؛ لحماية الوطن ومقاومة الاحتلال.

وبالفعل، عمل معنا عبد الرحمن السندي وأحمد زكي علنًا، ولكن من تعوّد على السريّة من الصعب أن يخرج إلى العلن بسهولة، فظل السندي غير قادر على

(1) أحمد عادل كمال، النقط فوق الحروف، ص251.

التعايش مع الأستاذ حسن الهضيبي، كما كنت أنا أيضًا غير قادر على التعامل مع الأستاذ الهضيبي؛ فالأستاذ البنا (رحمه الله) كان يعرفنا جميعًا فردًا فردًا، ويخالطنا دائمًا، أما المستشار الهضيبي (رحمه الله) فكان رجلًا قليل الكلام!

وذات مرة، غضب الهضيبي من الإخوان، وسافر إلى الإسكندرية، وكنت حينئذ رئيس قسم الطلاب ورئيس قسم الرياضة، فلم يعجبني ذلك، فركبت سيارتي، وتوجهت إليه في الإسكندرية، ودخلت عليه فقال: "**لا تتكلم** – ولم يكن بيني وبينه سوى الأخوة العامة والجندية والقيادة، لم تكن العلاقة وثيقة كما كانت مع البنا – **سأحكي لك أنا**"، وظل يحدثني عن الإخوان، ولما ذهبوا إليه وأتوا به على أساس أن الجماعة كل شيء فيها منضبط، وإنما هو رمز... ولكنه وجد مشكلات كثيرة.. مشكلات في مكتب الإرشاد وأفراد النظام الخاص..

فلما حكى لي كل شيء بالتفصيل احترمته جدًا، وخرجت من عنده وهو أحب الناس إليّ، وتوثقت العلاقة بيني وبينه، وربما يظن كثير من الناس أن (عاكف) لم يكن منسجمًا مع الأستاذ الهضيبي في ذلك الوقت.. ولكن سأحكي واقعة:

في إحدى المرات، اجتمعت الهيئة التأسيسية لبلورة موقف الإخوان من الأحزاب وغيرها. فقد كان للأستاذ الهضيبي رأي واضح وصريح في هذه المسألة، وكان من مبادئ الإخوان عدم دخول الانتخابات للخروج من حيّز الأحزاب.. وقد اجتمعت الهيئة لإقرار هذا المبدأ والتأكيد عليه.

كانت الصحافة تنتظر خروج الأستاذ الهضيبي ليدلي بتصريحات وتنتظرني أيضًا لأدلي بتصريحات مخالفة له.. فأردت أن أصفع من ينتظرون معركة تصريحات بيني وبين الهضيبي، وبينما نحن خارجون وينظر الجميع إلينا مترقبين ما يحدث، اتجهت إلى الأستاذ الهضيبي وتناولت يده فقبّلتها، وأفسدت بذلك كل ما كانوا يخططون له وينتظرون حدوثه.. حتى إن أحدهم قال لي من غيظه: يا منافق!!

كان هذا في بداية تعارفي بالأستاذ الهضيبي، فما بالك بعد توثق العلاقة بيننا، وبعد أن صرنا أخوين حبيبين؛ كان يسرّ إليّ بما يريد، وإذا أحبّ أن يستريح أتى إليّ، كان ذلك من عام 1951م إلى 1954م)[1].

وما إن خرج رجال النظام الخاص من المعتقلات في أوائل (1950م - 1951م) حتى بدؤوا في إعادة تكوين صفوفهم وتنظيمها حسب برامج جديدة لتلاشي الأخطاء التي أدت إلى محنة 1948م، وأعلنت وزارة الوفد إلغاء معاهدة 1936م في 26 - 10 - 1951م، ووقف النحاس باشا وقال: "**باسم مصر وقعت معاهدة** 1936م، **وباسم مصر ألغيها**"، فأصبح لهم مجالًا متسعًا للنشاط المسلح ضد الإنجليز بمنطقة القناة، ولقد أقام النظام معسكرًا ممتازًا للتدريب بعزبة الحاج إبراهيم نجم بالشرقية، وكان يقوم بالتدريب فيه يحيى عبد الحليم وجمال فوزي ويوسف علي وغيرهم، في حين راحت مجموعات النظام تُغِير على دوريات الإنجليز وعلى معسكراته، فتنسف مخازن ذخائره في "أبو سلطان" وفي غيرها من مسالحهم بالشرقية ومنطقة القنال، ومن أهمها:

- مهاجمة دورية مصفحة جنوب القنطرة.
- قذف مئات من سيارات الاحتلال بالقنابل والزجاجات الحارقة.
- نسف مخازن الذخيرة بأبي سلطان.
- تدمير أنابيب الماء التي تغذي المعسكرات الإنجليزية.
- نسف قطارات الإنجليز في مناطق السويس والإسماعيلية.
- ضرب سيارة مصفحة بمعسكر القرين.

---

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (2)، مجلة (المجتمع)، ع1616، 5 رجب 1425هـ - 21/ 8/ 2004م، ص41 - 42.

- نسف خط السكة الحديد بقرية الحماد.

- معركة التل الكبير.

- إحراق مخازن البترول في جبل عتاقة بالسويس.

- مهاجمة مطار الديفرسوار.

- محاولة مهاجمة مطار كسفريت، وعمليات أخرى يضيق المجال بحصرها.

وعلى الفور، أقام الأستاذ عاكف معسكرات في قلب الجامعة يدرب الطلاب بالذخيرة الحيّة على مقاومة الاحتلال، وسط ترحيب من أساتذة الجامعة.

وفي سؤال ملغم للأستاذ عاكف: **كيف سمحت لكم الجامعة بهذه المعسكرات، وكيف تعاملت معكم السلطات؟**

أجاب الأستاذ عاكف قائلًا: "الجامعة تحملت المسؤولية؛ لأن الإدارة كانت وطنية، والسلطات تغاضت تمامًا... وقد أقمنا المعسكرات؛ لأننا أردنا أن نكون عمليين أكثر في مقاومة الاحتلال، وكنت قائدًا لمعسكر جامعة إبراهيم (عين شمس حاليًا).

.. نحن وضعنا بعض الأهداف للمعسكرات، وكان منها: محو الأمية العسكرية لدى الشعب المصري المحتلة أرضه.. وكان لا يقوى على الصمود ومواصلة التدريب إلا القليل، وهم الذين كانوا يذهبون للقتال في القناة ضد الاحتلال الإنجليزي، ولكن التدريب كان مفتوحًا ومتاحًا للكل، وظهر من شباب الجامعة رجالًا من غير الإخوان أعتزّ بهم حتى الآن، بل ومن النصارى، فقد كان معنا أحد النصارى الموسرين، وكانت لديه سيارة فخمة، وكان يصرّ على أن يقود لي السيارة بنفسه.. كما أن سيدة ميسورة الحال (اسمها قوت الدمرداشية) - صاحبة مستشفى الدمرداش الذي تحول بعد ذلك إلى كلية الطب - أرسلت لي

سيارة، وكنت معروفًا جدًا آنذاك.. ولما جاء ابنها - وكان طالبًا بكلية الطب - وقال لي: هذه السيارة هدية لك، فقلت: أما لي فلا، وأما للمعسكر فنعم، فردّت عليّ والدته قائلة: لاستعمالك الشخصي في المعسكر، فقلت: وهو كذلك، وبعد نهاية المعسكر أعدتها إليهم مع خطاب شكر!

وكان يرأس "جامعة إبراهيم" أستاذ جليل هو الدكتور محمد كامل حسين - كبير جراحي العظام في الوطن العربي - وكان يشاركنا جهادنا، وقد أرسل لي عميد كلية الحقوق د. عثمان خليل - وكنت طالبًا بها بعد أن أنهيت الدراسة في كلية التربية الرياضية - وقال لي: يا عاكف.. مدير الجامعة يريد تنظيم حفل افتتاح للمعسكر حتى يحضر، فقلت له: أنت رجل قانوني، ونحن في هذا المعسكر داخل حرم الجامعة نعد ناسًا خارجين على القانون (وكان أحد لا يستطيع دخول المعسكر.. لا احتلال ولا أمن ولا غيره)، فإن كنتم تريدون أن تشاركونا في المسؤولية فمرحبًا.. ثم أرسل لي رئيس الجامعة مرة أخرى عميد كلية الهندسة، ثم قائد حرس الجامعة بنفس الرسالة، ثم أرسل لي رسالة بالحضور فذهبت إليه، وكان رجلًا محترمًا، فقال لي: إنه لشرف عظيم - يا بني - أن أشارككم جهادكم"[1].

(وكان وزير الداخلية آنذاك فؤاد سراج الدين باشا، وكان رجلًا متعاونًا تعاونًا كاملًا، ولولا ذلك لما أخذنا حريتنا في العمل..!!)[2].

وقد استمر المعسكر حتى عام 1952م، وعند قيام انقلاب يوليو، قام الأستاذ عاكف بتسليم المعسكر لكمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة، بعد إنشاء الحرس الوطني.

---

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (1)، مجلة (المجتمع)، 14/8/2004م، ص37 - 38.

(2) نفس المصدر، ص38.

وفي حادثة لا ينساها أستاذنا عاكف، توضح ما يقوم به بعض الشيوعيين للدسّ للإخوان ورميهم بالاتهامات المغرضة، كعادتهم دائمًا، يقول: ".. كانت هناك انتخابات لاتحاد الطلبة في الجامعة، فجاءني بعض الإخوة، وقالوا: الشيوعيون وزّعوا منشورًا على نطاق واسع داخل الجامعة.. بعنوان: أين السلاح يا عاكف؟!

فقلت لهم: أعلنوا عن عقد مؤتمر، وأنا قادم، وانتظرت الجامعة كلها محمد عاكف.. وكانت الجامعة قبل انقلاب يوليو قد حدّدت ستة من الأساتذة للإشراف على إنفاق المعسكر.. وقد وجه لي هؤلاء الأساتذة في نهاية المعسكر خطاب شكر، وكان رئيس الجامعة (د. محمد كامل حسين) يقول لي: "لم أجد آمن منكم"، ولم يكن أحد غيره عنده ملف المعسكر بالكامل، وكان يعرف ماذا اشترينا وماذا فعلنا..

المهم.. ذهبت إلى المؤتمر، ومعي خطاب الشكر من الأساتذة، وقلت كلمتي: **"يؤسفني أن يكون هذا المعسكر الضخم الذي تم تنظيمه لمقاومة المحتل مثار تهكّم، ومجالًا للتكسب الحقير والدعاية الرخيصة من بعض الأحزاب الذي لم تشترك فيه، ليشوهوا هذه الحركة المباركة الضخمة.. ويكفي أن الأستاذ فلان والأستاذ فلان - أساتذة كبار - قدموا لي خطاب شكر، ثم أخرجت الخطاب وقرأته، فظلّت الصالّة تصفق حوالي 10 دقائق.. وأُطفئت الفتنة في مهدها!)**[1].

وأخذت الأنباء تتوالى عن سير المعارك على ضفاف القنال.. وأنباء أخرى عن تشديد قبضة الحكومة على العمل الفدائي.. وعن تباطئها في تزويد عساكر بلوكات النظام المحاصرين في مبنى محافظة الإسماعيلية بالسلاح الكافي لفك حصار الإنجليز؛ مما أدى إلى استشهاد عدد كبير من هؤلاء العساكر.

(1) نفس المصدر، ص 38.

ارتفعت درجة غليان الشعب لهذا الحادث الأليم... ازداد الإحساس بأن القاتل الحقيقي يكمن في قلب القاهرة.

وفي صباح اليوم التالي، اندلعت المظاهرات وتبعها نشوب حرائق في وسط البلد طال كل مكان من ملاهٍ وفنادق ومكتبات ترمز لنظام الحكم والإنجليز!

ومع غروب شمس يوم 26 يناير، كانت عربات الجيش تحكم قبضتها على قلب ومداخل القاهرة.

وسرعان ما سقطت الوزارة، وكان هذا اليوم هو آخر عهد حزب الوفد بالحياة السياسية، وبعد تشكيل الوزارة الجديدة على يد مطفئ الحرائق (علي ماهر باشا)، تم إيقاف العمل الفدائي على ضفاف القنال لترك الفرصة للمفاوضات.. وكانت البلد في فترة سكون مريب مشوب بالقلق والترقب حتى هبّت العاصفة في صباح 23 يوليو 1952م.

23 يوليو.. الخدعة الخبيثة

كان للإخوان الدور الرائد في تنبيه الشعور القومي والوطني، وبعث الحس الإسلامي الكامن في نفوس الذين يحلمون بدولة عظيمة يحكمها الإسلام، واستطاعت شُعَب الإخوان المنثورة في قرى مصر كلها أن تجنّد الشعب المصري كله بطوائفه كافة في مختلف المجالات، وفي حدود فاق وجودها لحرب الإنجليز والسراي والفساد.

وخرج الفدائيون إلى القنال من شباب الإخوان يدمرون القطارات، ويهاجمون المعسكرات، وصارت القاهرة هي بؤرة الأحداث، وجاء إليها كل مندوبي الصحافة ووكالات الأنباء من سائر أنحاء العالم، وبدأ الضغط الجدي على بريطانيا في الجلاء عن مصر، ويبدو أنها قد استجابت لهذه الضغوط الممثلة في الاعتداء على معسكراتهم ومحاولة خلعهم بالقوة من مصر.

وبدأ العد التنازلي للاحتلال الإنجليزي لمصر، وصار واضحًا لجميع المراقبين والمحللين أن الإنجليز يبحثون عن طريقة مثلى للخروج من مصر، وأن المسألة مسألة وقت ليس إلا.

وكان الإنجليز يتفاهمون مع الأمريكان في ذلك الحين على ترتيبات الخروج، وكيف ستكون السياسة بعد خروجهم، وكيفية تكريس انفصال مصر عن السودان.

وعلى مستوى البناء (التحتي) - كما يردد الماركسيون - استطاع الإخوان في زمن وجيز بعد تعافيهم من محنتهم الأولى عام 1948م، أن يجعلوا من القضية الوطنية الدينية شغل الناس الشاغل، وبدأت الجماهير تفكر مليًا في الجرائم

التي يرتكبها القصر والبوليس السياسي. وتهيأ المسرح لحدث جديد سوف يكون وبدت معالمه تتشكل في الأفق مؤذنة بفجر جديد!

يقول الأستاذ عاكف عن فجر انقلاب يوليو 1952م: ".. قام الانقلاب في 23 يوليو، وكان للإخوان دور كبير فيه، ونجاح الانقلاب يوجع إلى رغبة الشعب في ذلك الوقت في تغيير الأوضاع، وظلت العلاقة بين حركة يوليو والإخوان على خير حال حتى بدأ رجال الحركة تغيير سياستهم المتفق عليها في المبادئ الستة التي أعلنوها، فأرسل الأستاذ الهضيبي خطابًا يطالبهم بتحقيق المبادئ التي اتُفِقَ عليها، من احترام الحريات والدستور والإنسان، والعمل على تحقيق مبادئ الإسلام العظيم، للحفاظ على أخلاق الأمة وهويتها"[1].

ولكن لم يكن الأمر هكذا، فمنذ اليوم الأول لانقلاب يوليو 1952م، أخذ جمال عبد الناصر يمهد في صمت وخبث للقضاء على جماعة الإخوان المسلمين التي تتزعم العمل للإسلام في مصر والعالم الإسلامي.

فبعد نجاح الانقلاب بأيام، التقى المرشد العام وجمال عبد الناصر في بيت صالح أبو رقيق، وقال له: "ليس هناك اتفاق تفصيلي على شيء مع هؤلاء يا فضيلة المرشد، وها هم أمامك"!! ولم يعلق أحد من الجالسين، وكان منهم صلاح شادي وحسن عشماوي! وسكت المرشد بقية الجلسة التي استمرت ساعتين، وفي نهايتها قال لمن معه: "لا خير يرجى من هذا الرجل"!!

وفي سبيل تحقيق هدف جمال عبد الناصر في ضرب الإخوان والقضاء عليهم، سلك في سبيل ذلك كل السبل الممكنة علنية أو سرية، فقام في يناير 1953م بحلّ جميع الأحزاب السياسية في مصر بحجج وأساليب ابتدعها، واستثنى جماعة الإخوان من قرار الحل باعتبارها جماعة دينية.

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (2)..21/8/2004م، ص42.

ولكن عبد الناصر كان يرمي من وراء ذلك ألا يتحد الإخوان مع الأحزاب ضد قرار الحل على طريقة "فرّق تسد"، وبعدها ينفرد بضرب الإخوان في الوقت المناسب دون معارضة من أحد، فلا أحزاب ولا صحافة، وهكذا يتحقق القول "أُكلت يوم أكل الثور الأبيض".

وبدأ عبد الناصر في استقطاب أنصار من صفوف الإخوان من أمثال: الشيخ سيد سابق والسندي وغيرهما، ومحاولة تشكيك الإخوان في صلاحية الهضيبي كمرشد للجماعة، وتأييد بعض الشبان من أعوان السندي لمحاصرة دار المرشد العام، ومحاولة إرغامه على تقديم استقالته، بل وأرسل من أوعز إلى السندي في فترة من فترات الصراع أن يقوم باغتيال الهضيبي، وأكد له أن الحكومة سوف تغض الطرف عن هذا، ورفض الرجل هذه الفكرة.

وعايش الأستاذ عاكف هذا الصراع، واختلاف بعض الإخوان على الأستاذ الهضيبي، وكان مشاركًا فيه بالنصيحة والإرشاد، ويقول موضحًا الحدث وما دار حوله بكل موضوعية قائلًا: ".. في ذلك الوقت كنت رئيسًا لقسم الطلاب.. وأراد البعض الاعتداء عليه في بيته، والسيطرة على المركز العام.. وكنت أشرف على معسكر في حلوان، ولم أعرف بتلك الواقعة إلا في صباح اليوم التالي من خلال الصحف.. وقبل هذا اليوم كان طلاب الجامعة قد دعوني في المنيل للتعرف على أسباب فصل بعض الإخوان: السندي، وسيد سابق، والغزالي، وصالح عشماوي، وغيرهم، ودخل علينا عادل كمال، فسألته: لماذا أتيت؟! أنت مفصول من الجماعة، ولا يجوز لك الحضور، فخرج وكان معه بعض المفصولين، وهم إخوتي في الله، ولكن بعض الإخوان من الحضور أصرّ على معرفة سبب فصلهم، فاقترحت عليهم أن نذهب - كوفد - إلى الأستاذ الهضيبي للحديث معه في هذا الشأن، وبالفعل ذهبنا إليه، ومكثنا حوالي ساعتين نستمع إليه، ولكنه لم يذكر كلمة واحدة

عن سبب فصلهم.. بل قال: **نحن في مكتب الإرشاد قرّرنا ألا نعلن أسباب الفصل.. فشكرناه وخرجنا، وانتهت القضية.. وانصرف كل منّا إلى حاله**"[1].

ويعقب الأستاذ عاكف على مسلكية الإمام المرشد، قائلًا: "ولو قرأ الناس خطاب الفصل لعلموا من هو حسن الهضيبي ومن هم الإخوان... فقد نصّ الخطاب على أنه قد تم فصلهم - بكل بساطة - لأنهم لا يستطيعون التجاوب مع أسلوب الإخوان في الدعوة، وأرادوا أن يخدموا الإسلام بأسلوب آخر، فسألنا الله لهم التوفيق.. وهكذا لم يوجه إليهم سب ولا نقد"[2].

وسار عبد الناصر في طريقه يدير الصراع في حنكة ودهاء، فبدأ بقرار حل الجماعة في يناير 1954م، واعتقل الآلاف منهم، وأودعهم المعتقلات والسجون المدنية والحربية، واتهمهم بمحاولة قلب نظام الحكم والاتصال بالإنجليز والتآمر معهم، وتكوين أسر إخوانية داخل وحدات الجيش والبوليس.

ولم ينته شهر مارس حتى هبّ الشعب المصري مع الإخوان، وعلى رأسهم الشهيد القاضي "عبد القادر عودة" في مظاهرة شعبية لم يسبق لها مثيل حتى وصلت إلى ميدان عابدين، طالبت بعودة نجيب والإفراج عن المعتقلين، وعلى رأسهم معتقلو جماعة الإخوان المسلمين.

وأمام هذه الثورة الشعبية العارمة في ميدان عابدين، استجاب عبد الناصر لهذه الصيحات لإنقاذ الموقف (تكتيكيًا) وتفاديًا لثورة محققة، فأعاد محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية، وأفرج عن الإخوان المسلمين مدنيين وعسكريين...، وقام هو والصاغ صلاح سالم بزيارة شخصية لفضيلة المرشد في منزله بالروضة بالقاهرة مسلمًا ومعتذرًا!

---

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (2)، مجلة (المجتمع)، 21/8/42ص ،م2004.
(2) نفس المصدر، ص42.

ماذا عن شهادة الأستاذ عاكف عن أخطر شهور مصر تأثيرًا في مسار الحوادث لمدة طويلة (يناير – مارس 1954م)، يقول الأستاذ: "..في يناير 1954م، احتفلنا بذكرى شهداء القنال، ودعوت نواب صفوي – رئيس فدائيي الإسلام في إيران – وألقى خطابه في جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا)، وحدث خلالها احتكاك بين أنصار الإخوان وهيئة التحرير".

كانت هيئة التحرير قد ظهرت حديثًا، وكان بيني وبينهم أخذ ورد، وخاصة عبد الحكيم عامر، وكمال الدين حسين، كانا يريدان مني أن أكون عضوًا في الهيئة التأسيسية بهيئة التحرير، ولكن اعتذرت بمنطق معقول: "**أنا راجل مسؤول عن قسم الطلاب، وهذا عمل ضخم والشعب كله ليس إخوان مسلمين... نحييكم على العمل بس اتركونا نعمل في طريقنا**".. فظل عبد الناصر ذاكرًا لي ذلك.

ويوم الثلاثاء، ألقى نواب صفوي في الجامعة محاضرة، وحدث شغب آنذاك بين طلبة الإخوان وهيئة التحرير، وكذلك في المركز العام للإخوان.. بعدها عدت إلى البيت نحو الساعة الواحدة صباحًا، فجاءني مدير مكتب اللواء محمد نجيب في ذلك الوقت المستشار فتحي عوض.. وكان يسكن بجوارنا في شارع رمسيس بالعباسية، وأخبرني قائلًا: "لقد تم حل جماعة الإخوان الآن، ومطلوب القبض على 21 شخصًا أنت منهم قبل الثالثة صباحًا، فخرجت فورًا من البيت، وفعلًا في الساعة الثالثة فجرًا داهمت قوات البوليس الحربي بيتنا وقلبوه رأسًا على عقب، وبيتنا كان كبيرًا.. به حديقة وبها حجرة في الخارج كانت مليئة بالأسلحة والذخيرة التي كانت تستخدم في الحرب ضد الإنجليز، ولم يكد يعلم بها سوى والدي، وقد فتشوا البيت كله، ثم عادوا لتفتيشه ثلاث أو أربع مرات، ولم يلفت انتباههم تلك الغرفة.

كل هذا يوم الثلاثاء، ولم يذع خبر (الحل) سوى يوم الجمعة، بعد أن قبضوا على كل المطلوبين إلا أنا. فقد كنت هاربًا (لفيت القُطر كله)، وقيل لي يومها: "**إن عبد الناصر ينام على دوّاسة السيارة، خوفًا مني**، ويعلم الله أنه لم يكن في ذهننا أي شر نحوه. لكن وجودي حرًا، كان يجعله مرعوبًا، ولله الحمد.

وقد عاينت من الشعب المصري والشعوب العربية في فترة هروبي رجولة نادرة، فسفير سوريا في مصر في ذلك الوقت أعطاني سيارته، وسفير أفغانستان كان أيضًا يعطيني سيارته.. وظللت بعيدًا عن أيدي البوليس السياسي إلى أن جاءني الأستاذ عمر التلمساني (رحمه الله)، ود. كمال خليفة، وقالا لي: إن الملك سعود أتى إلى مصر لإجراء صلح بين عبد الناصر والإخوان، لكن عبد الناصر أصرّ على أن يسلم عاكف نفسه أولًا! فقلت لهما: كما ترون، وسلمت نفسي بالفعل، وكان يوجد في مكان محطة مصر للسكك الحديدية بميدان رمسيس مقر للبوليس الحربي وسجن البوليس الحربي، وأتى الملك سعود، ولم أمكث في السجن سوى الشهر، وخرجنا في آخر مارس، وودعنا الملك وذهب عبد الناصر إلى الأستاذ الهضيبي في بيته.

وبينما نحن في السجن، قلنا للأستاذ الهضيبي: إن الهيئة التأسيسية لا تصلح لقيادة الإخوان؛ لأن بها كثيرين من طرف عبد الناصر، واقترحنا عليه بعد الخروج من السجن أن نحلها ونجري انتخابات، ولما خرجنا قلت له: يا فضيلة الأستاذ.. لقد اتفقنا داخل السجن على كذا وكذا.. فقال: اصبر حتى يقوموا هم بحل أنفسهم ونجري انتخابات لعمل هيئة تأسيسية جديدة، وكلفني بالبحث عن صورة تنظيمية لتدريب الإخوان، ليكونوا مستعدين لمحاربة الاستعمار في أي بلد، وكنا ساعتها نعد للجزائر لجهاد الاحتلال الفرنسي، ورتبت مشروع الفصائل التي حوكمنا بسببها في عام 1954م).

وماذا عن هذه الفصائل؟

(المشروع يعني أن يكون لكل شعبة فصيلة، وكانت الفصيلة تتكون من 40 - 70 فردًا.. وكل واحد يعرف سلاحه ومهمته، حتى إذا قلنا: حي على الجهاد كانوا جاهزين، كان ذلك عام 1954م، وكنا نتدرب في مقر الحرس الوطني، وكانت - للأسف - خطوات متأخرة لم تكتمل، فبعد ستة أشهر دعيت الهيئة التأسيسية للانعقاد بدار المركز العام للإخوان في 23 سبتمبر 1954م، وبعد مناقشات جادة وطويلة أصدرت الهيئة أخطر قرار لها:

- انتخاب مرشد عام الجماعة مدى الحياة، وهو رفض صريح لمحاولة تحديد مدته بثلاث سنوات.

- حل الهيئة التأسيسية والإعداد لانتخابات جديدة)[1].

وبعد خروج الأستاذ عاكف من السجن أواخر مارس 1954م، استطاع اللواء عبد المنعم عبد الرؤوف الذي أرغم الملك فاروق على التنازل عن عرش مصر، بعد حصاره بقواته لقصر التين، أن يهرب بعد أداء إحدى جلسات محاكمته، فقد اعتقله عبد الناصر في يناير 1954م مع من اعتقلوا في تلك الفترة السوداء من تاريخ مصر!

فيحكي اللواء عبد المنعم في مذكراته عن دور الأستاذ (عاكف) في إخفائه عن أعين البوليس الحربي، وأنه قناة الاتصال بينه وبين قادة النظام الخاص، وإشرافه على معسكرين للنظام الخاص لإعداد مشروع الفصائل، كما اتفق مع المرشد الأستاذ الهضيبي.

(قام الأستاذ عاكف بإخفائه في (الهرم) و(شبرا) و(إمبابة) حسب ضرورات الأمن والسلامة، وطلب اللواء عبد المنعم من الأستاذ عاكف قراءة بيان على

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه للمجتمع (3)، شهادتي على محنة الإخوان مع حكم عبد الناصر، 28/ 8/ 2004م، ص39 - 40.

المسؤوليين من قادة الجماعة دون طبعه حتى لا يقع في يد الأمن، والبيان يصور تلك المرحلة بكافة ملابساتها وظروفها الشائكة: "**أيها الإخوان: تتعاون أجهزة المباحث العامة والمخابرات والبوليس الحربي جميعهم للحصول على أكبر قدر من المعلومات عن دوركم ومخازن أسلحتكم وأماكن تدريبكم، توطئة للقيام بعمليات قبض واسعة النطاق عليكم أفرادًا وجماعات.. والزجّ بكم ثانية في الزنزانات وغيابات السجون، فعليكم أيها الإخوان أن تتخذوا خطة الدفاع مؤقتًا حتى تحين معركة الهجوم التي لن تتأخر طويلًا إن شاء الله تعالى، إن أقلّ مقدار من الأسلحة يلزم للدفاع الشخصي هو طبنجة ومقدار من الذخيرة وقنبلتان يدويتان.**

قاتلوا كل من يسعى للقبض عليكم من غرفة إلى أخرى، فإما نصر وإما شهادة، وإذا كنت جارًا لأحد إخوانك المهاجمين فأسرع إلى نجدته، وقدم كافة المساعدات للقضاء على المهاجمين".

ويواصل اللواء **عبد المنعم** رواية مذكراته في تلك الفترة، فيقول:

".. في صباح أحد الأيام حضر عندي الأخ "م.م.ع" (محمد مهدي عاكف)، وطلب مني الاستعداد للسفر بعد الغروب لنبدأ التدريب،.. وأخذت السيارة طريقها تجاه بلدة الأخ "م.م.ع" بالدقهلية..، كان الغرض من الفرقة إعداد قائد جماعة يستطيع أن يقوم بحرب عصابات، وقد استطعنا خلال المحاضرات ومشروعات تختة الرمل والتدريب العملي، أن نأخذ فكرة عن درجة كفاءة هؤلاء الإخوة، كنا نستيقظ في الفجر للصلاة، ثم نبدأ دروسًا في المصارعة اليابانية، فمحاضرات أو مشروع تختة الرمل..، ثم نبدأ تدريبات تكتيكية عملية داخل الغرف والحديقة والفناء، وبعد الغذاء.. إعداد كافة الاستعداد للطوابير الليلية التي كانت تبدأ من بعد غروب الشمس وتستمر حتى منتصف الليل".

ويواصل اللواء عبد المنعم روايته عن إعداد الفصائل، قائلًا:

".. قال لي الشهيد إبراهيم الطيب إنه والأخ (م. م. ع) في سبيل إعداد معسكر ثانٍ في كرداسة بمحافظة الجيزة في ضيعة أحد الإخوان، وسيحضر الأخ عاكف بعد يومين على الأكثر لاصطحابي إلى المعسكر، وستكون مدة إقامته سبعة أيام، وسيحضره كافة الفصائل والجماعات لفصيلتي العباسية والجيزة، ويكون عدد الطلبة في مرة اثني عشر من الفصيليتين، ومن كل فصيلة قائدها وقائد ثانٍ وقادة أربع جماعات، كنا نقيم المحاضرات والتدريبات العملية البسيطة داخل الضيعة، حتى إذا أقبل المساء خرجنا للتدريب العملي على مهارة في الميدان في الأرض الصحراوية المحيطة.. "، وتم فض المعسكر لرؤية عناصر من المباحث العامة تحوم حول المعسكر، وبعد انفضاضه جاءت قوات الأمن بحملة كبيرة لكنها لم تجد أحدًا.

وبعد انكشاف معسكر كرداسة، كان لابد من الترقب وانتظار ما تأتي به الأحداث، ونظرًا لشدة المراقبة التي ذكرها الشهيد إبراهيم الطيب للواء عبد المنعم، قلّل الطيب حضوره إلى أماكن اختفاء اللواء عبد المنعم كما عرفه بأن الأخ (م. م. ع) سوف يكون مندوب الاتصال عندما يريد شيئًا..)[1].

وفي المحكمة العسكرية التي عقدت لعاكف وإخوانه بعد حادث المنشية المشئوم، سأله المدعي العسكري: (**ألم تعرف بأن عبد المنعم عبد الرؤوف مطلوب القبض عليه من الحكومة؟!**

فأجاب الأستاذ عاكف: "**والله أنا كنت عارف لكن الأخلاق والضمير منعوني من الإبلاغ عنه؛ لأنه كان قاعد عندي، وكان يشاع أيامها أنه مظلوم**"[2]!!

(1) نقل بتصرف من مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف: أرغمت الملك فاروق على التنازل على العرش، الزهراء للإعلام العربي، 1990، ص127 - 159.

(2) ج (الأخبار)، 7/12/1954م. ص1 - 3 - 5.

المدعي: إن المتهم إرهابي خطير مستهتر بقوانين الدولة، ودليلي أنه أقر بأنه يعلم أن عبد المنعم عبد الرؤوف هارب من العدالة، ومع ذلك آواه وتستّر عليه، ولم يبلغ الحكومة عنه!.. والأدهى والأمر أن أضاف بقوله إن ضميره وخلقه لم يسمح له الإبلاغ عن عبد المنعم، فهل هناك إرهابي أخطر من هذا المتهم؟!)[1].

هذه الكلمات (الأخلاق والضمير...) ليس لها محل في المعجم الأخلاقي للعسكر، والتي ما إن سمعها المدعي العسكري الجهول حتى طاش صوابه وانطلق يهذي بما يدور بداخلهم من كراهية لتلك المثل والصفات.

وما فعله الأستاذ عاكف من نجدة عبد المنعم لا يأتيها إلا رجال خلقوا لأمثالها، فلا تخطر لغيرهم على بال؛ لأنها تعلو على أفهامهم القاصرة، فقد رصدت السلطة العسكرية (ألفين من الجنيهات) بأسعار 1954م، لمن يأتي بعبد المنعم حيًا أو ميتًا، فكيف لا ينتهز عاكف الفرصة ويسلم عبد المنعم ويفوز بالجائزة؟!

فالشجاعة والصراحة، والشرف والضمير الإنساني تلك المزايا الشخصية التي عرف بها عاكف وإخوانه، يمقتها العسكر ويحاربونها بكل ما أوتوا من سلطة؛ لأنهم طوال حكمهم الأسود لم يستقروا إلا بأرذل ما في النفس الإنسانية من الغدر والخسة والأثرة البغيضة والخنوع الذليل لصغار المتع والأهواء الرخيصة، فمن الطبيعي أن تهيج ثائرة المدعي العسكري؛ لأن مقولة عاكف كشفت الغطاء عن خليقة وجبلة العسكر قديمًا وحديثًا!

ولكن الأحداث كانت سريعة ومتلاحقة، قام فضيلة المرشد بزيارة إلى سوريا والبلاد العربية في يونيو 1954م، والتي استقبل فيها أعظم استقبال، وأصدر الإخوان بيانًا يعارضون فيه اتفاقية الجلاء المزمع عقدها بين الحكومة والإنجليز

(1) نفس المصدر.

(وقّع الجانبان البريطاني والمصري على اتفاقية الجلاء في 27 يوليو 1954م، واتفقا على أن يكون التصديق في 19 أكتوبر 1954م)، وقد رفض الأستاذ الهضيبي الاتفاق، مؤكدًا أن أي رأي أو اتفاق بين مصر وحكومة أجنبية ينبغي أن يعرض على برلمان منتخب بإرادة حرة وصحافة حرة من الرقابة، وتملك حرية المناقشة.

وفي مساء 22 أغسطس 1954م، عاد الأستاذ المرشد العام فاستقبل استقبالاً حماسيًا في طريقه من المطار إلى دار المركز العام للإخوان المسلمين بالحلمية الجديدة.. ويحكي الأستاذ عاكف عن واقعة استقبال المرشد، التي كُلّف هو والأستاذ خميس حميدة بها فيقول: ".. وجدت المطار ممتلأ بالإخوان وقوات ضخمة من الجيش، استقبلناه وهتفنا بالهتاف المعهود، ووصلت إليّ معلومات أنهم يريدون اغتيال المرشد، فقمت بتغيير السيّارة، وركب الأستاذ صلاح شادي سيارة المرشد، وأخذت سيارة ثانية، وركبت معاه وأخذته بحضني، وكان صغير الحجم، وأمسكت بمسدسين في يداي، والدكتور خميس حميدة يجلس أمامه، وبدأ خروجنا من باب المطار، قالوا لي: سيارة المرشد فقط هي التي تخرج! قلت لهم: أبدًا، آخر سيارة ستخرج من المطار هي سيارة المرشد! فتحت باب العربة، وحطيت رجل على الأرض والطبنجات في يدي، وجاء إليّ مدير أمن القاهرة، قلت له: **عارفك!.. قلت له: بعد خمس دقائق، إذا لم أخرج سأفتح البوابات بالقوة.**

وجاء مدير الأمن العام، قلت له: عارفك أيضًا، وعددت له الدقائق، فاضطروا إلى فتح البوابات وأنا في وسط العربات"[1].

ووصل الأستاذ المرشد سالمًا إلى دار المركز العام، وهناك أخذ يتحدث عن تفاصيل رحلته، وأخذ يفنّد قصة اتصال الإخوان بالإنجليز في المحادثات التي تمت مع (إيفانز) ممثل السفارة الإنجليزية، وقرر فضيلة المرشد أن هذه الاتصالات تمت بموافقة ورغبة

(1) عبده مصطفى دسوقي، محمد مهدي عاكف.. رحلة عمر، مجلة (المجتمع)، 10/2017م، ص40.

الحكومة المصرية، وتحت سمع وبصر جمال عبد الناصر... ولكن الحكومة استغلت هذه المحادثات، فألبست الحق ثوب الباطل لتبرر به ضرب الإخوان المسلمين، مستعينة بعدم معرفة الشعب بحقيقة الأمر بحرمان الإخوان من حق الدفاع عن أنفسهم، ولكن **دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة!**

وبعدها بأيام، تم اعتقال مهدي عاكف في نهاية أغسطس 1954م، ويقول الأستاذ عاكف عن ظروف اعتقاله هذه المرة: ".. قد كان عبد الناصر متربصًا بي، فقبض عليّ مبكرًا في أغسطس 1954م، وأدخلني السجن الحربي، ولم يكن معي فيه سوى رشاد مهنا الوصيّ على العرش، ويوسف صديق، وكانا مكرمين، وأنا الذي أُسام سوء العذاب لانتمائي للإخوان، وكان السؤالان الدائمان لي خلال التعذيب: **أين السلاح؟ وأين النظام السري؟** كنت أعذب بهذين السؤالين، ولم يستطع أحد أن يأخذ مني كلمة واحدة، فقد كانت الإجابة بالنفي دائمًا، وأنه لا يوجد نظام سري ولا سلاح، ظل ذلك طوال شهري أغسطس وسبتمبر وأول أكتوبر. في تلك الفترة انتشرت إشاعات بموتي، وكان جسمي مشلولاً، حتى سرح الدود فيه"[1].

وفي يوم 19 من أكتوبر 1954م، تم التوقيع النهائي على الاتفاقية بين مصر وبريطانيا، وبعدها يبدأ عبد الناصر التفرغ لضرب الإخوان - بعد أن أمّن ظهره بهذه الاتفاقية من احتمال تدخل القوات البريطانية في حالة القيام بأية حركة ثورية داخل البلاد.

وفي حالة قمعه لجماعة الإخوان - تكون ضربة استباقية وعملاً تكتيكيًا - يشغل به جماهير الشعب عن معارضة الاتفاقية والتصدي للحكومة، وبالطبع كانت هذه العملية التكتيكية هي (حادث المنشية)، في 26 أكتوبر 1954م بالإسكندرية.

---

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (3)، مجلة (المجتمع)، 28/8/2004م، ص40.

تمثيلية المنشية والتنكيل بالإخوان

في تمام الساعة السابعة وخمس وخمسين دقيقة من مساء ذلك اليوم المشؤوم، وقف عبد الناصر خطيبًا بميدان المنشية بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء مع بريطانيا، وكان يتحدث عن ذكريات اشتراكه في العمل الوطني، ووصل إلى فقرة يقول فيها: ".. بدأت كفاحي من هذا الميدان في الإسكندرية، وكنت شابًا صغيرًا في عام 1930م، حين بدأت لأول مرة أهتف مع إخواني أبناء الشعب للحرية، واليوم أشكر الله، فقد أتم كفاح آبائكم وأجدادكم وجميع الشهداء الذين استشهدوا في هذا السبيل"[1]. وفي هذه اللحظة، دوّت ثماني رصاصات متتالية لم تصبه، ولم يعرف مصدرها إلى الآن، ولكنها أُلصقت بمحمود عبد اللطيف العضو في النظام الخاص للجماعة، وكانت كحريق هتلر للرايشستاخ للتخلص من آخر قوة معارضة لعبد الناصر!

وقد جرت في أعقاب ذلك أكبر حملة اعتقال للإخوان المسلمين شهدتها مصر، حتى وصل الأمر إلى حد إعطاء المعتقلين بطاقات يسجلون فيها أسماءهم وعناوينهم لتدون في كشوف! وقد وصل عدد المعتقلين إلى عشرات الألوف من سجلات اعتقالات 1948م، وما استجد من أعضاء جدد بعد 1951م.

واعتقل هنداوي دوير - رئيس محمود عبد اللطيف - واعتقل المرشد الهضيبي، وبدأ اعتقال أعضاء مكتب الإرشاد والهيئة التأسيسية، وفي 27 نوفمبر نشر

(1) عباس حسن السيسي، جمال عبد الناصر وحادث المنشية، دار الطباعة والنشر والصوتيات، 1408هـ / 1987م، ص103.

البكباشي زكريا محيي الدين بيانًا في الصحف قال فيه بأنه قد تم اعتقال 70 في المئة من أعضاء الجهاز السري البالغ عددهم 700 عضو!

ومن الغريب أنه في في كل هذه الاعتقالات التي تمت لأفراد الجهاز السري، لم تحدث مقاومة إلا في حالة واحدة وقعت يوم 14/11 بين قوات البوليس وبين ثلاثة من الإخوان في شبرا، أسفرت عن استشهاد اثنين من الإخوان، وأصيب الثالث بإصابات جسيمة شفي منها وقدم للمحاكمة.

ويروي الأستاذ عاكف ذكرياته عن حادث المنشية المشؤوم، وما تبعه من حوادث دامية، قائلًا: ".. ولما وقع حادث المنشية سنة 1954م، وكنت ساعتها داخل السجن، وجرت حملة الاعتقالات الواسعة للإخوان، ووقع عليهم تعذيب شديد كانوا إذا سئلوا عن شيء قالوا: عند عاكف، على أساس أنني مت. وفي يوم من الأيام، حملني الزبانية إلى مقر مجلس قيادة الثورة، ودخل عليّ علي صبري وصلاح الششتاوي، وقالا لي بتحدٍّ شديد: ألا يملأ أحد عينيك؟! والحقيقة: لم يكن أحد منهم يملأ عيني بالفعل.. ولكني كنت متهالكًا من شدة التعذيب ولم أكن أستطع المشي، وحُملت من الصالون - الذي دخل عليّ فيه علي صبري والششتاوي - على السلخانة.. حجرة التعذيب بمجلس قيادة الثورة، وهناك رأيت الأخوين علي الفيومي وأحمد عيد (رحمهما الله) (منفوخين)، ثم بدؤوا في تعذيبي، ولم أفق إلا وأحمد صالح داوود يحملني على نقالة إلى السجن الحربي، وكنت أفيق ثم أدخل في غيبوبة.. "[1].

والمثير للإعجاب أن أستاذنا عاكف، بأخلاقه الإسلامية التي تنسب الفضل لأهله، لا ينسى إحسان المحسن حتى لو كان يهوديًا، يقول الأستاذ عاكف: "... ولا أنسى روبير اليهودي، الذي كان معتقلًا معنا، كان يخدمنا ويمسح

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (3)، مجلة (المجتمع)، 28/8/2004م، ص40.

لنا الزنزانة، ويضع بعض الماء والطعام في فمي، وأنا على وشك الموت. وقد تم الإفراج عن روبير هذا...، فقد استبدلت به الحكومة الصهيونية خمسة آلاف أسير مصري من أسرى حرب 1967م، ولم يكن عسكريًا، بل كان يقوم هو ومجموعة بعمل تفجيرات في الإسماعيلية وأسيوط، ثم يشيع أن محمد مهدي عاكف هو الذي يقوم بها، وذلك لدق أسفين بين عبد الناصر والإخوان، وقد انتحر رئيس هذه المجموعة اليهودية في سجن الاستئناف، والباقون حكم عليهم بالمؤبد، وكان من بينهم روبير"[1].

وقد جاءت المحاكمات لتضيف إليها عنصر الرهبة والخوف، ففي أول نوفمبر أصدر مجلس قيادة الثورة أمرًا بتشكيل محكمة مخصوصة برئاسة قائد الجناح جمال سالم وعضوية كل من أنور السادات والشافعي، وفي 28 نوفمبر تألّفت ثلاث دوائر فرعية لهذه المحكمة التي أطلق عليها ابتداء من 6 نوفمبر اسم (محكمة الشعب)، فكانت رابع محكمة من هذا النوع تشكلها الثورة بعد المجالس العسكرية، وقد عقدت جلسات هذه الدوائر الثلاث في مبنى الكلية الحربية، بينما عقدت جلسات محكمة الشعب الرئيسية بمبنى قيادة الثورة بالجزيرة.

وقد عقدت أول جلسة لمحكمة الشعب صباح 1954/11/9م، أي بعد أسبوعين تمامًا من الحادث المشؤوم، واستمرت إلى يوم 1654/12/2م لتستأنف المحاكم الفرعية مهمتها ابتداءً من 1954/12/5م.

وقد حوكم أمام محكمة الشعب الرئيسية برئاسة جمال سالم كبار أعضاء الجماعة والتنظيم السري، مثل الأستاذ المرشد ومحمود عبد اللطيف المتهم الرئيس ودوير وغيرهم، وفيما عدا محاكمة محمود عبد اللطيف التي استمعت فيها المحكمة إلى كثير من الشهود من أعضاء الجهاز السري وقيادات الإخوان السياسية، واستمرت

(1) نفس المصدر، ص 40.

بالتالي وقتًا طويلًا، إذ استمرت إلى يوم 20 نوفمبر، فإن بقية المحاكمات لم تستغرق وقتًا طويلًا، فلم تستغرق قضية الهضيبي سوى ثلاثة أيام.

وهذا كله بيّن صورية المحاكمة وغياب الضمانات التي كان يتمتع بها المتهمون.. لقد كانت جلسات للتشهير لا للحكم والقضاء والفصل، كما يحدث في المحاكمات العادية، وكان الأمر في الدوائر الفرعية لمحكمة الشعب من المهازل الكبرى؛ نظرًا للأعداد الضخمة من قضايا المتهمين التي كانت تنتظرهم كل منها في اليوم الواحد... وقد حكمت هذه الدوائر بأحكام كثيرة بالإعدام والمؤبد والأشغال الشاقة لمدد متفاوتة، ولكن أحكام الإعدام خفّفت إلى المؤبد، كالأستاذ صلاح شادي، واللواء عبد المنعم عبد الرؤوف، وأبو المكارم عبد الحي.

وقد بلغ عدد الذين حكمت عليهم محاكم الشعب (867)، وعدد الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية (524)، وصدر الحكم بإعدام عبد اللطيف ومعه ستة من كبار قادة الإخوان (عودة وفرغلي ويوسف طلعت وإبراهيم الطيب ودوير والهضيبي)، وقد نفذ الحكم في الستة الأوّل واستبدل به الأشغال الشاقة المؤبدة للهضيبي، ثم حكم على سبعة آخرين من أعضاء مكتب الإرشاد بالأشغال الشاقة المؤبدة، وعلى اثنين من أعضاء المجلس أيضًا بالسجن 15 عامًا، وأطلق سراح ثلاثة من أعضاء المجلس، هم: عبد الرحمن البنا، وعبد المعز عبد الستار، والبهي الخولي.

ويروي الأستاذ عاكف هذه الواقعة المحفورة في ذاكرته، قائلاً: (كنت رقم سبعة في الإعدام سنة 1954م، أعدموا ستة من قيادات الإخوان قبلي ثم تأجل تنفيذ الحكم في الباقي إلى اليوم التالي، وكان العالم الإسلامي يموج بالسخط والغضب على هذه الأحكام الجائرة!

وفوجئت، وأنا في الزنزانة أنتظر المثول على ربي، بقائد السجن الحربي المجرم حمزة البسيوني قائلاً: فيه تليفون عشانك!.. وكان آخر ما أتوقعه صوت أحمد أنور قائد

البوليس الحربي، الذي قال لي أمك حتكلمك!.. وتعجبت جدًا وسمعت صوتها وهي تصرخ فرحة: مفيش إعدام!!.. وكانت مفاجأة مذهلة أصابت كل من كان حولي بالدوار، وعلى رأسهم المجرمان على صبري وصلاح دسوقي!)[1].

وخُفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، وبدأت تجربة جديدة رهيبة بوقائعها وأحداثها وتأثيرها على الجماعة ومصر والمنطقة لنصف قرن قادم!

(1) ج (صوت الأمة)، 28/ 6/ 2004م.. حوار: عزام التميمى (قناة الحوار)، حلقات مراجعات مع الاستاذ محمد مهدي عاكف.

يـوم الحـداد العـام

وبعد إعدام الإخوان مباشرة، كتب العلامة علي الطنطاوي بيانًا طبع في كتيّب صغير، ووزع منه أكثر من نصف مليون نسخة، كان عنوانه "هذا يوم الحداد العام"، استهل شيخنا بيانه استهلالًا أخّاذًا بارعًا، كان نصه: "**لو كان الأمر إليّ لما جعلته أمر حداد، بل يوم بِشْر وابتهاج، ولما صيّرته مأتمًا بل عرسًا، عرس الشهداء الأبرار على الحور العين، ولما قعدت مع الإخوان أتقبل التعزيات، بل التهنئات. وهل يرجو المسلم شيئًا أكبر من أن يموت شهيدًا؟!**

وهل يسأل الله خيرًا من حسن الخاتمة... إني لأتمني؟ - والله شاهد على ما أقول - أن يجعل منيتي على يد فاجر ظالم، فأمضي شهيدًا إلى الجنة، ويمضي قاتلي إلى النار، فتكون مكافأتي سعادتي به، ويكون عقابه شقاؤه بي.

عقاب.. وعقاب!!

هذا هو العقاب لا عقابك يا جمال، عقاب الله "الناصر" لأوليائه، القاهر فوق أعدائه، الذي ستقف أمامه وحدك، ليس معك جيشك، ولا دباباتك، ولا سلاحك، ولا عتادك، تساق إليه وحيدًا فريدًا.. فيسألك عن هذه الدماء الزكية فيمَ أرقتها؟ وعن هذه الأرواح الطاهرة فيم أزهقتها؟ وعن هاتيك النساء القانتات الصابرات فيم رمّلتهن؟ وعن أولئك الأطفال البرآء فيم يتّمتهم؟ وعن هذه الجماعة الداعية إلى الله، المجاهدة في سبيله، فيمَ شمّتّ بها أعداء الله ورسوله؟... فعش كيف عشت، وسر مهما سرت، فهل تقدر أتجد لك طريقًا لا يمر بك على المحشر؟ ولا يقف بك موقف الحساب؟ هل تعرف لك مُلكًا غير ملك الله؟ تفرّ إليه كما

يفر المجرم السياسي من دولة أساء إلى حكامها، إلى دولة أخرى تحميه منها؟ وهل تظنها تدوم لك يا عبد الناصر؟ لو دامت لغيرك ما وصلت إليك.

ما أعظم الضحايا!!!

يا عبد الناصر جزاك الله بما تستحقه:

أو تعرف بمن ضحيت؟ ضحيت بمن كان أعلم المسلمين بالشرع الجنائي في الإسلام، ومن سنحتاج إليه غدًا فلا نجده، ولا نجد مثله، فنبكي عليه حزنًا وأسفًا، ويضحك عدونا شماتة وسرورًا؟ بمن ألّف الكتاب الجليل (التشريع الجنائي الإسلامي) الذي ترجم إلى كثير من لغات الناس، وتقرّر تدريسه في الجامعات، وتزاحم الجميع على تكريم مؤلفه، وبعثوا يطلبونه، فقيل لهم إنه لا يستطيع أن يحضر حفلات تكريم؛ لأن عبد الناصر كرّم علمه وفضلّه بحبل المشنقة.

يا عبد الناصر جزاك الله بما تستحق:

ضحيت بسيد المجاهدين الفرغلي، بالشيخ الذي أفزع بريطانيا حتى جعل راديو "فايد" - البريطاني - ينادي كل يوم ثلاث مرات، بأن من جاء برأسه فله خمسة آلاف، فجاءهم برأسه عبد الناصر، فيا عبد الناصر جزاك الله بما تستحق... لقد كانوا جميعًا من أئمة التقى، ومصابيح الهدى، من الذين يقومون الليل، يقطعونه تسبيحًا وقرآنًا، ويجاهدون في النهار يملئونه جهادًا وإحسانًا...

تعذيب.. وتعذيب

وأشهد لقد قرأت أخبار المشركين وتعذيبهم لمن آمن من قريش وما فعل أعداء الإسلام بالمسلمين من الطغاة الجبارين، كهولاكو وجنكيز، وما صنعت محاكم التفتيش في الأندلس، وما تصنع إسرائيل في فلسطين، في دير ياسين، وقبية، ونحالين، فوالله ما آلمني شيء كما آلمني ما صنع عبد الناصر وأعوانه بهذه النخبة الصالحة من المسلمين.

... ولو كان في هؤلاء الشهداء قاتل أو مجرم، وحاكموه محاكمة، ثم عاقبوه قصاصًا، لما اعترضهم أحد، أما أن يكونوا من خيار المؤمنين، وأيكن ذنبهم أنهم أعدوا السلاح للعدو وبعلم رجال الحكومة، وأنهم دربوا على القتال والتدريب بعلم رجال الحكومة، وأنهم أعلنوا رأيهم في المعاهدة، وحق الرأي واحد من حقوق الإنسان، وأن تحاكمهم هذه المحكمة، وليست محكمة فيها قضاة.. وأن يكون الحكم على هذه الصورة فهذه قصة فظيعة، بلغ من فظاعتها أن أجمع الناس - على اختلاف البلدان والألسنة والألوان والمذاهب والألوان - على استنكارها..

عساكر - بلا فروسية..

... ولست أدري كيف يلبس هؤلاء لباس الجند، ويحملون شارة العسكرية، وما سلكوا سبل البطولة، ولا استنوا بسنن الفروسية عند الفرسان.

الفارس من يبارز خصمه في الميدان، وينازله مسلحًا، أما الذي يبدي البطولة والخصم أعزل مقيد، وحوله الرهط من الأنصار، وخصمه مفرد، فهذا ليس من الفروسية في شيء.

أما أنتم يا أيها الإخوان..

... أما أنتم يا أيها الإخوان المسلمون، فاعلموا أن المحن تدريب.. وتمرين، وكلما تقدم الجندي خطوة صعب التدريب عليه وقسا، فإذا وصل إلى أقساه، فقد بلغ آية القوة، وصار جنديًا كاملًا.

وأنتم بلغتم الغاية اليوم حين امتُحنتم الامتحان الأكبر، امتحان الدم، ونجحتم، نجحتم والله، ولم تزعزع المشانق إيمان هؤلاء الإخوان، ولا هزت أعصابهم، ولقد قابلوا الموت مقابلة انحنت - إكبارًا لبطولتها وعظمتها - هامات الرجال في كل مكان.

واذكروا أن الشيخ الإمام حسن البنا (رحمه الله) كان قد أنذركم أنها لا تزال أمامكم مصائب شداد، واختبارات صعاب، وقد أقدمتم عليها، وأنتم عارفون بها.

والعاقبة لكم، إنها والله لكم، ولأنكم تمشون على هدى الإسلام. المستقبل لكم، فلا تزعزعكم الأحداث، ولا تفتنكم عن إيمانكم، على أن تبقوا صفًا واحدًا، لا تفرق بينكم الدنيا، ولا يقسمكم النزاع على الزعامات، وأن تجعلوا إمامكم دائمًا كتاب ربكم.

وبعد.. فيا أهل الشهداء: الصبر. إن دموع العالم الإسلامي كله قد مازجت دموعكم، وقلوبهم جميعًا قد قاسمت الأسى قلوبكم، وكلهم أخ لكم وصديق. ومأتمكم صار مأتم دنيا الإسلام كلها، والله معكم، والله خير من الجميع".

دعـــاة بالـــزي الأزرق

وتم ترحيل الأستاذ عاكف وعدد كبير من الإخوان من السجن الحربي إلى ليمان طرة في 1955/1/17م، وأجبروا على ارتداء زي المساجين الأزرق، ووضعت في أقدامهم السلاسل الحديدية، حيث كانت تقيد رجل كل مسجون بقيد متصل مع حزام حديدي حول الخصر بسلسلة، ويختلف وزن الحديد من مسجون لآخر حسب مدة المحكوم عليه، فلكل مسجون معاملة خاصة ومتدرجة.. وكان التلاعب في الأوزان والتحايل لخلعها في غير أوقات العمل مصدر احتكاكات كثيرة مع إدارة الليمان.

وانتهت تلك القصة المأساوية من حياة السجون والليمان بحضور المشير عامر إلى الليمان وقيامه بكسر حديد أحد المساجين بنفسه في حفل عام إيذانًا بمبادئ العصر الجديد!

كان وضع الإخوان يختلف كثيرا في الليمان عن مثيله في السجن الحربي، حيث سمحت طبيعة الظروف بقدر من التنظيم الإداري بينهم في شكل مسئول عام على رأس لجنة إدارية تضم الإخوة المسئولين عن الثقافة والمالية والعمل بالجبل، وانتظمت كل زنزانتين في أسرة على رأسها نقيب ويتصل مجموع النقباء بالمسئول الثقافي، وأُخِذَت فريضة مالية على من تصلهم أمانات لتوفير حد أدنى معقول لمن لا مورد لهم.

فمعتقلو الإخوان يستقلّون الدور الثالث من العنابر، أما الدور الرابع فهو مخصص للخدمات، والثاني لمعتقلي القضايا السياسية الخاصة بمحكمة الثورة وغيرهم، والدور الأول للحالات المرضية.

وكلفت إدارة الليمان لمن يقومون بتنفيذ عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بالذهاب يوميًا إلى الجبل في مقدمة طابور يضم ما لا يقل عن ألفين من المسجونين يسوقهم مأمور السجن على صهوة جواد، ويحيط بالطابور مئة جندي مسلحون بالبنادق.

وكان نزلاء طرة قبل 1952/7/23م من المجرمين العاديين، وبعد حادث المنشية وما تلاها من اعتقالات واسعة انضم إلى نزلاء الليمان علماء الأزهر الشريف وأساتذة الجامعات وضباط الجيش والشرطة والعمال والفلاحين، وكانوا يعملون في قطع الأحجار في جبل طرة (9 ساعات يوميًا)، من الساعة السابعة صباحًا حتى الساعة الرابعة عصرًا.

فأماكن قطع الحجارة من الجبل تسمى مصاطب وكل فرقة من فرق العمل عليها اسم مثل 1 جمالة، 2 جمالة، 3 جمالة... وتنتهى الفرق بفرقة للحجارة، وأخرى للتماثيل، ولم يكن للإخوان فرقة محددة بل يتوزعون على أغلب هذه الفرق..

وما أن يغادر طابور الجبل بوابة الليمان حتى ترتفع الدندنة بالقرآن الكريم بين صفوف الإخوان؛ لأن الكثيرين تزاملوا مثنى مثنى في الحفظ والتسميع، وكان نظام العمل في الجبل بالتناوب، وفي فترة الراحة يتم التعارف، وإذا حان وقت الصلاة (ظهرًا وعصرًا)، ارتفع صوت المؤذن للصلاة، وتقام بعدها الصلاة جماعة، ولم يكن هذا المشهد مألوفًا أو مسموحًا به من قبل!

واغتاظت الإدارة في طرة من هذا التغيير الذي يتم تحت أعينهم، فقررت تحويل الإخوان للعمل على تشوين القطارات بالحجارة، وعزلهم عن المسجونين العاديين.. واستفاد الإخوان أيضًا من هذا الإجراء؛ إذ نجحوا في تنظيم شبكة من المراسلات الخارجية عن طريق أحد عمال القطار، ولكن ضبط معه بعد ذلك خطابًا موجهًا من أحد الإخوان المسجونين لإخوان الخارج ينظم لهم طريقة العمل ويلوح لهم بنهاية النظام.

وكانت هذه الواقعة بالذات وراء تعجيل إدارة الداخلية بالبدء في ترحيل عدد كبير من الإخوان لسجن الواحات الخارجية.

وعن ذكريات أستاذنا عاكف عن سجن ليمان طرة، يقول: (دخلنا ليمان طرة في 1955/1م، وكان كل شيء ممنوع، وكسرنا تلك القواعد، ورفض الإخوان الدخول عراة للاستحمام، وبدأنا نخصص لأنفسنا عددًا معينًا من الدورات لصون آدميتنا ببعض الستائر، وبفرض شيئًا من النظام في أولويات الاشتغال)[1]!

وكما يوضح القيادي اليساري الأستاذ (سعد زهران) في كتابه الكاشف لجرائم السلطة الناصرية، وطرائقها الشيطانية في تحطيم إرادة المسجونين السياسيين، قائلاً: (لم يكن التعذيب في "أبو زعبل" يهدف إلى انتزاع اعترافات، وإنما كان أشد قسوة وهمجية. كان يهدف إلى تحطيم اللياقة الإنسانية للخصوم السياسيين، إنه ذلك النوع من التعذيب الذي يجرى بأعصاب باردة، وعلى فترات زمنية طويلة بهدف تحطيم الطاقات الفكرية والروحية للإنسان عن طريق التحطيم البطيء المحسوب والضغط الدائم المرهق على الوعاء الجسدي، (**فهذا النوع من التعذيب لم ينج منه فريق واحد من الخصوم السياسيين الذين كان عبد الناصر يحسب لهم حسابًا خاصًا، وخاصة الإخوان المسلمين الذين تعرضوا لتعذيب أوسع نطاقًا وأشد قسوة وأطول أمدًا من كل الآخرين**).. ولكنها تسعى إلى القتل المعنوي والروحي، وأعراض هذا القتل إما أن تكون سلبية خامدة، أي أن يخرج الضحايا عاجزين تمامًا عن التواصل مع الجماعة الإنسانية التي ينتمون إليها، حيث يصل الفرد إلى الكفر بكل القيم والمعاني التي كانت تربطه بالجماعة.. وأخيرًا إلى تسليم أقداره لأيدي معذبيه)[2]، أو أن يزداد المسجون صلابة وعزمًا وتصميمًا على الاستمساك بفكرته التي من أجلها سُجِن وشُرّد.

(1) حوار: عزام التميمى (حلقات مراجعات)، قناة الحوار.

(2) سعد زهران/ الأوردي مذكرات سجين، الهيئة العامة للكتاب، 2013م، ص 20 - 21.

وهذا ما حدث مع غالبية الإخوان، فلم تستطع إجراءات التعذيب الوحشي في السجن الحربي، وعمليات الترويض في الليمان من كسر عزائمهم.. وهذا ما لاحظه الرقباء ورافعي التقارير للسلطة الناصرية، من:

- ارتفاع معنويات مسجوني الإخوان داخل الليمان.

- واستمرار وجود عائلات المسجونين السياسيين من الإخوان على قيد الحياة، ولم يتم انهيارهم رغم الحصار وقطع الأرزاق والمرتبات، والتنكيل بمن يمد إليهم يد المساعدة.

- استمرار النشاط الإخواني خارج السجون، رغم جمهورية الخوف التي مدت أذرعها، ونشرت الرعب في كل مكان!

ولذا صدرت التعليمات العليا بترحيل من لم يتساقط من الإخوان في ليمان طرة إلى سجن الواحات، وكان من بينهم محمد مهدي عاكف.

وكان سجن (الواحات الخارجة) سجنًا مفتوحًا لا توجد به مبانٍ تقدر مساحته بحوالي خمسة أفدنة من رمال الصحراء، ويحيط به صفان من الأسلاك الشائكة بارتفاع كبير، ولا ترى من خلالها إلا رمال الصحراء على مدى البصر، أما داخل السجن فكان به بعض الخيام للمبيت، وخارج الأسلاك بعض الأكشاك من الصاج لمبيت إدارة السجن وحراسه الخالين من الخدمة.

وبدأت أفواج المعتقلين من الإخوان تترى على السجن حتى وصلوا إلى (300) معتقل، وأخطرتهم الإدارة بأنها لن تتدخل في نظام الإعاشة، وعليهم أن يدبروا أمرهم بمعرفتهم وخدمة أنفسهم بأنفسهم!

والتزم الإخوان بنفس التقسيم الإداري الخارجي لمناطق القطر المصري.. فخصصت خيام لكل منطقة، فهذه خيام منطقة الشرقية...، وهذه خيام مخصصة للعسكريين، وتوجد خيمة أخرى مخصصة لأعضاء مكتب الإرشاد..

ومن الناحية الإدارية، فلكل خيمة أمير تنتخبه كل شهرين، ولها وزيران واحد للتموين وآخر للمالية توجدهما بطريقتهما الخاصة بالتعيين من الأمير أو بالانتخاب، ويجتمع مجلس الأمراء بالمسجد بإشراف أحد أعضاء مكتب الإرشاد باعتباره مسئولاً كاملاً عن المعسكر، وهذا المجلس يتولى إدارة جميع المرافق وتعيين المسؤولين عنها.

وتم حل غالبية المشاكل في سجن الواحات، وكان من أخطرها مشكلة المياه، وذلك من خلال مد أنابيب من العين حتى السجن، ثم رفع المياه بالمضخة في صهريج يعمل على توزيع المياه في كل خيمة عن طريق الحنفيات.

وبدأت مزاولة الأنشطة الرياضية والثقافية، فقد وفّر الاختصاصيون جميع الأجهزة الرياضية، وتم تخطيط الملاعب، وكُوِّنت نوادٍ تتنافس فيما بينها، كما بُدئ إلقاء المحاضرات بطريقة دورية في المسجد من كافة الاختصاصيين في كافة فروع المعرفة.

أما عن الزراعة فكانت بحق بهجة المعسكر، فقد تفنّن مزارعو الإخوان في توفير مخصبات التربة من مخلفات الفرن والمطبخ ودورة المياه، حتى تحولت الصحراء الجرداء إلى مروج خضراء تنبت بالخضر والفاكهة!

ومرت الأيام وادعة هادئة هانئة لا يقطعها سوى العبادة والذكر وقراءة القرآن في هذه الصحراء القفر، إلى أن أتى اليوم الرهيب عندما أعلن عبد الناصر في خطابه يوم 1956/7/26م (تأميم القناة)، الحلم الذي كان يراود شعب مصر منذ أجيال عديدة، وهو عمل وطني مئة في المئة، وعلى أثر هذا القرار تشاور بعض العسكريين المعتقلين في سجن الواحات في إرسال برقية لعبد الناصر تعلن تأييدها له في هذه الخطوة المباركة، ولكنهما طلبا قبل إرسالها أخذ

رأي أعضاء مكتب الإرشاد، وتشعّب الحديث إلى طلب إصدار بيان من الإخوان لتأييد الحكومة في موقفها، فكان رد أعضاء مكتب الإرشاد أن تأميم القناة عمل وطني جريء لا شك فيه، ولكن إرسال برقية تأييد، ونحن خلف الأسوار قد تفسرها العقلية الناصرية المريضة على أنها نفاق أو ضعف لاستجداء الإفراج عنهم، ولكن الوضع يختلف من غير شك لو كنا أحرارًا!

ولم يأخذ بهذا الرأي وكيل الجماعة خميس حميدة الذي أصدر بيان قرأه على باقي الإخوان، مفاده أنه يؤيد الحكومة في موقفها الوطني من تأميم القناة، وأضاف بأن فقهاء المسلمين أفتوا بأن الحاكم الظالم لو دعا المسلمين إلى الجهاد معه لرد أعداء الله وجب على المسلمين أن يجاهدوا أعداء الله معه.

ورأى كثير من شباب الإخوان أن تأييد عبد الناصر في موقفه لا غبار عليه من الوجهة الشرعية وأوضحوا بأنهم على استعداد من نسيان مآسي العامين الفائتين التي قاسوا فيها التعذيب الوحشي ومرارة السجن والنفي في سبيل مصر التي تتعرض الآن لخطر العدوان عليها من الدول الاستعمارية!

ولكن طائرات إنجلترا وفرنسا وإسرائيل التي أغارت على المطارات المصرية ومدن القنال أسكتت الجدل السائر، وسرعان ما كتب مكتب الإرشاد برقية وأرسلوها لعبد الناصر، هذا نصها:

(السيد/ رئيس الجمهورية

السيد/ قائد عام القوات المسلحة

السيد/ وزير الداخلية

في هذه الفترة الخطيرة التي يُعتدى فيها على بلادنا، نعلن أن الوطن وطننا جميعًا، ولنا حق الدفاع عنه، ونحن الذين شاركناكم الجهاد في سبيل الله في

أعوام 46، 1947م ضد قوات الاحتلال الإنجليز في القاهرة والإسكندرية، وعام 1948م في فلسطين، وعام 1951م على أرض قناة السويس، نمد لكم يدًا صادقة لا تبغي إلا مصلحة الوطن، ونطالبكم باسم الله والوطن أن نشارككم فورًا في القتال في الخطوط الأمامية، ونحملكم أمام الله والتاريخ مسؤولية حرماننا من أداء هذه الفريضة المقدسة، ونحن فداء الوطن في كل لحظة)[1].

وانتهى العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م بهزيمة عسكرية نتيجة الانسحاب غير المنظم من غرب القناة واحتلال سيناء للمرة الأولى، وإزاء تدخل الولايات المتحدة بقيادة أيزنهاور ووراؤه الاتحاد السوفييتي، وبسبب المقاومة الشعبية المستميتة في بورسعيد، اضطرت قوى العدوان الثلاثي إلى سحب قواتها من سيناء في 1956/12م، ولكن إسرائيل كسبت حق المرور من قناة السويس بدون عائق، ووجود قوات دولية بين مصر وإسرائيل!

وكانت برقية الإخوان لعبد الناصر أثناء العدوان تثبت أن لا زال جسد الإخوان تسري به العافية لم تؤثر فيه رطوبة الزنازين والمنفى البعيد في الصحراء، وجاء إفشال إخوان الأردن لانقلاب ناصري ضد الملك حسين، ليستفزّ الذئب الناصري فافتعل زبانيته أزمة في سجن ليمان طرة ضد معتقلي الإخوان، لتتطور إلى مذبحة في 1957/6/5م، يسقط على إثرها 22 شابًا من الإخوان وضعفهم من الجرحى، الذين تم الإجهاز على غالبيتهم وهم يساقون إلى المستشفى!

وفي سجن الواحات البعيد، جرت مؤامرة ناعمة ضد الإخوان، التقط زبانية عبد الناصر خيط برقية تأييد الإخوان لخطوة تأميم القناة، لإكراه غالبية الإخوان على تأييد أعمى لكل قرار يتخذه عبد الناصر، وإلا يتم وضعهم تحت لافتة المعارضين!

---

(1) حسين حمودة/ أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون، الزهراء للإعلام العربي، 1405هـ - 1985م، ص122.

ودخلت إدارة السجن وضباط المخابرات على الخط لتمزيق الروابط بين قمة الإخوان وقاعدتهم، وتقسيم شباب الإخوان إلى أجنحة متصارعة.. متخذين من ضعاف المؤيدين والمتساقطين قاعدة ارتكاز لهم في بنيان الجماعة.. ليصلوا في النهاية إلى صراع أهلي لا يخمد أواره داخل الجماعة (المؤيدين والمعارضين)، مع استخدام سيف المعز وذهبه (**وعود الإفراج والعودة إلى الوظائف، أو العودة إلى المعتقل بعد قضاء مدة العقوبة!**) حتى يصير المعارضون والثابتون مع الزمن أقلية.. ومع الضغط ووسائل الترهيب المستمر يتم تحطيمهم نفسيًا ومعنويًا، ليتحولوا في النهاية إلى حطام إنساني لا خطر منه، وبعد ذلك تعمم هذه التجربة مع الإخوان في كافة سجون عبد الناصر!

واستغلت إدارة السجن موقف من أحد الإخوان الذي قام بضرب مندوب المؤيدين لدى الإدارة.. حتى أرسلت وزارة الداخلية تجريدة على رأسها اللواء (إسماعيل همّت)، يسبقه صيته الذائع في البطش والإرهاب، آملين في إعادة سيناريو مذبحة يونيو 1957م على أرض الواحات!

ويَروي لنا الأستاذ عاكف واقعة هذا التدبير الآثم، قائلًا: (...بعد مقتل حوالي 22 من الإخوان في الليمان، جاءنا ضابط اسمه (همّت)، جاء ليكرر المذبحة عندنا في سجن الواحات، فأخرج ستة: الأستاذ عمر التلمساني، وصلاح شادي، وأنا، وثلاثة آخرين، وأجلسونا على الأرض، وأحاطونا بالبنادق الرشاشة، وقف همت متنمرًا يقول: إذا لم تكتبوا تأييدًا لعبد الناصر سأفرغ فيكم الرصاص، فنظرنا بعضنا لبعض، ثم وقف عمر التلمساني فجأة وقال: **تقطع يدي ولا أؤيد عبد الناصر.. اضرب..!**

فارتخت البنادق، ثم أدار همّت ظهره وخرج)[1]!

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (2)، مجلة (المجتمع)، 21/8/2004م، ص43.

وقُضي الأمر، وتم الفصل بين المؤيدين والمعارضين في السكن والجوار..، ومع الأيام نكثت الإدارة في وعودها للمؤيدين، وفطن المخلصون منهم لغرض الإدارة الأثيم في المضي في سياسة التفرقة بين الجميع، وعاد أكثرهم لحضن الجماعة الأم.. وكان لابد من التحرك السريع من جانب الإدارة لاحتواء هذا التغيير.. فكان قرار الترحيل المفاجئ لجميع المؤيدين لسجن مصر تمهيدًا للإفراج عنهم، وإعادة تجميع المغضوب عليهم أو المعارضين من سجون مصر كلها إلى سجن الواحات مقدمة لترحيلهم جميعًا لسجن (المحاريق)، الذي بني خصيصًا بطريقة الزنازين ليسهل على الإدارة الاحتواء والضغط عليهم بدلًا من مدرسة الهواء الطلق أو السجن المفتوح بالواحات!

ووصل إلى علم الأستاذ المرشد هذا المكر السيئ فأرسل للثابتين والمستمسكين بالحق رسالة يوصيهم بها بصبر المؤمنين وعزيمتهم، وعدم الوهن أمام آلة البطش، فلو بقي منكم على قيد الحياة خمسون فإنهم سيكونون كثيرًا بميزان الدعوات، وسيفتح الله عليكم أمم الأرض.

وبدأت رحلة جديدة لأستاذنا عاكف وإخوانه إلى سجن المحاريق، تسبقهم أزجال الأستاذ (سعد سرور)، الذي يقول:

ع المحـــاريق ع المحـــاريق
ربنا بكـــره يفـــك الضيق
واللـــه رجعـــنا للزنـــازين
اوعى تكون مهموم وحزين
شد العزم وقول يا معين
لف النمـــرة ويـــالّلا قـــوام
واتقـــل واصبر على الأيام
وابقى في وقت الحق جريء[1]

(1) سعد سرور كامل: خواطر مسجون، دار الدعوة للطبع والنشر، 1985م.

وفي نهاية أغسطس 1958م، دخلت الشاحنات إلى فناء السجن الجديد، حيث لم يكن قد أقيم سور بعد حول العنابر الثلاث التي يتكون منها سجن المحاريق، يتكون كل عنبر من جناحين، كل جناح يتكون من عشرين زنزانة، على كل جانب عشرة زنازين بينهما ممر مسقوف، في نهايته من الداخل تقع دورة مياه كل جناح.

وقبل أن يستقر الإخوان في السجن الجديد أوفدت الوزارة تجريدة لتأديب المعارضين، فدخلت الزنازين، وصوبوا أسلحتهم إلى صدور المساجين، قائلين لهم: تكلموا لماذا تعارضوا الحكومة.. انطق يا ابن... انتوا عاملين جدعان.. ما جدع إلا النبي.. وتمتد أيديهم بالصفع والركل، مرددين: أكنتم تريدون الحكم؟!

واقترب الموكب المظفر لمخزن الملابس الذي وضع الإخوان كل أمتعتهم من ملابس وكتب وأدوية، وأضرموا فيه النيران!

وظل الإخوان في تلك القبضة القاسية قرابة العام والنصف، من (9/1958 - 1/1960م).

ويتذكر أستاذنا عاكف تلك الفترة العصيبة في سجن المحاريق، قائلًا: (.. لما حوّلنا الصحراء إلى جنّة، كان عبد الناصر يزداد علينا حنقًا وغضبًا.. كان في الحجرة الواحدة في سجن المحاريق 30 من الإخوان ينام بعضهم ويجلس بعضهم، ومع ذلك مكثنا به حوالي سنة رأينا فيها ألوانًا من العذاب.. بل أحرقوا كتبنا التي تقدر بالآلاف الجنيهات.. وسرقوا ملابسنا وألبسونا ثياب السجن بدون ملابس داخلية.. ظللنا على تلك الحال سنة كما قلت، وكان الضباط يتسلّون علينا.. يخرجون الأخ ثم يضربونه ثم يدخلونه.. وكان بعض الأخوة قد أيّدوا عبد الناصر فخرجوا، ففوجئنا ذات يوم بضابط المخابرات ينادي عليّ بالاسم؛ فذُهل كل الأخوة.. كانوا ينادون على أسماء عادية، أما أن ينادوا على عاكف (للخروج)!..

فوقف الأخوة خلف النوافذ.. فوجدت أحد الأخوة الكرام، وكان مسئولاً كبيرًا في الجماعة قد ضعف وأيّد عبد الناصر، فقال لي الضابط (عبد العال سلومة)، وكان رقيعًا في كلامه: فلان يقول إن عندك سلاحًا.. ماذا تقول؟ أيقنت ساعتها أني سأقع تحت تعذيب شديد.. وقلت في نفسي (هيا علقة)، آخذ حقي إذن.. وجلست على مكتبه، وقلت له:.. نعم يا عبد العال بك، كان عندي سلاح؛ لأني كنت أحارب اليهود والإنجليز بسلاح لا بالبيض والطماطم!

قلت ذلك وأنا متحفز متنمر، فقال: تريد أن تقول لي إن الإخوان ليس لهم أخطاء؟ فقلت: كل إنسان له أخطاء.. إنما قل لي: أليس للإخوان أمجاد؟ فقال: بلى.. ومن ينكر أمجادها؟! فقلت: أنا صاحب أمجادها، ومن يتخلّ عنّا اليوم فهو صاحب أخطائها.. فقال: اذهب.. اذهب.. قم!!)[1].

وشهدت جميع السجون ترحيل عدد كبير من المعتقلين، فتم ترحيل عدد كبير من قيادات الإخوان إلى سجن قنا، المُعَدّ لتغريب المغضوب عليهم من سجون مصر، ورحل أستاذنا عاكف إلى سجن السجون ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (يوسف: 21)!

وسجن (قنا) أنشئ منذ أيام الاحتلال الإنجليزي، ولم يحدث به أي تطوير سوى بعض أعمال الدهانات والترميمات، والزنازين به لا تتجاوز مساحتها (2×3 متر)، يحتجز بها من 4 - 6 سجناء، ليس به دورة مياه، وتتعمد إدارة السجن إغلاق الباب طيلة الليل، كما أن الفناء متنفس السجن الوحيد كان ضيقًا للغاية، حيث لا تتعدى مساحته (30×30 متر)، في حين يبلغ عدد السجناء أغلب الوقت ما بين 150 - 200 سجين، كل هذا العدد الضخم وسط حرارة شديدة في قنا صيفًا وبرودة قارصة شتاءً.

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (2)، 21/8/2004م، ص 42 - 43.

وتفتق ذهن العصابة الإجرامية الملتفة حول طاغوت العصر جمال عبد الناصر ومن يقودهم من القوى العالمية التي تقود العالم عن وضع خطة شيطانية لاجتثاث العمل الإسلامي الحركي من مصر التي تقوده جماعة الإخوان المسلمين، وتجفيف منابعه من الجذور باستفادة من الخبرات السابقة أعوام 48 و54 وحرب فلسطين 1948م ومعارك القناة 1951م.. وكانت هذه الوثيقة الشيطانية - ولا تزال - خطة العمل التي سارت عليها الأجهزة الأمنية من ساعتها إلى اليوم، مع إضافة ما يستجد من طرائق وآليات كل مرحلة من المراحل:

تقرير مكافحة تسييس الدين أو تدين السياسة:

نص الوثيقة الإجرامية:

(بناء على أمر السيد رئيس الجمهورية بتشكيل لجنة عليا لدراسة واستعراض الوسائل التي استعملت والنتائج التي تم الوصول إليها بخصوص مكافحة جماعة الإخوان المسلمين المنحلة، ولوضع برنامج لأفضل الطرق التي يجب استعمالها في قسمي مكافحة الإخوان بالمخابرات والمباحث العامة لبلوغ هدفين:

1 - غسل مخ الإخوان من أفكارهم.

2 - منع عدوى أفكارهم من الانتقال لغيرهم.

اجتمعت اللجنة المشكلة من:

- **سيادة رئيس مجلس الوزراء**
- **السيد قائد المخابرات.**
- **السيد قائد المباحث الجنائية العسكرية.**
- **السيد مدير المباحث العامة.**
- **السيد مدير مكتب السيد المشير.**

وذلك في مبنى المخابرات العامة بكوبري القبة، وعُقِدت عشرة اجتماعات متتالية. وبعد دراسة كل التقارير والبيانات والإحصائيات السابقة أمكن تلخيص المعلومات المجتمعة في الآتي:

- تبين أن تدريس التاريخ الإسلامي في المدارس للنشء بحالته القديمة يربط السياسة بالدين في لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر، ويسهل تتابع ظهور معتنقي الأفكار الإخوانية.
- صعوبة واستحالة التمييز بين أصحاب الميول والنزعات الدينية، وبين معتنقي الأفكار الإخوانية، وسهولة فجائية تحول الفئة الأولى إلى الثانية بتطرف أكبر.
- غالبية أفراد الإخوان عاش على وهم الطهارة، ولم يمارس الحياة الاجتماعية الحديثة، ويمكن اعتبارهم من هذه الناحية "خام".
- غالبيتهم ذوو طاقة فكرية وقدرة تحمل ومثابرة كبيرة على العمل، وقد أدى ذلك إلى اطراد دائم وملموس في تفوقهم في المجالات العلمية والعملية التي يعيشون فيها، وفي مستواهم العلمي والفكري والاجتماعي بالنسبة لأندادهم، رغم أن جزءًا غير بسيط من وقتهم موجه لنشاطهم الخاص بدعوتهم المشئومة.
- هناك انعكاسات إيجابية سريعة تظهر عند تحرك كل منهم للعمل في المحيط الذي يقتنع به.
- تداخلهم في بعض، ودوام اتصالهم الفردي ببعض، وتزاورهم والتعارف بين بعضهم البعض يؤدي إلى ثقة كل منهم في الآخر ثقة كبيرة.
- هناك توافق روحي وتقارب فكري وسلوكي يجمع بينهم في كل مكان، حتى ولو لم تكن هناك صلة بينهم.
- رغم كل المحاولات التي بذلت منذ عام 1936م لإفهام العامة والخاصة بأنهم يتسترون خلف الدين لبلوغ أهداف سياسية، إلا أن احتكاكهم الفردي

بالشعب يؤدي إلى محو هذه الفكرة عنهم، رغم أنها بقيت بالنسبة إلى بعض زعمائهم.

- تزعمهم حرب العصابات في حرب فلسطين سنة 1948م والقنال 1951م، رسب في أفكار الناس صورهم كأصحاب بطولات وطنية عملية، وليست دعائية فقط بجوار أن الأطماع الإسرائيلية والاستعمارية والشيوعية في المنطقة لا تخفي أغراضها في القضاء عليهم.

- نفورهم من كل من يعادي فكرتهم جعلهم لا يرتبطون بأي سياسة خارجية سواء عربية أو شيوعية أو استعمارية، وهذا يوحي لمن ينظر لماضيهم بأنهم ليسوا عملاء، وبناء على ذلك رأت اللجنة أن الأسلوب الجديد في المكافحة يجب أن يشمل أساسًا بندين متداخلين وهما:

1 - محو فكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامي.

2 - إبادة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم فعلًا والوجود من معتنقي الفكرة. ويمكن تلخيص أسس الأسلوب الذي يجب استخدامه لبلوغ هذين الهدفين في الآتي:

أولًا: سياسة وقائية عامة:

1 - تغيير مناهج تدريس التاريخ الإسلامي والدين في المدارس، وربطها بالمعتقدات الاشتراكية كأوضاع اجتماعية واقتصادية، وليست سياسية مع إبراز مفاسد الخلافة، وخاصة زمن العثمانيين، وتقدم الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة.

2 - التحري الدقيق عن رسائل وكتب ونشرات ومقالات الإخوان في كل مكان، ثم مصادرتها وإعدامها.

3 - يحرم بتاتًا قبول ذوي الإخوان وأقربائهم حتى الدرجة الثالثة من القرابة من الانخراط في السلك العسكري أو البوليسي أو السياسي مع سرعة عزل الموجودون من هؤلاء الأقرباء من هذه الأماكن أو نقلهم إلى أماكن أخرى في حال ثبوت ولائهم.

4 - مضاعفة الجهود المبذولة في سياسة العمل الدائم على فقدان الثقة بينهم، وتحطيم وحدتهم بشتى الوسائل، وخاصة عن طريق إكراه البعض على كتابة تقارير عن زملائهم بخطهم، ثم مواجهة الآخرين بها مع العمل على منع كل من الطرفين من لقاء الآخر أطول فترة ممكنة لتزيد شقة - انعدام الثقة - بينهم.

5 - بعد دراسة عميقة لموضوع المتدينين من غير الإخوان، وهم الذين يمثلون الاحتياطي لهم، وجد أن هناك حتمية طبيعية عملية لالتقاء الصنفين في المدى الطويل.. ووجد أن الأفضل أن يبدأ بتوحيد معاملتهم بمعاملة الإخوان قبل أن يفاجئونا كالعادة باتحادهم معهم علينا.

6 - ومع افتراض احتمال كبير لوجود أبرياء كثيرين منهم، إلا أن التضحية بهم خير من التضحية بالثورة في يوم ما على أيديهم، ولصعوبة واستحالة التمييز بين الإخوان والمتدينين بوجه عام، فلا بد من وضع الجميع ضمن فئة واحدة ومراعاة ما يلي معهم:

أ- تضييق فرص الظهور، والعمل أمام المتدينين عمومًا في المجالات العلمية والعملية.

ب- محاسبتهم بشدة على استمرار أي لقاء فردي أو زيارات أو اجتماعات تحدث بينهم.

ج - عزل المتدينين عمومًا عن أي تنظيم أو اتحاد شعبي أو حكومي أو اجتماعي أو طلابي أو عمالي أو إعلامي.

د - التوقف عن السياسة السابقة في السماح لأي متدين بالسفر للخارج للدراسة أو العمل، حيث فشلت هذه السياسة في تطوير معتقداتهم وسلوكهم، وعدد بسيط جدًا منهم هو الذي تجاوب مع الحياة الأوربية في البلاد التي سافروا إليها، أما غالبيتهم فإن من هبط منهم في مكان بدأ ينظم فيه الاتصالات والصلوات الجماعية أو المحاضرات لنشر أفكارهم.

و - التوقف عن سياسة استعمال المتدينين في حرب الشيوعيين، واستعمال الشيوعيين في حربهم بغرض القضاء على الفئتين، حيث ثبت تفوق المتدينين في هذا المجال، ولذلك يجب أن تعطى الفرصة للشيوعيين لحربهم وحرب أفكارهم ومعتقداتهم مع حرمان المتدينين من الأماكن الإعلامية.

هـ - تشويش الفكرة الموجودة عن الإخوان في حرب فلسطين والقنال وتكرار النشر بالتلميح والتصريح عن اتصال الإنجليز بالهضيبي وقيادة الإخوان، حتى يمكن غرس فكرة أنهم عملاء للاستعمار في ذهن الجميع.

ن - الاستمرار في سياسة محاولة الإيقاع بين الإخوان المقيمين في الخارج وبين الحكومات العربية المختلفة، وخاصة في الدول الرجعية الإسلامية المرتبطة بالغرب، وذلك بأن يروج عنهم في تلك الدول أنهم عناصر مخربة ومعادية لهم، وبأنهم يضرون بمصالحها، وبهذا نسهل محاصرتهم في الخارج أيضًا.

ثانيًا: سياسة استئصال السرطان الموجود الآن:

بالنسبة للإخوان الذين اعتقلوا أو سجنوا في أي عهد من العهود يعتبرون جميعًا مرضى قد تمكنت الفكرة كما يتمكن السرطان من الجسم، ولا يُرجى شفاؤه؛ ولذا تجري عملية استئصالهم كالآتي:

المرحلة الأولى: إدخالهم في سلسلة متصلة متداخلة من المتاعب تبدأ بالاستيلاء أو وضع الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم، ويتبع ذلك اعتقالهم. وأثناء الاعتقال يستعمل معهم أشد أنواع الأهانة والعنف والتعذيب على مستوى فردي ودوري؛ حتى يصيب الدور الجميع، ثم يعاد وهكذا، وفي نفس الوقت لا يتوقف التكدير على المستوى الجماعي، بل يكون ملازمًا للتأديب الفردي.

وهذه المرحلة إن نفذت بدقة ستؤدي إلى ما يأتي:

بالنسبة للمعتقلين: اهتزاز المثل والأفكار في عقولهم، وانتشار الاضطرابات العصبية والنفسية والعاهات والأمراض فيهم.

بالنسبة لنسائهم: سواء كن زوجات أو أخوات أو بنات، فسوف يتحررن، ويتمردن بغياب عائلهن، وحاجتهن المادية قد تؤدي إلى انزلاقهن.

بالنسبة للأولاد: تضطر العائلات لغياب العائل وحاجتهم المادية إلى توقيف الأبناء عن الدراسة وتوجيههم للحرف والمهن، وبذلك يخلو جيل الموجهين المتعلم القادم ممن في نفوسهم حقد أو ثأر أو آثار من أفكار آبائهم.

المرحلة الثانية: إعدام كل من ينظر إليه بينهم كداعية، ومن تظهر عليه الصلابة سواء داخل السجون والمعتقلات أو بالمحاكمات، ثم الإفراج عن الباقي على دفعات مع عمل الدعاية اللازمة لانتشار أنباء العفو عنهم، حتى يكون ذلك سلاحًا يمكن استعماله ضدهم من جديد في حالة الرغبة في العودة إلى اعتقالهم، حيث يتهمون بأي تدبير ويوصفون، حين ذلك بالجحود المتكرر لفضل العفو عنهم.

وهذه المرحلة إن أحسن تنفيذها باشتراكها مع المرحلة السابقة ستكون النتائج كما يلي:

1 - يخرج المعفو عنه إلى الحياة فإن كان طالبًا فقد تأخر عن أقرانه. ويمكن أن يفصل من دراسته ويحرم من متابعة تعليمه.

2 - إن كان موظفًا أو عاملًا، فقد تقدم زملاؤه، وترقّوا وهو قابع مكانه، ويمكن أن يحرم من العودة إلى وظيفته أو عمله.

3 - إن كان تاجرًا، فقد أفلست تجارته، ويمكن أن يحرم من مزاولة تجارته.

4 - إن كان مزارعًا، فلن يجد أرضًا يزرعها، حيث وضعت عليه الحراسة أو صدر بها قرار استيلاء.

وسوف تشترك جميع الفئات المعفو عنها في الآتي:

1 - الضعف الجسماني والصحي والسعي المستمر خلف العلاج والشعور المستمر بالضعف المانع من أية مقاومة.

2 - الشعور العميق بالنكبات التي جرتها عليهم دعوة الإخوان، وكراهية الفكرة والنقمة عليها.

3 - عدم ثقة كل منهم في الآخر وهي نقطة لها أهميتها في انعزالهم عن المجتمع وانطوائهم على أنفسهم.

4 - خروجهم بعائلاتهم من مستوى اجتماعي إلى مستوى أقل نتيجة لعوامل الإفقار التي أحيطت بهم.

5 - تمرد نسائهم وثورتهن على تقاليدهم، وفي هذا إذلال فكري ومعنوي لكون النساء في بيوتهن سلوكهن يخالف أفكارهم، وتبعًا للضعف الجسماني والمادي لا يمكنهم الاعتراض.

6 - كثرة الديون عليه نتيجة لتوقف إيراداتهم واستمرار مصروفات عائلاتهم.

النتائج الجانبية لهذه السياسة هي:

1 - الضباط والجنود الذين يقومون بتنفيذ هذه السياسة سواء من الجيش أو البوليس سيعتبرون فئة جديدة ارتبط مصيرها بمصير هذا الحكم القائم، حيث عقب التنفيذ سيشعر كل منهم أنه في حاجة إلى هذا الحكم ليحميه من أي عمل انتقامي قد يقوم به الإخوان كثأر.

2 - إثارة الرعب في نفس كل من تسول له نفسه القيام بمعارضة فكرية للحكم القائم.

3 - وجود الشعور الدائم بأن المخابرات تشعر بكل صغيرة وكبيرة، وأن المعارضين لن يتستروا، وسيكون مصيرهم أسوأ مصير.

4 - محو فكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامي.

انتهى... ويعرض على السيد الرئيس **جمال عبد الناصر**!!)[1].

(1) نقلاً عن: أحمد عادل كمال/ النقط فوق الحروف، الزهراء للإعلام العربي، 1987م، ص ص 349 - 356.

تنظيم 1965م:

وجاءت ثمرة تلك الوثيقة الشيطانية سريعة، فقد أعلن عبد الناصر عن اكتشاف تنظيم جديد للإخوان، حيث خطب متوعدًا في مؤتمر الطلبة العرب بموسكو في أغسطس 1965م، قائلاً: (إنهم اكتشفوا مؤامرة جديدة للإخوان المسلمين تعمل في خدمة الاستعمار ومخططاته، وأن الإخوان المسلمين استغلوا العفو عنهم وفتح مجال العودة أمامهم بعد ذلك كي يتآمروا من جديد بأموال أرسلها لهم سعيد رمضان بعد أن حصل عليها من مصادر أجنبية.. وأنه لا يمكنه أن يقابل ذلك باللين؛ لأنه عفا عنهم مرة، ولن يستطيع أن يعفو مرة أخرى..)[1]!

لقد كان عبد الناصر يظن أنه قضى على جماعة الإخوان قضاءً مبرمًا بعد الضربة القاضية التي وجهها لهم عام 1954م، ولكنه بوغت بتنظيم 65.. تنظيم متشعب يشمل المثقفين حتى طبقة أساتذة الجامعة وعددًا ضخمًا من المهندسين ومستشارين وقضاة ومحامين.. إلخ، ويمتد رأسيًا من أسوان إلى القاهرة، وأغلب محافظات الوجه البحري والإسكندرية.

وترجع بدايات تنظيم 65 عند خروج بعض الإخوان الذين لم تصدر ضدهم أحكام عام 1954م، وكان من بينهم الشهيد (عبد الفتاح إسماعيل)، الذي اجتمع بالحاجة زينب الغزالي في مكة المكرمة بعيدًا عن الرقابة الناصرية وتدارسا الواقع، وكيفية العمل في هذه المرحلة، وبعد طول مدارسة اتفقا على كيفية العمل بهذه الطريقة، تقول الحاجة زينب: (في سنة 1959م، انتهت بحوثنا إلى وضع برنامج للتربية الإسلامية، وأشهد الله على أنه لم يكن في برنامجنا غير تربية

(1) جريدة (الأهرام)، أغسطس 1965م.

الفرد المسلم الذي يعرف واجبه تجاه ربه، وتكوين المجتمع المسلم الذي سيجد نفسه بالضرورة مفاصلاً للمجتمع)[1].

وبدأ الإخوان يتجمعون، وعلى رأسهم الحاجة زينب والشهيد عبدالفتاح إسماعيل، ويقول الحاج أحمد عبدالمجيد: (ثم ضربنا موعدًا نتقابل فيه بمنزل الشيخ عبد الفتاح إسماعيل، وتقابلنا هناك نحن الأربعة، وتدارسنا الأمر، وناقشنا الأمور لمدة ثلاثة أيام متتالية، وتم توزيع الاختصاصات التالية:

1 - الشيخ عبد الفتاح إسماعيل (تاجر): مسؤول عن دمياط وكفر الشيخ وشرق الدلتا.

2 - محمد فتحي رفاعي: مسؤول عن وضع البرامج الدراسية والتربوية.

3 - علي عشماوي: مسئول عن القاهرة والجيزة، ومسؤول عن التدريبات الرياضية، والاتصال بالإخوان في الخارج.

4 - أحمد عبد المجيد: مسؤول عن الوجه القبلي، ومسئول عن المعلومات)[2].

واختير الشهيد سيد قطب ليكون مسئولاً عن التنظيم، وكان لا يزال داخل السجن، واختيرت حميدة قطب لتقوم بدور الرسول بين قادة التنظيم خارج السجن وبين أخيها سيد داخل السجن، وظلت تقوم بهذا الدور لسنوات عدة حتى اكتشف التنظيم.

ويقول أحمد عبد المجيد:

(اكتُشِفَ تنظيم 65 عن طريق الصدفة، فقد كان ضمن المقبوض عليهم في قضية حسين توفيق شخص يدعى سامي عبد القادر، ويعرف الأخ يوسف القرش

(1) زينب الغزالي، أيام من حياتي، دار الشروق، 1982م، ص 38 بتصرف.

(2) أحمد عبد المجيد، الإخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم 1965م، الزهراء للإعلام العربي، 2006م، ص 34.

من الإخوان، وأثناء تعذيبه اعترف على يوسف القرش، وقال: إن عنده قنبلتين يدويتين، وعند ذهابهم للقبض على يوسف القرش في قرية (سنفا) بمحافظة الدقهلية لم يجدوه وقيل لهم: إنه عند صديقه بالقاهرة حبيب عثمان.

وتحت التعذيب الشديد لحبيب عثمان، لمدة 15 يومًا، اعترف على أعضاء أسرته، واختفى النقيب ولم يتم القبض عليه وانقطع الخيط وكان هذا النقيب هو الأخ (مصطفى الخضيري) يرحمه الله.

وكان الشهيد عبد الفتاح إسماعيل مطلوبًا للاعتقال، وذهبوا لقريته فلم يجدوه، واعتقلوا أخاه "الشيخ عليّ" كرهينة، وتحت التعذيب دلّهم على المهندس فاروق الصاوي، وعلموا أيضًا بصلة الشيخ عبد الفتاح بالشيخ محمد عبد المقصود العزب فاعتقلوه وصهره، فعذبوه عذابًا شديدًا، فدلّهم على بعض الشباب الذين يعرفهم الشيخ عبد الفتاح، منهم ثلاثة بكلية الطب، وواحد بكلية التجارة، وهو محمود فخري، فاعترف على بعض الإخوان منهم محمد عواد أول شهيد في مذبحة 65 في السجن الحربي، وكان عنده مصطفى الخضيري الذي استطاع الهرب، وكان هو نقيب أسرة حبيب عثمان الهارب.

وتحت التعذيب لمحمود فخري دلّهم على شقة مرسي مصطفى مرسي، وكمنوا فيها للقبض على القادمين للشقة، وبالفعل أتى للشقة عبد الفتاح إسماعيل ومبارك عبد العظيم عبّاد وعلى عشماوي، وقبض عليهم جميعًا، وحملوهم إلى السجن الحربي، وكان ذلك يوم 1965/8/20م.

وحتى ذلك الوقت، لم تتضح صورة التنظيم لهم، وكانت الصورة أمامهم لا تتعدى مجرد تعارف ولقاءات، ولكن علي عشماوي اعترف لهم اعترافات كاملة بعد التعذيب المبدئي، تمت على إثرها حملة الاعتقالات الواسعة لأعضاء التنظيم والمعارف والأصدقاء وكل من له صلة من بعيد أو قريب!)[1].

(1) أحمد عبد المجيد/ الإخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم 1965م، ص 69 - 70.

وأعقب ذلك إصدار عبد الناصر قرارًا في 1965/9/6م باعتقال كل من سبق اعتقاله من الإخوان المسلمين منذ عام 1948 وما بعدها، وعلى إثر ذلك القرار تم فتح جميع سجون ومعتقلات مصر، وزجّ فيها البوليس المصري بكل من سبق اعتقاله، وامتدت حملات الاعتقال لتشمل كل من ينتمي إلى أي جمعية إسلامية. وتم تشكيل خمس دوائر عسكرية لمحاكمة الآلاف الذين اعتقلوا:

الدائرة الأولى: برئاسة اللواء الدجوي، وحكمت على الشهيد سيد قطب وستة آخرين بالإعدام شنقًا، ونفذ الحكم بالفعل في سيد قطب ومحمد يوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل، وخفف عن الباقي للأشغال الشاقة المؤبدة.

أما الدائرة الخامسة، فقد كانت أيضًا برئاسة الدجوي، وخصصت لمحاكمة المرشد العام حسن الهضيبي.

أما الدوائر الثلاث الأخرى، فقد حكمت بالمؤبد على 51 متهمًا، وعلى 176 بالسجن من 3 - 15 سنة، أما باقي المعتقلين الحاصلين على البراءة، فلم يفرج عنهم إلا بعد هلاك عبد الناصر في عام 1970م، رغم أن الصحف قد نشرت في حينها أنه تم الإفراج عنهم!

وفي حومة محنة 1965م استدعى الأستاذ عاكف من محبسه بقنا إلى مبنى المباحث العامة للتحقيق معه إن كان له صلة بتنظيم 65، وحول هذه الواقعة يقول الأستاذ عاكف: (استدعيت مع غيري كالأستاذ عمر التلمساني وبعض أعضاء مكتب الإرشاد، ووضعنا في مبنى المباحث العامة لمدة شهرين، وطُلِبت للقاء فؤاد علام مسؤول مكافحة الإخوان، وجلست على كرسي أمام أحد المكاتب، ووضعت ساقًا على ساق، ولم أغيّر جلستي، بينما يمرّ عليّ كبار قادة وزارة الداخلية.. وبعد ساعات طويلة من الانتظار أتى فؤاد علام واستفتح الكلام، قائلاً: إن الرئيس عبد الناصر يطلب منك اعتذارًا عما فعلته خلال السنوات الماضية!

فقلت له على الفور: كنت أحسب أنك ستأتيني منه باعتذار عما بدر منه من جرائم ضد الإخوان من 54 إلى الآن!

فبُهت فؤاد علام من سرعة ردي عليه، وخرج من معه بالمكتب مسرعين من وقع المفاجأة، وأضاف فؤاد علام: ورقة بسيطة وتخرج من هذه البوابة!

فقلت له: أنت ومن يرأسك لا يستطيع إخراجي من هذه البوابة إلا بأمر من تأتمرون بأمرهم!

فحار فؤاد علام، ولم يستطع إكمال مساومته، وقال لي: اذهب مشكورًا![1].

ومورس ضد معتقلي تنظيم 65 تعذيب وحشي من خبرات معتقلات النازية والستالينية، وطريقة انتزاع الاعترافات التي طبقت على أسرى حرب فيتنام، وبما فاق محن 48 و1954م.

وقد سجلت المحاكم التي عقدت في عهد السادات لمحاكمة بعض زبانية عبد الناصر ما حدث في 65 من تعذيب، فقالت:

(إن المحكمة لتسجل بحق أن الجريمة موضوع هذه الدعوى - تعذيب - كانت سُبّة في جبين الحكم المصري، يندى لها خزيًا وعارًا، ولعل في حكم المحكمة ما يسدل الستار على حقبة في تاريخ مصر امتهنت، وأهينت كرامة الإنسان، الذي كفل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حدّها الأدنى، حقبة من تاريخ مصر كانت فيها السيادة للسياط توصلاً للإرهاب وللإلقاء في غياهب السجون، أو تقربًا زلفى للحكام والرؤساء، حقبة من تاريخ مصر تضاءلت فيها سمعة سجن الباستيل بفرنسا، وطغت عليها سمعة السجن الحربي بمصر، حقبة من تاريخ مصر أعادت إلى الأذهان ذكرى محاكم التفتيش، وما كان يجرى فيها من مخاز وفظائع حقبة من تاريخ مصر تسابق فيها الجلادون إلى ابتكار وسائل التعذيب..)[2]!

---

(1) حوار: عزام التميمي (حلقات مراجعات)، قناة الحوار.

(2) نقلاً عن: المستشار سالم البهنساوي، الحكم وقضية تكفير المسلم، دار الوفاء، 1415هـ - 1994م، ص 203.

وساهمت إعمال التعذيب والإبادة في إقناع الشباب بأن الإسلام ودعاته هم هدف ذلك المخطط الأثيم، وأن هؤلاء الحكام منفذًا تلك السياسات أداة تحركها القوى العالمية المسيطرة على العالم لتدمير الإسلام وإبادة أهله!

ولذلك أطل فكر التكفير برأسه بداية من سجن القناطر ثم تبلور وتشكل في صورته النهائية، وشحنت به رؤوس الشباب في كافة سجون مصر أعوام 1965 و1966 و1967م.

كان هذا الفكر في بداياته أقوالاً مرسلة وغير محددة، ولم يتجاوز الأوصاف العامة للحكام والمجتمعات بالكفر أو الجاهلية دون أن يتعرض الشباب للأحكام والنتائج المترتبة على هذه الأوصاف، ثم تطور بعد المحنة لتكفير المجتمع ككل، وأن من لم يكفر الحاكم الظالم فهو كافر!

ويحدثنا الخبير في قضايا التكفير والعنف المستشار (سالم البهنساوي)، أحد الشهود الكبار الذين عاينو ولادة فكر التكفير من البعض داخل سجون عبد الناصر، وهو كذلك أحد الذين تصدوا لهذا الفكر وحاور وناظر مؤسسيه، وأثبت خطأه بالحجة والبرهان، كما أثبت تصادمه الصريح مع نصوص القرآن والسنة النبوية.

وعن دور الإخوان المسلمون في مواجهة هذه الأفكار التكفيرية، يقول فضيلة المستشار:

(إن هذا الفكر لم يظهر بهذه الصورة فجأة، ولكن بدأ في شكل تساؤلات بين الشباب في سجن القناطر الخيرية إبّان الستينيات، ولم يتجاوز حد السؤال والحوار، ولما علم بذلك شيوخ الإخوان في السجون الأخرى أنكروه تمامًا، وكان من بينهم الأستاذ عمر التلمساني، والأستاذ مصطفى مشهور، والشيخ حامد شريت وآخرون يرحمهم الله جميعًا، وعندما أرسل هؤلاء الشباب سؤالاً

إلى مرشد الإخوان في ذلك الوقت المستشار حسن الهضيبي (رحمه الله) عن طريق والدة أحدهم (أم أحمد) كان رده واضحًا وصريحًا، وهو إنكار هذا الفكر؛ لأنه خليط من أقوال الخوارج والجماعات الباطنية، وقد أدى هذا الرد الواضح والصريح إلى عدم انتشار هذا الفكر في أوساط الإخوان في السجون، وكان عددهم بالآلاف، وبعد انتهاج الحكومة المصرية سياسة اعتقال جميع المتدينين الذين يتحركون في المساجد، وكان من بينهم مجموعة كبيرة من شباب جماعة التبليغ، ومنهم شكري مصطفى وعبد الله السماوي وغيرهما ممن تولوا قيادات هذه الجماعة، هؤلاء الشباب بدأو يكفرون غيرهم ممن لم ينضم إليهم ذلك تحت وطأة التعذيب، والذي قضى على هذا الفكر نهائيًا في مصر هو البحث الذي أعده علماء الإخوان المسلمين في معتقل طرة السياسي بإشراف ومراجعة المستشار حسن الهضيبي والذي نشر بعد ذلك في كتاب بعنوان (دعاة لا قضاة)، وقال الأستاذ الهضيبي صراحة: إن هذا الفكر يخالف منهج أهل السنة والجماعة الذي أجمع عليه المسلمون. وبعد حوارات ومناقشات بين شيوخ الإخوان وهؤلاء الشباب اجتمع زعيم جماعة التكفير الشيخ علي عبده إسماعيل مع أتباعه في معتقل طره السياسي، وقف الشيخ إسماعيل، وكان من علماء الأزهر، وأعلن لجماعته فساد الفكر الذي يكفر باقي المسلمين، وشرح لهم الأسباب الشرعية فانصرفوا جميعًا عن هذا الفكر ما عدا ثلاثة أفراد كانوا طلابًا، وكان أكبرهم سنًا شكري مصطفى، هؤلاء الثلاثة رفضوا العدول عن هذا الفكر، وعارضوا إمامهم علي عبده إسماعيل، بل حكموا بكفره وكفر جميع المسلمين منذ القرن الرابع الهجري وحتى اليوم، وزعم شكري مصطفى أن من لم ينضم لجماعته فهو كافر، وقال قولته المشهورة: (نحن الجماعة المجتباة قدرًا والمنصورة يقينًا!...)[1].

(1) حوار: رجب الدمنهوري/ واجهت الفكر التكفيري على امتداد أربعين عامًا، مجلة (المجتمع)، ع1641 - 24المحرم 1426هـ - 5/ 3/ 2005م، 36 - 38.

ومن مناقشات المستشار العريضة مع أصحاب هذا الفكر، خلص إلى أن منطلقات هذا الفكر تتمحور في عدة أمور، أهمها:

(أصحاب هذا الفكر كانوا ينطلقون من أمور يظنون أنها من العقائد، وأن فهمهم لها هو الحق، ومن ليس معهم فهو في ضلال، ومن أبرز هذه الأمور قضية الحاكمية ويعنون بها أن شهادة (لا إله إلا الله) لا تكفي لدخول الشخص الإسلام، بل لابد من العمل، وأخص خصائص العمل من وجهة نظرهم الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، والانضمام إلى جماعتهم، وهم لا يعترفون إلا بها، ويستدلون على ذلك ببعض الاستشهادات منها أن مفهوم لا إله إلا الله في عصر النبي (ﷺ) كان لا يقتصر على النطق بالشهادتين، فمن مستلزماته انتقال هذا المسلم من المجتمع الجاهلي - في نظرهم - إلى مجتمع المؤمنين وجماعتهم، زاعمين أنه لما هاجر النبي (ﷺ) كانت الهجرة فرضًا على المؤمنين جميعًا ولم يستثن منها أحد)[1]...

وعايش الدكتور رشاد البيومي محنة التكفير، وسجالاتها وصراعاتها الفكرية بين قادة الإخوان ومعتنقي هذا الفكر، يقول الدكتور رشاد البيومي: (.. في ليلة الثالث عشر من رمضان عام 1960م، تم ترحيل (62) أخًا من سجن المحاريق إلى سجن القناطر (حيث تم ترحيل إخوان ليمان طرة بعد مذبحة 1957/6/5م)، وبعد فترة جاءتني رسالة من الأخ جلال عبد العزيز يذكر فيها أن هناك بعض أفراد من الإخوان يتحدثون عن فكر الجاهلية والتكفير واعتزال المجتمع، بما يتنافى تمامًا، ويتعارض مع فكر الإخوان الذي استقيناه عن قائدنا وقدوتنا محمد (ﷺ) ودرسناه في مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا.. وينسبون هذا الكلام للأستاذ سيد قطب)[2]!

(1) المصدر السابق.

(2) أ.د: رشاد البيومي: هذه حكايتي مع الشهيد سيد قطب بكل تفاصيلها، مجلة (المجتمع)، ع1890، 6 ربيع الأول 1431هـ - 2010/2/20م، ص36 - 37.

(عرضت الرسالة فورًا على الأستاذ عبد العزيز عطية الذي تدارسها بدوره مع إخوانه أعضاء مكتب الإرشاد (الأستاذ التلمساني، والشيخ أحمد شريت، والأستاذ أبو النصر)، فانتهى الجميع إلى أنه من الواجب سؤال الأستاذ سيد قطب نفسه عن صحة ما ورد وحقيقة تلك الأفكار التي ينادي بها البعض، وأرسلت له رسالة بهذا المعنى، وجاء الرد من الأستاذ سيد منكرًا أن يكون قد ورد على لسانه تصريحًا أو تلميحًا بهذا الذي وصلنا، وختم ذلك بعبارته الشهيرة (لقد حملت أفكاري على حمار أعرج)[1].

(ولكن تلك المجموعة بقيت على قناعة بتفسير كلام الأستاذ سيد بما يتفق مع طبيعتهم وأهوائهم، حتى كانت محنة 65، والتقينا بتلك المجموعة في سجن مزرعة طرة، وظلت هذه المجموعة على حالها، وانضم إليها الأستاذ محمد قطب الذي لم يكن فردًا في الجماعة.. وبعد إذن من الأستاذ المرشد الهضيبي حاولنا إثناء هذه المجموعة عن التزام هذا الفكر المدمر والبعيد كل البعد عن منهج الإخوان وصدق توجهاتهم، وبعد صولات وجولات زاد تمسك هؤلاء بفكرتهم، فصدر قرار الجماعة بفصلهم (21 فردًا)، ومنهم الأستاذ محمد قطب)[2]!

وأكد ذلك الأستاذ مأمون الهضيبي أحد الذين ساهموا في كتابة بحث (دعاة لا قضاة)، والمرشد السادس للجماعة، بقوله: (.. بعد التصديق على الأحكام في قضية الأستاذ سيد قطب.. حضر أحد المسؤولين بالسجن، ونادى على الأستاذ سيد قائلاً: استعد للرحيل فطلب منه الأستاذ سيد إمهاله حتى يجمع الأدوية الخاصة به.. فرد عليه المسئول: لن تكون في حاجة إلى أدوية!.. وهنا أيقن الأستاذ سيد أن الأجل قد حان، وكان باب الزنزانة مفتوحًا، فاندفع متوجهًا

(1) نفس المصدر.

(2) المصدر السابق.

للأستاذ مأمون في عجل قائلاً له: بلغ الأستاذ المرشد أنني لم أكفّر أحدًا، وأني على العهد مع جماعتي حتى ألقى الله)[1].

لقد تمسك بعض الذين ظلموا الشهيد سيد قطب بأنه يقول بتكفير المجتمع، بدليل أنه سمى البلاد الإسلامية كلها دار حرب.

وقد وضح الشهيد مقصوده من ذلك، حيث سئل في تحقيقات الجناية 1965/123م أمن الدولة العليا: قرر قادة أعضاء التنظيم أنك أفهمتهم أنهم هم الأمة المؤمنة وسط مجتمع جاهلي، وأنه لا تربطهم بالدولة ولا بالمجتمع ولا بنظام الحكم القائم فيه أي روابط، وأنهم كأمة مسلمة عليهم أن يعتبروا أنفسهم في حالة حرب مع الدولة والمجتمع الذي يعيشون فيه..؟

فأجاب الشهيد قائلًا: (في هذا الفهم أخطاء كثيرة، فهم:

أولا: إنهم مجرد نواة تربى لتكون في مستوى الطليعة المؤمنة، وهذا ما كان مفهومًا بيني وبينهم بوضوح.

وثانيًا: إن علاقة الأمة المؤمنة بدار الحرب والسلام، كان الحديث فيها كأحكام نظرية لبيان الأحكام في ذاتها، لا لأنها منطبقة على أحد في الوقت الحاضر؛ لأنه سبق تقرير أن وجود الأمة المسلمة أمر من أمور المستقبل التي يقع النشاط وتقع الحركة لتحقيقها، وهذه هي المفهومات التي كنت أريد أن يفهموها.

ويرد الشهيد على من اتهمه بأنه لا يعتبر المسلم مسلمًا إلا من آمن بفكرته هذه، والتي يسميها (العصبة المسلمة)، عندما سئل: هل ترى أن هناك فرقًا بين المسلم المنتمي لجماعة الإخوان، وغير المنتمي لهذه الجماعة؟

وكان الجواب من الشهيد هو: (الذي يميز الإخوان أن لهم برنامجًا في تحقيق الإسلام، فيكونون مقدمين في نظري على من ليس لهم برنامج محدد، والتمييز

(1) المصدر السابق.

في رأيي ليس تمييز شخص على شخص، ولكن فقط باعتبار أن الجماعة ذات برنامج، وأن كل فرد فيها مرتبط بهذا البرنامج لتحقيق الإسلام عمليًا وهذا وجه التمييز في رأيي)[1].

فأين موقع الأستاذ عاكف في هذه القضية الخطيرة الشائكة حقًا؟ وماذا قال عن رأس هذه القضية، والمتهم زورًا بأنه الأب الروحي لجماعات العنف، الأستاذ سيد قطب؟!

قال عاكف: (إن كلام الأستاذ سيد قطب لم يخرج عن فكر الإخوان، وعندما بدأ في كتابة (معالم في الطريق)، الذي آثار جدلاً كبيرًا - ولا يزال - أثناء وجوده في السجن كان الإخوان يراجعونه، وقد التقى الأستاذ التلمساني بالأستاذ سيد في مستشفى الليمان وسأله أسئلة محددة، وفي النهاية رأت الجماعة أنه لا يحمل فكرًا مخالفًا لتوجهات الجماعة، وأنه يؤمن بما قاله الأستاذ البنا في رسالة التعاليم: (**لا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما، وأدى الفرائض، برأي أو معصية إلا إذا أقرّ بكلمة الكفر أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن أو فسّره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلًا غير الكفر**)[2]!

وقد أضاف الأستاذ عاكف إلى كلامه هذا الرأي: (إذا تلقى كتابات الأستاذ سيد من عنده قسط من العلم أو ميزان سليم، فسيستفيد منه استفادة كبرى، أما الذين ليس لديهم هذا القسط، فربما يخرجون بجهلهم عن المراد الذي كتبه الأستاذ سيد قطب)[3].

---

(1) نقلاً عن: د.جاسم مهلهل الياسين: سيد قطب لم يكفر مسلمًا، مجلة (المجتمع) ع1890 - 6 ربيع الأول 1431هـ - 20/2/2010م. ص38 - 41.

(2) حوار: عبد المعز محمد: د.محمود عزت: 6 نقاط أساسية في برنامج الحزب، مجلة (المجتمع)، ع1775 - 23 شوال 1428هـ - 3/11/2007م، ص20 - 23.

(3) نفس المصدر.

وعاد الأستاذ عاكف بذاكرته إلى سجن قنا، عندما تلقوا بحث الإمام الهضيبي (دعاة لا قضاة)، قائلًا: (في سنة 1970م أرسل إلينا الأستاذ الهضيبي، وكان مسجونًا في سجن مزرعة طرة بحثه الذي تحول لكتاب شهير وهو (دعاة لا قضاة)، وبعد أن درسنا البحث أثار عندي وعند بعض الإخوان تساؤلًا: هل نقرأ كتب الأستاذ سيد أم لا؟! وبالفعل أرسلنا بذلك للأستاذ الهضيبي، وجاءنا رد فضيلته بأن نقرأ كتب الأستاذ سيد، ولكن علينا بالضوابط التي جاءت في بحث (دعاة لا قضاة)[1].

وفي إضافة أخرى للأستاذ عاكف عن إمامنا الهضيبي، يذكرها له، بقوله: (وكان من ضمن كلامه الذي يوزن بالذهب قوله في بعض الاختيارات الفقهية: وهذا اختيار إمامنا البنا!.. أرأيت هذا الأدب الراقي مع الأستاذ البنا؟!)[2].

وبعد استشهاد سيد قطب وإخوانه بأشهر، تم جرّ الجيش المصري إلى فخ ومذبحة مروعة على أرض سيناء. ففي صباح 1967/6/5م، قامت إسرائيل بضرب إحدى عشر مطارًا حربيًا، وتدمير 90% من القوة الجوية المصرية خلال ثلاثة ساعات ونصف!

وبعد ظهر 6/6 أصدر المشير عامر قراره الأشهر بانسحاب القوات المصرية غرب القناة.

فتم الانسحاب دون خطة تكتيكية لحماية القوات عند انسحابها، وكانت النتيجة فوضى عارمة وتكدس للقوات في طرق الانسحاب، فانتهزت إسرائيل الفرصة التي تنتظرها فأمطرت القوات المنسحبة بغارات جوية مكثفة، أدى ذلك إلى قتل عشرين ألف جندي وضابط وتدمير 80% من القوات البرية، وترك أسلحتها في العراء!

---

(1) نفس المصدر.

(2) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (2)، مجلة (المجتمع)، 2004/8/21م، ص42.

وإزاء هذه الكارثة المروعة، قرّر عبد الناصر التنحي عن سدة الحكم، وتكليف زكريا محيي الدين برئاسة الجمهورية، ولكن خروج الشعب المصري إلى الشوارع في 9 - 6/10 رفضًا للهزيمة واستسلامه أرغماه على العدول عن قراره!

وسقطت دولة المخابرات، ولكن استمرت الدولة البوليسية بأشخاص جدّد غير الذي كانوا من قبل، واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن هلك عبد الناصر في 1970/9/28م، وتولى نائبه محمد أنور السادات السلطة، وأراد رجال عبد الناصر (علي صبري - محمد فوزي - شعراوي جمعة)، الالتفاف حوله وعزله، ولكنه كان متيقظًا لما يخططون له منذ وفاة عبد الناصر، وانقض عليهم، وفتك بهم في مايو 1971م.

وبعدها، قام السادات بتصفية المعتقلات، وأفرج عن المعتقلين السياسيين بداية من يونيه 1971م، ولكن ظل المحكوم عليهم بقضايا إلى أعوام 73 و1974م نتيجة تعنّت الأجهزة الأمنية التي ورثها السادات عن سلفه المجرم.

وأفرج عن الأستاذ عاكف في يوليو 1974م، ولكن بعد مساومة رخيصة من قبل أجهزة الأمن أجريت معه، ولكنه لقنهم درسًا بأن هامّته لا تنحني إلا لله، قائلًا: (في يوم 1974/7/25م، جاء وفد من المخابرات والمباحث العامة، وكانوا حوالي خمسة أفراد ودخلوا على مدير الليمان، واسمه اللواء علي موسى، ثم طلبوني أنا وعلي نويتو، وقالوا لي: يا عاكف، لن نفرج عنك إلا إذا كتبت لأنور السادات تستعطفه للخروج!

فقمت دون أن أشعر وقلت لهم: اسمعوا، أبلغوا أنور السادات أن مهدي عاكف يقول لك: إن الله (ﷻ) خلقه حرًا، ولن يساوم على حريته، وأن الله خلق له عقلًا،

والعقل أمانة، والحاكم الشريف لا يساوم مواطنيه على حريتهم ولا على آرائهم، وانصرفت!)[1].

وفوجئت في اليوم التالي بمدير الليمان يحضر مسرعًا، ويقول لي: يا (عاكف) مبروك إفراج، وكنا خمسة باقين في السجن من الإخوان، أنا وصلاح شادي ومحمد سليم مصطفى وعلي نويتو ومحمد العدوي. وسئل الأستاذ عاكف في حديث صحافي:.. بعد خروج الإخوان من السجون عام 1974م في عهد السادات بعد قضاء فترات طويلة ومرور بمحن كثيرة.. ماذا تقولون عن هذه الفترة؟

- كان فيها خير كثير.. والكلام عنها يحتاج إلى ساعات طويلة.. لكن يكفيني أنني كنت أعمل بكلمة الأستاذ مصطفى مشهور (رحمه الله) "اعمل لسجنك كأنك تعيش فيه أبدًا.. واعمل لإفراجك كأنك تخرج غدًا".. وفعلًا بعد خروجنا من السجن لم نكن غرباء عن البلد، بل كنا نعرف كل شيء فيها، وقد خرجت وعملت في الحياة العامة.. وذهبت إلى السعودية، وترأست أكبر مؤتمرات وأكبر المخيمات.. لم يكن صعبًا عليّ أن أعايش الحياة والناس.. كان الناس يتعجبون.. كانوا يظنّون أننا سنخرج فنقعد أو نيأس.. وهذا لم يحدث.. كنا مستعدين للعمل.. فدبت الحياة في الإخوان، كلٌّ في محافظته، وكنّا في داخل السجن نفكّر ونخطط: ماذا سنفعل بعد الخروج ويشاء لي السميع العليم أن أحقّق ما كنت أحلم به وأخطط له في السجن..)[2].

وتجربة السجن الطويلة التي قاربت العشرين عامًا، خرج أستاذنا من تجاربها وآلامها وظلماتها بمعانٍ كثيرة، أوجزها في نقاط عديدة:

---

(1) عبده مصطفى دسوقي، محمد مهدي عاكف.. ورحلة عمر، مجلة (المجتمع)، ع2112 - 10/ 2017م، ص40.
(2) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (3)، مجلة (المجتمع)، 28/8/2004م، ص40 - 41.

(تجربتي في السجون المصرية ذات شجون، وأستطيع أن أوجز المعاني التي خرجت بها في النقاط التالية:

- أن الصلة بالله تعالى ضرورة في كل وقت وتحت أي ظرف، فهو وحده (سبحانه وتعالى) الذي يمدنا بالصبر والثبات والصلابة والصمود والقدرة على مواجهة كل المواقف.

- أن هذه الجماعة تسير وفق المنهج الإسلامي الصحيح، وقد استعصت على الطغاة والجبارين، ولو أن جماعة غيرها تعرضت لعشر معشار ما تعرضت له من الضغط والبطش والتنكيل لانتهى أمرها.

- أن الأمل في نصر الله ليس له حدود، ولا تقف دونه عقبات، وأن المستقبل لا محالة لهذا الدين مهما كانت العوائق والعقبات.

- أن السجون لم توهن عزائمنا، ولم تنل من إرادتنا، ولم تنقص من هممنا، ولم تؤثر في قناعاتنا، وفي نفس الوقت أتاحت لنا الفرصة لدراسة الكثير من الموضوعات بإحاطة وشمول وصبر وتريث وأناة.

- أن المحن من سنن الدعوات فيها يتفاضل أهل الإيمان، وفيها تكتشف الطاقات والملكات والمواهب)[1].

وقيل له أيضًا: بماذا حلمت وخططت لبعد الخروج والسجن؟

(كنت أفكر كيف أنشر الإسلام في ربوع العالم بدءًا من أفريقيا إلى أمريكا، وبالفعل خرجت وحققت هذا بعون الله)[2].

---

(1) حوار: أحمد عز الدين، محمد مهدي عاكف: الإصلاح السياسي المدخل الحقيقي لمواجهة التحديات الكبيرة، مجلة (المجتمع)، ع 1586 - 2 ذو الحجة 1424هـ - 24/1/2004م، ص38 - 40.

(2) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (3)، 28/8/2004م، ص41.

وهـــلك الطـاغية...

مات عبد الناصر وانزاح السد المنيع أمام الدعوة الإسلامية في مصر، وبرزت مدرسة الإخوان المسلمين كالمارد الذي خرج من القمقم الذي أراد الطغاة حبسه فيها طويلًا. لقد أدار رجال الحرس القديم للجماعة حوارًا في الفترة الأخيرة للمعتقل بعد زوال عبد الناصر، حول مستقبل الجماعة في عالم قد بدت له معالم جديدة؟ وتدارسوا فيما بينهم ما هي طرائق النشاط؟ وكيف يكون؟ وماذا سنفعل؟ ومن أين نبدأ؟ ومن يتخذ الخطوة الأولى؟ فالنظرة المتريثة بعد تلك الأحداث العاصفة التي مرت بهم قد تبدو أكثر وضوحًا والأحكام عليها أكثر توازنًا.. فخرجوا بنتيجة واضحة:

(الحكمة، ووضوح الرؤية، والنفس الطويل، وعدم استعجال النتائج) خلاصة ما تجمع من التجارب الرهيبة التي عرّكَت الجماعة. وعلى أساس هذه النظرة العميقة سيبتدئ العمل إن شاء الله.

وفي نوفمبر 1973م، رحل المرشد العام حسن الهضيبي عن عمر يناهز الرابعة والثمانين، بعد رحلة صمود لا نظير لها في تاريخ العالم الحديث، من أيام المحاكمات الأولى عام 1954م والسجن الحربي والليمان والإقامة الجبرية في المنزل، والاعتقال مرة ثانية عام 1965م، والحكم عليه، والوقوف بصلابة في فتنة التأييد والمعارضة التي أحدثت أيامها شرخًا كبيرا بين الإخوان، وقوله الفصل بأن (الدعوات لا تقوم على الرُّخَص!). والتصدي لعاصفة التكفير التي برزت أعوام 1966 - 1970م، بمحاوراته للشباب وكتابة بحثه المعمق (دعاة لا قضاة) الذي أجهز فكريًا على فرضيات التكفير!... (لقد بدأ مرشدا مختلفًا عليه وانتهى ولا خلاف عليه!).

واجتهد رجال الحرس القديم، كالأستاذ السنانيري ومشهور والحاج حسني عبد الباقي، وقالوا: لابد من رئيس يتحدث باسمهم ويستطيعون من خلاله التعامل مع النظام القائم، ولما طلب أخذ البيعة من الأستاذ عاكف أوائل عام 1974م قال: "لا أبايع مجهولًا، ولا أبايع مرشدًا سريًا"!

ووصل هذا الكلام للأستاذ عمر التلمساني، فقال له: **(أنا قائم بمهمات المرشد، ولم أطلب هذا الأمر، وأنا أحترم مؤسسات الجماعة)**.

وفي هذا الصدد، يروي الأستاذ عمر التلمساني في مذكراته:

(فلما انتقل الأستاذ الهضيبي إلى رحمة الله، والجماعة غير قائمة قانونيًا، جمعوا بين التزام القانون والتمسك بعقيدتهم، فهداهم تفكيرهم وعلمهم بقانونهم الأساسي أن يعتبروا أكبر أعضاء مكتب الإرشاد سنًا مرجعًا لهم في كل أمورهم العامة والخاصة. دون أن يكون هناك تنظيم، وشاء الله أن أكون أكبر أعضاء مكتب الإرشاد، فكنت مرجعهم الأدبي والمعنوي.. بل إن المسؤولين في مصر اعترفوا بهذا الوضع، واعتبروني مسؤولاً عن الإخوان المسلمين)[1].

عندما غُيّب الأستاذ عاكف خلف الأسوار عام 1954م كان مدرسًا في الدرجة السادسة، وبعد خروجه تم إعادته لوزارة التربية والتعليم، ولكن على الدرجة الأولى، وعين مستشارًا بها في مكتب فخيم بالمجمع ولكن بلا عمل، واحتج الأستاذ عاكف، قائلًا: **عاكف ما يكون وزيرًا بلا وزارة!**

فنُقِل موجهًا بإدارة مصر الجديدة، ثم ذهب إلى وزارة التعمير التي أنشئت بعد الحرب، وعين مديرًا عامًا لإدارة الشباب، واستطاع عاكف من خلالها إقامة معسكرات للشباب في فترة الإجازة الصيفية.

(1) عمر التلمساني.. ذكريات لا مذكرات، دار الاعتصام، 1405هـ / 1985م، ص 176.

وعند خروج الأستاذ عاكف من السجن لم يكن قد تزوج بعد، وقد بلغ السادسة والأربعين.. فطلب من الأستاذ التلمساني، الذي كان يعتبره أبًا وأخًا ومعلمًا، أن يبحث له عن عروس، وقد قال له قديمًا في أول أيامه في السجن إن عروسه لا تزال في بطن أمها!. وخطب له أخت الدكتور محمود عزت.

وقد سُئل أستاذنا عاكف عما أعجبه في شريكة حياته، وقد التمعت عيناه من الفرحة، ورد بعفوية: "**كلها على بعضها! ومهما قلت فلن أستطيع أن أوفيها حقها، بدأت معي من الصفر وكنت لا أملك شيئًا، ورافقتني في حياتي بعد خروجي من السجن، فكانت معي بالقاهرة والإسماعيلية، ثم إلى السعودية، وبعدها إلى ألمانيا، حيث كنت مسئولاً عن المركز الإسلامي في ميونيخ، وقد أنجبت منها أربعة أبناء (عاكف، وعلاء، وعلي، وعليا)، وهي في الآخر نعمة من ربي**"[1]!

وهذا الحب الموصول الذي يكنّه الأستاذ عاكف لشريكة حياته يجرّنا للحديث عن المرأة في فكر ووعي أستاذنا، حيث يقول: (**لا يوجد نظام بشري في أي دولة ذات منهج حضاري يضع المرأة في مكانها الطبيعي كشريك في الحياة مثل الإسلام، فهي في ديننا بمثابة الأم والأخت والبنت والاقتران بها تقربًا إلى الله، وهذا مفهوم لم تعرفه البشرية من قبل أبدًا، حتى إن رسولنا الكريم (ﷺ) اعتبر الزواج بمثابة إتمام نصف الدين فليتق الله في الشطر الآخر.**

ولابد من التفرقة بين الإسلام والمسلمين، وما يقال عن سوء معاملة المرأة إنما يرجع إلى التخلف والتراجع الحضاري الذي ساد في المنطقة كلها، وعندما تتقدم أمتنا الإسلامية وتنهض، فإن ذلك سينعكس تلقائيًا على النظرة إلى المرأة)[2].

---

(1) ج (صوت الأمة)، حوار: محمد عبد القدوس، 1/9/2008م.

(2) المصدر السابق.

ويصيح بعض المتحذلقين بأن الإسلاميين سيقومون عند وصولهم إلى الحكم بفرض الحجاب على المرأة باسم الإسلام، ويرد أستاذنا على هذه الفرية، قائلًا: **(لا يجوز فرض أي شيء على أي إنسان، كل إنسان حر بشرط ألا يتجاوز ويعتدي على حرية الآخرين، فإذا كان فرض الحجاب على النساء أمرًا غير مقبول، فإن ارتداء ملابس تخدش الحياء مرفوض هو الآخر أيضًا!)**[1].

وعن (عمل المرأة)، قال: **(إن نظرة الإخوان المسلمين إلى هذا الموضوع غاية في التوازن تقوم على مبادئ ثلاثة:**

- **منزلها ورعاية بيتها يجب أن تحتل المرتبة الأولى، وهذا يتفق مع الفطرة السليمة التي تقول إن المنزل مملكة المرأة.**
- **من حقها أن تعمل في المجالات التي تناسبها، وحريتها في هذا الأمر واسعة.**
- **هناك أولويات؛ فهناك تخصصات نسائية تحتاج إليها الدولة مثل العمل في مدارس البنات، أو كل ما يخدم المرأة في العلاج وتصفيف الشعر وغير ذلك، فلا يصح أن يقوم الرجال بمهام ملقاة على عاتق النساء بالدرجة الأولى، وكذلك الأعمال الخشنة التي لا تصلح لها المرأة بطبيعتها أو ما يتعارض مع أخلاق المجتمع)**[2].

وكان للأستاذ عاكف رؤية عصرية لوضع المرأة داخل جماعة الإخوان، فهي عنده ليست محصورة داخل نطاق الأخوات وأعمالهن، بل لها أدوار أخرى خارج نطاق الأخوات، قد تصل إلى مكتب الإرشاد، ولكن المخاوف الأمنية خلال عصر مبارك وقبضته الباطشة، كانت تغل يده عن تحقيق تلك الأماني، وبعد ثورة 25 يناير تغير الحال بالطبع وانطلق الجميع رجالًا ونساءً.

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

وبالتالي الآمال العظيمة التي حاصرها الطغيان.. وجدت الفرصة سانحة لتحقيقها، وكان من ضمنها (تصعيد المرأة إلى مكتب الإرشاد)..وعن الخطوات العملية لتحقيق هذا المطلب على أرض الواقع، يقول أستاذنا:

لقد بدأت الجماعة بالفعل في إفساح المجال أمام الكوادر النسائية البارزة والنشطة من الإخوان للانضمام إلى المكاتب الإدارية في بعض المحافظات كخطوة تمهيدية أمام دخولها مجلس شورى الجماعة، ومن ثم يصبح الأمر رهن اختيارات أعضاء مجلس الشورى بانتخاب سيدة من بين أعضاء المجلس لتصبح عضوة ممثلة للمرأة بمكتب الإرشاد، وذلك بعد أن زالت جميع مخاوفنا على المرأة، ولم يعد هناك خوف من تعرضهن للاعتقال والتنكيل، وهناك عدة تجارب لعدد من المكاتب الإدارية التي تضم الآن أخوات بين أعضائهن.

وبطبيعة الأشياء، ارتفع سقف المطلب ليتجاوز الخيال، ألا وهو المنافسة على منصب المرشد العام!.. فما كان رد أستاذنا؟!:

أعتقد أن النساء داخل الجماعة لن يقدمن على مثل هذا الأمر، ولن يقبلن ذلك من حيث الأصل، فضلًا على أن منصب المرشد العام يحتاج إلى مجهود مضنٍ لن يناسب المرأة بما لها من شبكة قيود داخل منزلها وخارجها وطاقتها البدنية لن تقوى على ذلك)[1].

وفي عام 1977م، ذهب الأستاذ عاكف للسعودية ليتولي إدارة (الندوة العالمية للشباب الإسلامي)، والتي يذكرها أستاذنا بالخير دائمًا: (كانت صاحبة الفضل بعد الله في تحقيق ما أردت، فقد أقمت مخيمات ومؤتمرات على أعلى مستوى لكل شباب العالم...، لقد طفنا العالم... ومعظم الشباب القادة الموجودين الآن

(1) ج (صوت الأمة)، 9/5/2011م، حوار: محمد مجاهد.

هم من شبابنا الذين تربّوا في المعسكرات: محفوظ نحناح، وأردوغان، وأنور إبراهيم، وغيرهم)[1].

وأشهر هذه المعسكرات التي أقيمت بتركيا بمدينة (شناكلا)، وأثناء دراسة برنامج المعسكر وبرنامج الافتتاح، قدم الوزير التركي برنامج رقص وعري، ولكن عاكف قال له: "**يا سيادة الوزير، أنا أمثّل أكبر هيئة إسلامية، ولا أسمح بمثل هذه الأشياء في المعسكر**"، فقال له الوزير: "**لا تنسَ يا أستاذ عاكف أننا في دولة علمانية!**"

ورد أستاذنا بحسم: **ما جئت للدولة العلمانية، ولكن أتيت للشعب التركي!**

وأمام إصرار عاكف، أذعن الوزير وقبل برنامج عاكف مع إدخال بعض الفلكلور الشعبي التركي الملتزم!

وظل المعسكر طيلة 15 يومًا مع 300 شاب، وعند نهاية المعسكر قال الوزير: لم أرَ مثل هذا البرنامج من الأخلاق والإيمان!

وتنبه الغرب لما تقوم به الندوة العالمية للشباب الإسلامي من جهود للتربية الأخلاقية والتربوية وتجميع شباب العالم الإسلامي تحت هذه البرامج، فأوعزت للدولة المسؤولة السعودية بتنحية الأستاذ عاكف عن رئاسة الندوة بحجة سعودة الندوة!...

وتستمر فصول المؤامرة:

المخابرات الأمريكية تنصح حكومة السادات باتخاذ إجراءات خاصة ضد الإخوان

سري للغاية

من: ريتشارد ب ميتشل

إلى: رئيس هيئة الخدمة السرية بالمخابرات المركزية الأمريكية

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (3)، مجلة (المجتمع)، 28/ 3/ 2004م، ص 41.

بناء على ما أشرتم إليه من تجمع المعلومات لديكم من عملائنا، ومن تقارير المخابرات الإسرائيلية السرية التي تفيد أن القوة الحقيقية التي يمكن أن تقف في وجه اتفاقية السلام المزمع عقدها بين مصر وإسرائيل هي التجمعات الإسلامية، وفي مقدمتها جماعة (الإخوان المسلمون) بصورها المختلفة في الدول العربية وامتداداتها في أوروبا وفي أمريكا الشمالية.

وبناءً على نصح مخابرات إسرائيل من ضرورة توجيه ضربة قوية لهذه الجماعة في مصر قبل توقيع الاتفاق ضمانًا لتوقيعه ثم لاستمراره، وفي ضوء التنفيذ الجزئي لهذه النصيحة من قبل حكومة السيد/ ممدوح سالم باكتفائها بضرب جماعة التكفير والهجرة.

ونظرًا لما لمسناه من أن وسائل القمع والإرهاب التي اتبعت في عهد الرئيس ناصر قد أدت إلى تعاطف جماهير المسلمين وإقبال الشباب عليها؛ مما أدى إلى نتائج عكسية.

فإننا نقترح الوسائل الآتية بديلة:

أولًا: الاكتفاء بالقمع الجزئي دون القمع الشامل والاقتصار فيه على الشخصيات القيادية التي لا تصلح معها الوسائل الأخرى المبينة فيما بعد، ونفضل التخلص من هذه الشخصيات بطرق أخرى تبدو طبيعية، ولا بأس من الإسراع بالتخلص من بعض الشخصيات الإسلامية الموجودة بالمملكة العربية السعودية مثل محمد قطب، علي جريشة، محمد الغزالي؛ نظرًا لأن التخلص من أمثال هؤلاء يحقق المراد من القمع الجزئي، ويعمل على تدهور الثقة بين الإخوان وبين الحكومة السعودية مما يحقق أهدافنا في هذه الفترة.

ثانيًا: بالنسبة للشخصيات القيادية التي لا يتقرر التخلص منها فننصح باتباع ما يلي:

1 - تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الإسلامية الفارغة المضمون وغيرها من الأفعال لاستنزاف جهدهم، وذلك مع الإغداق عليهم أدبيًا وماديًا، وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محليًا وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

2 - العمل على جذب الميول التجارية والاقتصادية إلى المساهمة في المشروعات المصرية الإسرائيلية المشتركة المزمع إقامتها بمصر بعد الصلح.

3 - العمل على إيجاد فرص عمل بعقود مجزية في البلاد العربية البترولية؛ الأمر الذي يؤدي إلى بعدهم عن النشاط الإسلامي.

4 - بالنسبة للعناصر الفعالة في أوروبا وأمريكا نقترح ما يلي:

أ- تفريغ طاقاتهم في بذل الجهود مع غير المسلمين، ثم إفسادها بواسطة مؤسساتنا.

ب- استنفاد جهدهم في طبع وإصدار الكتب الإسلامية مع إحباط نتائجها.

ج- بث بذور الشك والشقاق بين قياداتهم لينشغلوا بها عن النشاط المثمر.

ثالثًا- بالنسبة للشباب نركز على ما يلي:

- محاولة تفريغ طاقاتهم المتقدة في الطقوس التعبدية التي تقوم عليها قيادات كهنوتية متجاوبة مع السياسات المرسومة.

- تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها في أذهانهم.

- تشجيع الهجوم على السنة المحمدية والتشكيك فيها، وفي المصادر الإسلامية الأخرى.

- تفتيت التجمعات والجماعات الإسلامية المختلفة، وبث التنازع داخلها، وفيما بينها.

- **مواجهة موجة إقبال الشباب من الجنسين على الالتزام بالتعاليم الإسلامية، خاصة التزام الفتيات بالزي الإسلامي عن طريق النشاط الإعلامي والثقافي المتجاوب.**

- **استمرار المؤسسات التعليمية في مختلف مراحلها في حصار الجماعات الإسلامية والتضييق عليها والتقليل من نشاطها.**

هذا ما نراه من مقترحات حلًا لمشكلة التجمعات الإسلامية في هذه الفترة الدقيقة، وفي حال قناعتكم بها نرجو توجيه النصح للجهات المعنية للمبادرة بتنفيذها مع استعدادنا هنا للقيام بالدور اللازم في التنفيذ.

توقيع: (ريتشارد ب.ميتشيل)[1].

بالعودة إلى ما سلف (تقرير مكافحة تسييس الدين أو تديين السياسة، ص: 95 - 102)، والربط بينه وبين (تقرير ريتشارد ب ميتشل) يتضح لنا جليًا بأن أحجار قطع الشطرنج (حكام البلاد العربية) ما هم إلا متلقو أوامر ومنفذو تعليمات الدول الكبرى المسيطرة على العالم في قمع الحركات الإسلامية وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمون التي تقف عقبة كئود في تأبيد سيطرة الصهيونية والصليبية العالمية على عالمنا الإسلامي ونهب ثرواته ومقدرات شعوبه.

وفي عام 1984م، كلف الأستاذ عمر التلمساني الأستاذ عاكف بالذهاب إلى ألمانيا لإدارة المركز الإسلامي (بميونيخ)، وذهب هناك لمدة أسبوع لدراسة المكان بمشاكله وما يحيط به من أزمات، وقدم تقريرًا للأستاذ عمر من صفحة ونصف!

(1) نقلاً عن: عباس حسن السيسي، جمال عبد الناصر وحادث المنشية، 1987م، ص: 227 - 229.

وقال له الأستاذ عمر: "ما قلته أنا موافق عليه اذهب وتوكل على الله"!

ومكث هناك قرابة الثلاث سنوات (1984 - 1987م)، واستطاع رأب الصدع بين الجماعات الإسلامية هناك، حيث يقول أستاذنا عاكف: (كانت علاقتنا طيبة مع كل الجماعات الإسلامية التي تتفق معنا في الرؤية، وكنا نحدد ثلاثة بنود للتعامل معها:

1 - أن تكون جماعة عالمية تفهم الإسلام على أنه دين عالمي شامل.

2 - أن تكون الشورى أصلًا من أصول نظامها كفكر وخلق.

3 - ألا يكون العنف وسيلة من وسائلها.

وأي جماعة على مستوى العالم تؤمن بهذه البنود الثلاثة نتعاون معها.. فتعاونا مع حزب الرفاة والجماعة الإسلامية في بنجلاديش وباكستان وغيرها... ولذلك كان العمل الإسلامي مثمرًا ومنتجًا، غير أن الإجرام العالمي والضغط عرقل كثيرًا من الجهود..)[1].

وخلال إقامة عاكف في أوروبا توثقت علاقته بالتنظيم الدولي للإخوان المسلمين، والذي كانت نواته الإخوان الفارين بدينهم من الطغيان الناصري، ولما استقروا في البلاد التي أقاموا بها، قالوا لماذا لا نجمع هؤلاء جميعًا في تنظيم واحد؟ ولماذا لا يكون النشاط الإخوان مدروسًا وصاحب خطة منظمة لتبليغ هذا الدين، وإقامة ركائز في كل بلد، ومنها نتشاور للنهضة العالمية بهذا الدين؟

وللأستاذ (مصطفى محمد الطحان) ذكريات عطرة مع أستاذنا عاكف أثناء عمله معه في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، والمركز الإسلامي بميونيخ. يقول: (أما أول لقاء لي مع الأستاذ عاكف، فقد كان في الندوة العالمية.. فقد كان

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (3)، مجلة (المجتمع)، 28/8/2004م، ص41.

مسئولاً عن مخيمات الندوة التي أقامتها في مختلف أنحاء العالم. وكنت عضوًا في الأمانة العامة، وكان طبيعيًا أن نلتقي ونتحاور ويزداد إعجابي بالرجل.. سمعت منه العبارة التي أثرت في شخصيته وأثرت فيّ كذلك، وهي: (**من أراد الجنّة فلا يرى لنفسه حقًا على أحد.. ولا ينقص من أقدارنا أن يهاجمنا بعض الناس، ويتهموننا بالباطل، ولكن الذي ينقص من أقدارنا هو أن نخطئ نحن..**)، وكانت أكثر هذه المخيمات أثرًا في نفسي لقاء (جنّة قلعة)، في 1980/9م قبيل الانقلاب العسكري الذي قاده "كنعان إيفرين" ضد مجموعة "حزب السلامة الإسلامي" الذي كان يتزعمه الدكتور "أربكان". أصرت الحكومة التركية على ألا يحضر أربكان.. وأصرت إدارة المخيم أن يحضر ويحاضر. وعندما جاء وتحدث حصل زلزال في أرض المخيم من كثرة الهتافات والتحيات.. قلنا يومها: "هكذا تكون القيادة"!

والتقيت الأستاذ عاكف في "ميونيخ" عندما أصبح مديرًا للمركز للمركز الإسلامي هناك.. وقد حول المركز بابتسامته المشرقة وهمته العالية ودأبه الذي لا نظير له إلى خلية نحل تضج بالحركة والعطاء..)[1].

وفي عام (1984م)، دخل الإخوان المسلمون تجربة سياسية جديدة - قديمة وهي الاشتراك في التجربة البرلمانية، ففي المؤتمر السادس للجماعة المنعقد في 1361/12 هجرية - 1942م، أعلن الإمام البنا أن الدعوة وصلت في المحيط الشعبي إلى حد من النجاح ملموس ومشهود، وبقي عليها بعد ذلك أن تصل إلى المحيط الرسمي.

ولكن لا تكفينا تلك اللمحة من الأستاذ البنا.. فلنعرض وجهة نظره كاملة للإجابة على تساؤلات البعض: لماذا يشترك الإخوان المسلمون في الانتخابات؟!

---

(1) مصطفى محمد الطحان، مع الأستاذ محمد مهدي عاكف، مجلة (المجتمع)، ع 1588 - 23 ذو الحجة 1422هـ - 14/ 2/ 2004م، ص25.

(الإخوان المسلمون كما عرف الناس، وكما أعلنوا عن أنفسهم مرارًا، جمعية للخدمة العامة، ودعوة إصلاحية تجديدية تقوم على قواعد الإسلام وتعاليمه.

فأما أنهم جمعية للخدمة العامة، فذلك هو الواضح من ممارستهم في شعبهم لأنواع هذه الخدمة من ثقافة وبِرّ وإحسان ورياضة وإصلاح بين الناس، وإقامة للمنشآت ما بين مساجد ومعاهد ومشافي وملاجئ في حدود طاقتهم ومقدرتهم. وأما أنهم دعوة إصلاحية فذلك أن لب فكرتهم وصميمها أن يعود المجتمع المصري والمجتمعات الإسلامية كلها إلى تعاليم الإسلام وقواعده التي وضعها في كل شؤون الحياة العملية للناس.

وعماد الدعوة لتنجح وتظهر تبليغ واضح دائم يقرع بها أسماع الناس، ويصل بها إلى قلوبهم وألبابها، وتلك مرحلة يظن (الإخوان المسلمين)، أنهم وصلوا بها إلى المحيط الشعبي إلى حد ما من النجاح ملموس، مشهود، وبقي عليهم بعد ذلك أن يصلوا بهذه الدعوة الكريمة إلى المحيط الرسمي، وأقرب طريق إليه منبر البرلمان، فكان لزامًا على الإخوان أن يزجوا بخطبائهم ودعاتهم إلى هذا المنبر لتعلو من فوقه كلمة دعوتهم، وتصل إلى آذان ممثلي الأمة، وفي هذا النطاق الرسمي المحدود، بعد أن انتشرت فوصلت إلى الأمة نفسها في نطاقها الشعبي العام، ولهذا قرر مكتب الإرشاد أن يشترك الإخوان في انتخابات مجلس النواب.

وإذن، فهو موقف طبيعي لا غبار عليه فليس منبر البرلمان وفقًا على أصوات دعاة السياسة الحزبية على اختلاف ألوانها، ولكنه منبر الأمة تسمع من فوقه كل فكرة صالحة ويصدر عنه كل توجيه سليم يعبر عن رغبات الشعب أو يؤدي إلى توجيهه توجيهًا صالحا نافعًا...)[1].

(1) نقلاً عن: محسن راضي، الإخوان المسلمون تحت قبة البرلمان، دار التوزيع والنشر، د.ت، ص20 - 23.

وانطلاقًا من هذه الرؤية المتوافقة مع الواقع، اتجهت نية الأستاذ عمر التلمساني بعد خروجه من معتقل السادات (3/1982م)، إلى الدخول في العمل العام والمشاركة في الحياة السياسية حتى يبعد الجماعة عن شبهة العمل السري، ونجح في إقناع قيادات الحركة وقواعدها التحتية بأهمية خوض الانتخابات.

وتم التنسيق مع حزب الوفد الجديد قبل بضعة أشهر من الانتخابات، وكان (الوفد) يسعى للاستفادة من الانتشار الجماهيري للإخوان، بينما وجدت الجماعة فيه الإطار القانوني لخوض الانتخابات التي جرت لأول مرة وفق نظام القوائم الحزبية.

وعلى الرغم من القيود التي فرضها حزب الوفد على وضع أفراد الإخوان في القوائم، والضغوط التي مارستها السلطة بشكل مباشر أو غير مباشر، فقد نجح (9) من قيادات الجماعة في الوصول إلى مجلس الشعب في انتخابات عام 1984م.

برلماني محنك رغم أنف النظام

إلا أن حصاد الخبرة الانتخابية والبرلمانية كان كبيرًا، مما مهّد لنجاح الحركة في التحالف مع حزبي (العمل - الأحرار)، في انتخابات أبريل 1987م. والتحرر من القيود المفروضة عليها في ترتيب القوائم بعد الصورة الضخمة التي ظهرت بها في انتخابات 1984م.

وشارك الأستاذ عاكف في هذه الانتخابات على رأس قائمة (شرق القاهرة).

ومع اقتراب موعد الانتخابات، سخّر الحزب الحاكم كل الأجهزة الأمنية والحكومية للدعاية لمرشحيه، والضغط على أحزاب المعارضة والتضييق عليها، قال الأستاذ عاكف تعليقًا على هذه الإجراءات: (**إنه امتداد للحياة الديمقراطية الناقصة والقوانين الجائرة، ولعدم احترام حرية الناس وآرائهم وكرامتهم**)[1]، ونوه قائلاً: (**إنه يلمس استجابة الشارع المصري بكل طبقاته لقائمة التحالف**)[2]، وأضاف: (**إن هذا الذي يحدث ليس في صالح الحزب الحاكم، ولا في صالح مصر، وليس من الصالح أن يمنع التيار الإسلامي من عرض بضاعة الإسلام عرضًا سليمًا**)[3]!

وتساءل عاكف: (لماذا يقف ضدي الأمن عندما أقيم مؤتمرًا انتخابيًا وهو أمر مباح في كل أرجاء الدنيا؟! ولكن لن نيأس إن شاء الله، وسنحاول أن نوصل صوتنا، وسنحاول أن نتعاون مع كل من في قلبه ذرة من خير، فنحن صوت هذا الشعب، ولعل الله اطلع على صدق هذا الشعب، فأراد أن يختار له أناسًا يحفظون

(1) ملف الانتخابات المصرية، مجلة (المجتمع)، ع 812، س 17 - 9 شعبان1407هـ، 7/4/ 1987م، ص25 - 26.
(2) نفس المصدر.
(3) نفس المصدر.

له كرامته، ويردون عليه حريته، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (يوسف: 21)[1].

وحول تصوره ليوم إجراء الانتخابات يقول عاكف: إنه أعد خطابًا للسيد رئيس الجمهورية بشأن طلب تعديل قانون الانتخابات الجديد، فالضمان الوحيد الباقي لضمان نزاهة الانتخابات هو (مندوبو الأحزاب)، داخل اللجان الانتخابية، فالقانون الحالي يسمح بوجود (6) من المندوبين فقط عن جميع المرشحين وقوائم الأحزاب، وفي دائرة شرق القاهرة مثلاً يوجد (4) أحزاب، بالإضافة إلى (90) مرشحًا في المقعد الفردي، ومن حق كل مرشح أن يكون له مندوب داخل اللجنة، أي يكون هناك (94) مندوبًا تجري القرعة بينهم لاختيار ستة فقط، مما قد ينتج عنه بقصد أو دون قصد خروج جميع مندوبي الأحزاب من اللجان الانتخابية، وهو الأمل الوحيد الآن لضمان نزاهة الانتخابات)[2]، وفي النهاية يقول عاكف: (**آمل أن يستجيب الرئيس لهذا المطلب العادل، ونحن لا يهمنا أن ننجح أو لا ننجح، فإرادة الشعب هي الحاكمة...، وكل الظروف التي تحيط بنا توحي بأن المستقبل سيء، ولكن لعل هناك بصيصًا من الأمل هو الذي يدفعنا لتغيير هذا الواقع**)[3].

ورغم الضغوط الهائلة من الحزب الحاكم وأذرع الدولة العميقة، نجح الإخوان بالفوز بـ (36) مقعدًا، كان يمكن أن تتضاعف لو أن الحكومة نفذت الأحكام القضائية النهائية التي صدرت لصالح المعارضة بشكل عام، وحصلت الجماعة على أكثر من مليوني صوت من بين حوالي ستة ملايين شاركوا في الانتخابات، مما دفع صحيفة "لوموند" الفرنسية في افتتاحيتها الدولية: (**كرست**

(1) المصدر السابق نفسه.
(2) مجلة (المجتمع)، ع 812، 4/ 1987م، ص26.
(3) المصدر السابق نفسه.

الانتخابات المصرية جماعة الإخوان المسلمين قوى سياسية معارضة أولى في البلاد)[1]، وعللت الصحيفة ذلك: (**إن بروز الإخوان ليس مفاجأة، بل هو يندرج في الواقع السياسي لهذا البلد المتدين!)**[2].. واستطردت الصحيفة الفرنسية في شرح جانب من الظروف الواقعية التي رافقت الانتخابات فقالت: (**على الرغم من التجاوزات التقليدية، فقد تمكنت الرابطة الإسلامية التي يسيطر عليها الإخوان المسلمون من الحصول على 15 % من المقاعد، وبذلك يصبح الإسلاميون أول قوة معارضة على حساب الوفد القديم الذي يتقهر إلى المرتبة الثالثة!)**[3].

وأصاب الدكتور سعد الدين إبراهيم كبد الحقيقة عندما وصف قرار الإخوان المشاركة في الانتخابات بأنه: (**أخطر قرارات الحركة منذ اغتيال مؤسسها حسن البنا!)**[4].

وحرص الإخوان منذ المشاركة في هذه الدورة البرلمانية (87-1990م)، على المشاركة بعضو أو أكثر في كل لجان المجلس حتى يتمكنوا من معرفة كل ما يجري في الكواليس، والمشاركة في الحديث في كل الموضوعات المطروحة، خصوصًا في المجالات الأساسية مثل التعليم والصحة والإعلام وتطبيق الشريعة و.. غيرها.

وطرح نواب الإخوان المسلمين تحت قبة البرلمان الكثير من الاستجوابات التي تهم جموع المواطنين وتمت بأسلوب عفٍّ كريم، تناول الموضوع، وقدم الأدلة من

---

(1) ماذا يعني النجاح الباهر للإسلاميين في مصر؟، مجلة (المجتمع)، ع 813، 16 شعبان 1407هـ، 14/ 4/ 1987م، ص4.

(2) نفس المصدر.

(3) مجلة (المجتمع)، ع 813، 14/8/1987م، ص4.

(4) نفس المصدر.

غير تجريح ولا سب ولا اتهام.. كما تعرضوا في شجاعة لمعظم القضايا الأساسية الحسّاسة التي هي في أمس الحاجة إلى البت فيها بالصورة التي تحفظ كرامة الأمة، وتصون حق الإنسان.. لقد كانت فترة متميزة لا بحكم الأحداث التي وقعت، ولكن بحكم النوعية والدم الجديد والأسلوب النوعي الذي تمت به الممارسة.

فقد واجهت الحكومة معارضة حقيقية تقول كلمة الحق والصواب، بغض النظر عن أي اعتبار آخر.

وفي مضبطة المجلس الخمسين (1987/6م)، وفي استجواب بعنوان: "أمن المواطنين وظهور مراكز قوى جديدة"، قال الأستاذ عاكف: (**... نقطة مهمة جدًا، أيها الزملاء أعلنها من فوق هذا المنبر وهي موضوع الأمن، فهذه نقطة خطيرة، إن رجال الشرطة هم إخوان لنا وأحبابنا، ورسالتها عظيمة ولا نستطيع أن نعيش بسواها بأي حال من الأحوال، ولكن كون هذه الأجهزة تأخذ لنفسها وتدعي لنفسها ما ليس لها، أي تتدخل في شؤون غيرها بحجة حفظ الأمن، فإن هذا أمر خطير جدًا، ومخالف للقانون، وأخطر ما يمكن أننا بعد ذلك نصيح ونقول (مراكز قوى)**).

إن رجال الشرطة لهم رسالة عظيمة، نؤيدها ونقف بجوارها، أما أن يحس رجال الشرطة بأنهم صنف غير الناس، ولهم سلطان غير الناس لم يخوله لهم القانون، ويصبح هذا سمة استعلاء واستكبار على بقية الشعب، ويخرج رجال الشرطة عن المساءلة. هذا أمر يحتاج إلى مراجعة. أنا أذكر هنا وأنبه إلى أن الخطورة، كل الخطورة، أن نترك فئة من فئات الشعب بلا محاسبة، ونحن رأينا من فوق هذا المنبر، كيف يسأل المسؤول عن الأمن في موضوع ما فيرد على موضوع آخر، شيء عجيب، هذا الخطر الذي ننبه إليه أرجو الحكومة مشكورة بمراعاته، فقد تفضل الأستاذ الدكتور (أحمد سلامة) صباح اليوم، وقرأ قانون الطوارئ،

والذي يتضمن البند الأول منه أنه لا يجوز اعتقال أي شخص إلا إذا قدم له سبب اعتقاله، وبعيني رأسي رأيتهم يعتقلون بالجملة على أبواب أحد المساجد من غير ورقة، ومن غير أن يعطوا سبب اعتقال، هذا أمر بسيط، فما بالكم أن يعتدي على عضو من أعضاء مجلس الشعب، ويمنع من السفر بحجة الأمن.. إلخ.

لا.. أيها الأحباب، إن الحرية واحترام عقل الإنسان واحترام كرامة الإنسان هي الحفاظ على الأمن وليس رجال الأمن، والله.. فإنني أشكر راعي الكنيسة.

رئيس المجلس: يمنع من إلقاء محاضرة وليس منعًا من السفر حتى لا يفسرها البعض أنه كان مسافرًا خارج البلاد ومنع، أريد أن أوضح فقط حتى لا يظن أنها واقعة أخرى.

السيد العضو: محمد مهدي عاكف

على أية حال، أنا من هنا أنبه وأحذر أن يظهر في مصر مراكز قوى جديدة، ونحن نعلم كم قاسينا من هذا الأمر، فإنني أشكر راعي الكنيسة حقيقة حينما سئل عن وضع الأمن المركزي المحاط به، فقال: إن هذا نوع من احترام الدولة للكنيسة، نعم إن الدولة تحترم الكنيسة، ولكن هذه غير الحقيقة فشكر الله له جزاؤه... (تصفيق)[1].

ونتيجة لهذا الحراك المثمر داخل المجلس من معارضة التحالف التي يتقدمها نواب الإخوان المسلمين، أصدر مبارك قرارًا بحل المجلس قبل إتمام دورته، منتهزًا فرصة غزو العراق للكويت، ودعا لانتخابات جديدة خلال ثلاثة أشهر!

ومع غياب الضمانات الكاملة التي تضمن نزاهة الانتخابات، قرر الإخوان المسلمين عدم المشاركة في الدورة (1990 - 1995م)، وتبعها في هذا الموقف بقيه أحزاب المعارضة ما عدا حزب التجمع اليساري!

---

(1) إعداد محسن راضي، الإخوان المسلمون تحت قبة البرلمان (مضبطة المجلس الخمسين: 6/1987م)، ص56 - 58.

ولكن الأضرار التي حاقت بمصر من غياب معارضة فعّالة داخل المجلس في الدورة السابقة، من تمديد لقانون الطوارئ وقرارات خصخصة القطاع العام، كانت حافزًا للجماعة في قرار دخول انتخابات 1995م، والتي شارك فيها الأستاذ عاكف عن دائرة (حدائق القبة)، وكانت أسوأ انتخابات في تاريخ مصر، فالتزوير والتجاوزات وتدخلات السلطة كانت سافرة مباشرة بلا قناع!

مما أدى إلى فشل مرشحي المعارضة (الإخوان المسلمون) في الحصول على أي مقعد في الجولة الأولى وسقوط معظم الرموز الفاعلة، بينما شارك (60) معارضًا فقط في الجولة الثانية للتنافس على 306 مقاعد، أي أقل من 20% من المقاعد المتبقية!

وفي النهاية، لم يفز من الإخوان إلا نائب واحد (الأستاذ علي فتح الباب)!

وقد بدأت السلطة قبيل الانتخابات في إعادة ممارسات عبد الناصر السيئة الذكر، فقد أحالت (82) من رموز الإخوان للمحكمة العسكرية بتهمة عقد اجتماع للإعداد لخوض انتخابات مجلس الشعب!

وأقدمت السلطة أيضًا على إغلاق مقرهم بالتوفيقية قبل خمسة أيام من الانتخابات، ولم تسمح بالمؤتمرات الانتخابية أو المسيرات أو أية وسائل دعائية!

أزمــة حــزب الـوسـط

ويبدو أن الساحة السياسية المصرية كانت في انتظار حجر يلقى في مائها الراكد، خصوصًا بعد كارثة التزوير الشامل لانتخابات 1995م، وقد كان!.. فقد أعلن المهندس أبو العلا ماضي عن إتمامه إجراءات تسجيل حزب سياسي جديد تحت اسم (حزب الوسط)، حتى امتلأت الساحة السياسية والإعلامية بالتكهنات والتساؤلات والهواجس، فوكيل المؤسسين معروف بانتمائه إلى الإخوان المسلمين، وعدد كبير من المؤسسين كذلك!

وبدأ البعض يتساءل: هل هذا الحزب هو حزب الإخوان؟ وهل هناك انشقاق داخل الجماعة؟ وهل هذا حزب ديني؟ وأين برنامجه؟ وما أهم ملامح البرنامج؟ وهل يمكن أن توافق الحكومة على منحه ترخيص العمل؟

وبالفعل، بدأت الإجراءات الإدارية من إعداد برنامج الحزب وقائمة المؤسسين واللائحة الداخلية، وأحيط الأمر بالكتمان الشديد، حتى إن الكثيرين فوجئ بمن فيهم بعض قيادات الإخوان بالإعلان عن تقديم أوراق الحزب، حتى إن المستشار الهضيبي رد على سؤال حول الصلة بالحزب، قال: (لا شأن لنا به!)[1]، وقال أيضًا: (**إن خطط إنشاء حزب سياسي للإخوان لا تزال موجودة، لكن الظروف وموقف السلطة المعروف من الإخوان هو الذي يعرقل ذلك!**)[2]، وأشار إلى أن لجنة شؤون الأحزاب تابعة للسلطة، كما أن: (تصريحات كبار المسئولين عن رفض أي كيان للإخوان معروفة!)[3].

---

(1) بدر محمد بدر، قصة أول حزب سياسي يؤسسه شباب (الإخوان المسلمون)، مجلة (المجتمع)، ع 1185، 3 رمضان 1416هـ، 23/1/1996م، ص40.

(2) نفس المصدر.

(3) نفس المصدر.

والفلسفة الرئيسية لحزب الوسط - كما يقول مؤسس الحزب الدكتور أبو العلا ماضي - أنه (**حزب مدني يحمل المشروع الإسلامي الحضاري الذي يبين هوية الأمة بمسلميها وأقباطها.. ويتميز عن بقية الأحزاب بثلاثة أمور:**

- **حزب يقوم على الشباب، فمعظمنا في الثلاثينيات والأربعينيات، وبالتالي بيننا تجانس فكري.**

- **نهدف إلى إدخال قطاع من المثقفين المحبطين وفاقدي الأمل في التغيير إلى العمل السياسي.**

- **برنامج الحزب يتميز بطرح جديد يعتمد على إشراك الأمة في علاج المشكلات، مثل البطالة والتعليم ومحاربة الفساد.. إلخ**)[1].

وقد سئل الأستاذ مشهور المرشد الخامس للجماعة: **هل حزب الوسط يدخل في إطار المساعي التي يقوم بها الإخوان للبحث عن قنوات شرعية للتعبير عن وجودهم وممارستهم لعملهم على الساحة المصرية؟!**

(هذا الحزب.. حزب الوسط يتبنى فكرته والقيام عليه بعض الإخوان، ولم يكن هناك حظر على الإخوان للقيام بمثل هذه الأعمال، ولكنهم قاموا بتجربة، فإذا تمت الموافقة عليه يكون خيرًا؛ لأننا نود أن يكون عملنا علنيًا وخاليًا من السريّة، وفي هذا إقامة الحجة على الحكومة بأنهم هم الذين يرفضون هذا الأسلوب، ولا يوافقون عليه، فنحن بهذا نعذر، وليس للحكومة حجة في منعنا من ممارسة العمل بشكل علني)[2].

---

(1) المهندس أبو العلا ماضي: حزب (الوسط) وعاء قانوني للتيار الإسلامي في مصر، مجلة (المجتمع)، ع1185، 23/ 1/ 1996م، ص 40 - 41.

(2) حوار: أحمد منصور، مصطفى مشهور المرشد العام الخامس للإخوان المسلمون، مجلة (المجتمع)، ع1186، 10 رمضان 1416هـ، 30/ 1/ 1996م، ص24 - 26.

وتوالت الأحداث بشكل سريع، رفض تكوين الحزب من لجنة الأحزاب، وفصل مؤسسه وعدد قليل من الجماعة، وأثار هذا الموقف جدلاً واسعًا داخل صفوف الجماعة، وكانت شهادة أستاذنا عاكف القول الفصل، شهادة للتاريخ، للتاريخ وحده..، وإن جاءت متأخرة بعض الشيء عن توقيتها، فقد أدلى بها بعد اختياره مرشدًا عامًا، ولكن ذلك أفضل، لأن أي شهادة للتاريخ يستحسن أن تكون منزهة عن تعمد التأثير المباشر، بعيدًا عن النزاعات الجامحة والانفعالات الحادة...

قال الأستاذ عاكف: (**بعد محاكمات 1995م العسكرية، رأى الإخوان ضرورة تشكيل حزب حتى لا يكون للحكومة فرصة أن تصمنا بعدم الشرعية.. فكلفني مكتب الإرشاد باتخاذ إجراءات تشكيل حزب.. وهي إجراءات تحتاج إلى تشكيل هيئة تأسيسية وبرنامج للحزب وتوجهاته ومنهجه. وبالفعل، كلفت من قام بهذا العمل على أكمل وجه. وكنت على اطلاع به أولاً بأول.. وفوجئت في يوم من الأيام بعدد ممن يقومون بهذا العمل جاؤوا إليّ في منزلي، وقالوا: نحن قدمنا مشروع الحزب إلى لجنة الأحزاب بمجلس الشورى. فتساءلت: كيف فعلتم ذلك من دون عرضه على مكتب الإرشاد الذي كلفني بذلك؟ هل أرسلتم نسخة للأستاذ مشهور (نائب المرشد)، والأستاذ مأمون الهضيبي نائب المرشد أيضًا في ذلك الوقت؟ فقالوا: لا!.. فطلبت منهم إعطاء كل منهما نسخة. وبمجرد وصول النسخة.. انهالت التساؤلات الصحفية على الأستاذ مشهور حول هذا الموضوع، وانظر إلى الأدب في الرد: قال الأستاذ مشهور: مجموعة من الإخوان أرادت أن تقيم حزبا ونحن لم نحظر عليهم ذلك**)!

وفي اليوم التالي، قلت في مكتب الإرشاد: "**هذا خطأ.. أنا أتحمله**".. وقد أخذ الحزب شهرة ضخمة وجذب الأضواء.. وكان كما يقولون ضربة قاصمة للحكومة.. وقلت لهم: حينما يسأل أحد من **الإخوان**، يقول: نعم.. الحزب قائم،

ولكن هناك بعض الأخطاء الإدارية نحن بسبيل تصحيحها.. وكتبنا ذلك في ورقة، وتم توزيعها على كل إخوان المكاتب، حتى تكون ردودنا واحدة.

كان الأستاذ **أبو النصر** في مرضه الأخير.. ذهبت إليه فاستيقظ من غيبوبته وسلّم عليّ ودعا لي، وكنت مسافرًا إلى جدة. وفي صباح اليوم التالي، توفي الأستاذ **أبو النصر** (رحمه الله)، وحدثت بيعة الأستاذ **مشهور** مرشدًا عامًا...، عدت من **السعودية** فوجدت إن الدنيا هائجة.. وقرّر مجلس **الإرشاد** أنه في حالة رفض **الحزب** من لجنة **الأحزاب** يتم الاكتفاء بذلك، ولا يتم تقديم استشكالات وتنتهي المسألة، فجمعت **إخوان** الحزب كلهم وأبلغتهم القرار.. وإن علينا جميعًا أن نلتزم به، فوافق الجميع بمن فيهم **أبو العلا ماضي**، ما عدا اثنين: **محمد عبد اللطيف وصلاح عبد الكريم**، وقلت لهم: أما في المستقبل، فأنا في المكتب نستطيع أن نعالج الموضوع في هدوء.

بعدها بنصف ساعة، تم القبض عليّ وتم إجراء محكمة عسكرية بسبب حزب الوسط!

وكان معنا **أبو العلا ماضي** وغيره، وكانت فضيحة للسلطة أنهم حولوا القضية إلى اسم آخر غير حزب **الوسط**، دخلنا السجن وحكمت علينا المحكمة، وبرأت **أبو العلا ماضي** ومن معه.

فبعت لي الأستاذ **مشهور** طلبًا أن أرسل إلى "**أبو العلا**" لكي أراجعه فيما يقول، فأرسلت إليه خطابًا من السجن لو فهم ما فيه لانتهت المشكلة والتزم. وقلت له فيه: "**اذهب وسلّم نفسك للحاج مصطفى.. والحزب ليس أول ولا آخر الإخوان، وأي إنسان يعتبر رأيه صوابًا يحتمل الخطأ، ووضحت له المسألة**".. المهم، فوجئت بأن (**أبو العلا ماضي**) في لندن يدلي بتصريح لمجلة **القدس** لم أكن أتصوره، منتهى الحدة على **الإخوان**، حتى إن المحاور قال له: "**أنت كنت**

في الإخوان منذ أيام، فكيف تقول ذلك؟! ولكنه استمر في أسلوبه فأرسلت إليه بكلمتين فقط، فقلت له: "آسف يا أبو العلا.. لقد سقطت في الامتحان"!

ومرت الأيام وخرجنا من السجن ولم يأتنا كبقية الناس..، وتوفيت حماتي (والدة الدكتور **محمود عزت**)، فلم يأتِ للجنازة ولا العزاء.. ثم أتاني هو و**محمد عبد اللطيف** مساءً بالبيت.. وقلت له: يا **أبو العلا**.. أنت خرجت من **الإخوان** وهذا حقك، واخدم الإسلام بالطريقة التي تريدها.. أما كونك تتهجم على **الإخوان** وعلى قيادات **الإخوان** فهذا لا يخدم **الإسلام**، بل عليك أن تتعاون مع الهيئات الإسلامية العاملة على الساحة، **والإخوان** هم الجماعة الأم.. فإن لم تتعاون معهم.. مع من تتعاون؟!

فقال الأخ **محمد عبد اللطيف**: يا أخ عاكف.. أنا قلت له هذا الكلام!

ولما قابلني بعض كبار **الإخوان** في مكة وكانوا (**غضبانين**)، من طريقة تعامل **الإخوان** مع **حزب الوسط**، شرحت لهم الموضوع، وقلت لهم: هل يصح أن نتشبث بالشورى واحترامها.. ثم نغضب إذا أخذنا بها؟! لقد اجتمع مكتب **الإرشاد** بأعضائه الخمسة عشر واتخذ قرارًا.. أنا عن نفسي **محمد عاكف** لست موافقًا عليه.. هل من حقي أن أخالفه؟! أجيبوني.. فلم يتكلم أحد!، نحن أصحاب دين ورسالة، ولابد أن نلتزم برسالتنا ومنهجنا)[1]، هذه هي القصة كلها.. شهادة للتاريخ، وللتاريخ وحده!!

وحول الشورى واحترام المؤسسات، والخلافات التي قد تطفو على السطح بين الأفراد في جماعة **الإخوان**.. **كيف يرى الأستاذ عاكف التعامل في مثل هذه الأحوال؟**

---

(1) حوار: عزام التميمي (مراجعات)، قناة الحوار.

(.. حياتنا كلها قائمة على **الشورى**.. الخلاف وارد.. ويدرس داخل **المؤسسة**.. وعندما تخرج **المؤسسة** برأي يلتزم به الجميع بمن فيهم **المرشد العام**، ربما هم - من يتقوّلون على **الإخوان** - يعرفون التنازع والتخاصم والتشاحن من أجل مصالح دنيوية، أما نحن فلا.. نحن نتنازع في كيفية التقرب إلى **الله**. كيف نجعل جماعتنا ودعوتنا في المقدمة، كل منّا يريد أن يرفع من شأن الجماعة، فيحدث الخلاف حول أفضل الطرق لتحقيق الهدف المطلوب، ولذلك فإن أي خلاف ينتهي إلى اتفاق، نحن لا نمنع أحدًا أن يختلف ويبدي رأيه بكل حرية.. أهم شيء أن يلتزم الجميع في النهاية بما يتم الاتفاق عليه. وأن تكون نيتنا نصرة دين **الله تعالى**).

وكان رد النظام، محاكمة 1995م، وإصدار أحكام بالسجن على (54) من قيادات **الإخوان** من (82) جرت محاكمتهم على مدى شهرين. وكان قرار الاتهام قد قسّم المحاكمين في قضيتين:

الأولى: تضم (49) شخصًا وجهت إليهم تهم إدارة جماعة **الإخوان** بشكل يخالف القانون، ويعطل الدستور والقوانين!

أما الثانية: فقد ضمّت (33)، وكانت التهمة طباعة منشورات لتأليب الرأي العام ضد الحكومة!

وتساءل كثيرون: هل ستكون هذه القضايا النهاية في تصعيد السلطة ضد الإخوان، أم أن عجلة التصعيد ستواصل دورانها مرات ومرات!

وبالفعل، أحال **رئيس الجمهورية** يوم 1996/5/11م أوراق القضية رقم 332 لسنة 1996م المتهم فيها (13) من قيادات الجماعة للمحكمة العسكرية، وعلى رأسهم (**محمد مهدي عاكف**) عضو مكتب الإرشاد، إثر اتهامهم بتنظيم وإدارة جماعة **الإخوان المسلمين**.

وفي أول جلسات المحكمة يوم 1996/6/15م، سأل رئيس المحكمة المتهمين عما إذا قد وكلوا محامين للدفاع عنهم، فقال الأستاذ **عاكف** المتهم الأول: (الذي يمنعني من أن أوكل محاميًا هو قسمي على احترام **الدستور** والقانون، ومن وجهة نظري فإن **الدستور والقانون** يمنعان من محاكمتي أمام **القضاء العسكري**.. ونحن موجودون معكم ومستعدون للتحدث معكم في قضيتنا، وأعتذر عن انتداب أو توكيل أي محامي للدفاع عني!)[1].

وفي يوم 1996/8/15م، أصدرت المحكمة العسكرية في القضية المعروفة برقم (5) لسنة 1996م عسكرية الحكم بالسجن لمدة ثلاث سنوات في حق كل من **محمد مهدي عاكف** و**حسن جودة** عضوي مكتب **الإرشاد** وآخرين بالسجن لمدة سنة واحدة، وبالبراءة لـ"**أبو العلا ماضي**" مؤسس حزب الوسط والدكتور **عصام حشيش**.

(وبعد النطق بالحكم، توجهت السيدة وفاء عزت (زوجة مهدي عاكف)، وبعض أخوات الأستاذ عاكف إلى القفص الذي يقف فيه. نظر إليهن بابتسامة دافئة، وأوصاهن بالصبر والثبات والوفاء لله والثقة بنصره الذي وعد به عباده المؤمنين، وجاء السجّان ليضع القيد في يد الأستاذ عاكف، وتقول له زوجته في ثبات ويقين: "نستودعكم الله"، وتلتف إلى من حولها لتصف المحكمة بأنها (مهزلة سيفضحها التاريخ). وتقول عن الحكم الذي صدر ضده: (**إنه حكم تافه، ولن يؤثر في زوجها الذي سبق الحكم عليه بالإعدام في عهد عبد الناصر، بسبب فكره، وخفف إلى المؤبد، حيث قضى عشرين سنة داخل السجون فلم يهن ولم يضعف وخرج ليواصل جهاده في سبيل الله**)، وتساءلت السيدة وفاء عزت: (**أين الذين حاكموا عاكف في الماضي؟ وأين الذين سجنوه؟ إننا مطمئنون لنصر الله**).

---

(1) بدر محمد بدر، المحكمة العسكرية تواصل اليوم (الثلاثاء) نظر قضية (الإخوان المسلمون)، مجلة (المجتمع)، ع1205 - 9 صفر1417هـ، 25/ 6/ 1996م، ص37.

وتفند السيدة (وفاء عزت) – زوجة أستاذنا عاكف – الاتهامات المرسلة، والأدلة المتهافتة (والتي تخلو من أي دليل مادي!)، وعلى أساسها حوكم عاكف وإخوانه وسيقضوا على إثرها سنوات من أعمارهم وراء الأسوار، تقول: (**إن القضية خلت من أي دليل مادي يدان به الإخوان، فكل ما جاء في أوراق القضية أو في شهادة ضباط مباحث أمن الدولة كانت أقوالًا مرسلة لا دليل عليها، حيث إن ضابط أمن الدولة حينما سئل أثناء إدلائه بشهادته عن أي دليل مادي كان ينفي وجود أي دليل مادي، وبالتالي صارت مباحث أمن الدولة هي الخصم والشاهد والحكم، وحيث إن كل ما حوته الأوراق غير مجرم على الإطلاق، ولو كان مجرمًا لقدمت الحكومة القضية إلى القضاء المدني ليقول فيها كلمته، وإنما قدمت للقضاء العسكري ليحكم وفق ما تمليه عليه الحكومة، حيث إنهم ضباط يخضعون لمن فوقهم.**

إن القضية في البداية وجّه فيها الاتهام بخصوص إنشاء حزب (الوسط)، وجعله ستارًا للإخوان، وهذا يوضح أن التهمة في أول الأمر كانت إنشاء حزب وهو عمل قانوني ودستوري، وحينما اتضح هذا للحكومة حوّلت الاتهام إلى إدارة جماعة على خلاف القانون والدستور، وهذا يوضح مدى التناقض، فالأفراد قبض عليهم بموجب تهمة قانونية ودسستورية وحوكموا بموجب تهمة أخرى".

لقد حوكم **الإخوان المسلمون**، وقدموا للمحاكم العسكرية منذ العهد الملكي، وطوال الحكم العسكري الأسود، فهل أوقفت مسيرة الجماعة، وأعيق نموها وتطورها الطبيعي، فالدعوة ماضية في طريقها، فلو أحالوا الجبال إلى زنازين فلن يستطيعوا أن يطفئوا نور **الله**، وتؤكد السيدة **وفاء عزت** على هذه المعاني، قائلة: (**إن القضية قضية فكر ورسالة تحملها جماعة الإخوان التي عجزت الحكومة على مدى أكثر من 15 عامًا أن تقدم دليلًا على وجود قرار بحل الجماعة، حيث إن قضية عودة الجماعة معروضة على القضاء الإداري،**

وأجلت لأكثر من 50 مرة، فالحكومة لم تقدم قرارًا بالحل ولا تستطيع أن تثبت هذا!...).

(ما حدث لن يفتّ في عضدنا، وسنظل نعمل كأفراد وأسر لصالح هذه الدعوة، وسيخرج من الجيل الحالي والأجيال التالية له من يعوضه غياب الإخوان المحبوسين ظلمًا وعدوانًا.. وستشرق شمس هذه الأمة، وسيبزغ نورها رغمًا عن ظلم الظالمين وكيد الكائدين والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الروم: 4 - 5)[1].

لا يملك الإنسان أمام هذا الحوار إلا أن يقف متعجبًا ومتأملًا، هذه السيدة الصابرة المحتسبة التي حكم على زوجها بالسجن لثلاث سنوات بتهمة الانتماء للإخوان المسلمين، وحكم أيضًا على شقيقها (د.محمود عزت) بالسجن لمدة خمس سنوات بالتهمة ذاتها!

لم تفقد صمودها ورباطة جأشها أو يهتز يقينها، ولو للحظة واحدة في نصر الله عاجلًا أم آجلًا.. بل انطلقت كأي محام بارع يعرض دفوع القضية، وتفنّد التهم الباطلة التي ألصقت بزوجها وإخوانه، وتبيّن مدى تهافتها وعوارها وعدم استنادها على أدلة مادية، وفي النهاية كما قالت: (لا يمكن لمثل هذه الأحكام أن تؤثر على حركة الإخوان المسلمين).. حقًا إنها زوجة محمد مهدي عاكف!!

وليصبح عدد المحكوم عليهم بالسجن 3 - 5 (62) شخصًا من قيادات الجماعة في أقل من تسعة أشهر!

---

(1) حوار: هناء محمد، زوجة محمد عاكف - عضو مكتب الإرشاد للمجتمع: الحكم لن يؤثر علينا وسنظل نعمل لخدمة الإسلام، مجلة (المجتمع)، ع 1216 - 26 ربيع الآخر 1417هـ - 10/9/1996م، ص 61.

ويخرج الأستاذ عاكف بعد ثلاث سنوات، ويواصل العمل في دعوة الله، ولأستاذنا ذكريات مليئة بالمواقف والأحداث الهامة التي عاشها، وشارك فيها مع الركب الطاهر، التلمساني وأبو النصر ومشهور والمأمون الهضيبي.

فالأستاذ عمر التلمساني: (قمة في العلم والفقه والخلق المتين والرجولة النادرة والحياء الشديد.. كان نعم الرجل في كل شيء، كانت الجماعة عنده فوق كل شيء، ما رأيت منه سوى الفهم النادر.. ونحن لا نزال سائرين على سياسته حتى اليوم)[1].

أما الأستاذ حامد أبو النصر: (هذا الرجل مثال الالتزام الكامل والانضباط والرجولة.. أخ من الدرجة الأولى.. كان جنديًا نادرًا وقائدًا موسوعة.. وهنت صحته في أيامه الأخيرة، ولكنه كان بإخوانه أقوى الناس)[2].

والأستاذ مصطفى مشهور: (رجل معروف لا يحتاج إلى أحد يقدمه. معروف بجهاده الطويل وفهمه العميق وإخلاصه النادر، وتفرده في استيعاب الإخوان وتربيتهم، ونموذج فريد مع كل ما لاقاه.. سواء في فترة سجنه أو في فترة قيادته التي كانت من أصعب الفترات على الجماعة، حيث شهدت المحاكمات العسكرية والاعتقالات وقد لاقى من السوء والعنت الكثير.. مشهور.. هذا الصابر المجاهد.. كان قمة في الإخوة والحب والإخلاص والتفاني والالتزام الكامل بالنص)[3].

أما المستشار الهضيبي: (.. كان يحمل العبء كله على رأسه.. موسوعة فقهية وعلمية وإدارية.. تحمل كل شيء، كان جبلاً.. جزاه الله خيرًا وجعله من الصالحين)[4].

---

(1) محمد مهدي عاكف يفتح أوراقه (2)، مجلة (المجتمع)، 21/8/2004م، ص43.
(2) نفس المصدر.
(3) نفس المصدر.
(4) نفس المصدر.

الفصل الثاني

من الجندية إلى القيادة

بعد أقل من شهرين من توليه مرشدًا للجماعة، بدأ عاكف في تنفيذ برنامجه على أرض الواقع.... ولم يكتف بإلقاء البيانات، بل دشّن مرحلة جديدة من التحرك الجماهيري الواسع للمطالبة بالتغيير والإصلاح.

من الجنـدية إلى القيـادة

رحل المرشد السادس لجماعة الإخوان المسلمين، فضيلة المستشار (المأمون الهضيبي) صباح 2004/1/9م، بعد حياة حافلة بالجهاد والعطاء والدعوة إلى الله، والصبر على طريق الإيمان والثبات على المواقف.

وتولى أكبر أعضاء مكتب الإرشاد الأستاذ محمد هلال مسؤولية القيادة، وفي تصريح صحفي له قال: (**الشورى ركن أصيل في دعوة الإخوان المسلمين، وإن آلية اختيار القيادات داخل الجماعة تتم وفقًا لمبدأ الشورى، وإن من يقول عكس ذلك لا علم له باللوائح الداخلية للجماعة، فاللائحة الداخلية التي صيغت منذ الإمام البنا وبما أدخل عليها من تعديلات تحدد أنه إذا لم يكن للمرشد العام نائب أو نواب، فإن أكبر الأعضاء سنًا يتولى المسئولية، ثم تبدأ الإجراءات المنصوص عليها في لوائح الإخوان، والتي تبدأ بترشيح الأسماء أو الاسم الذي سينتخب لمنصب المرشد.. ويقوم بنفس الإجراءات كل من مجلس الشورى العام ومكتب الإرشاد العالمي لاختيار المرشد العام**)[1]، وأضاف فضيلته: (أنه أصبح من الثوابت أن يكون المرشد العام من مصر؛ لأنها البلد التي أسس بها الإمام البنا جماعة الإخوان في عام 1928م)[2].

وبدأت الأذرع الإعلامية تخمن عن وجهة المرشد الجديد: **أهو من الحرس القديم أم من الإصلاحيين؟.. من الصقور أم من الحمائم؟!.. من الجيل القديم أم من جيل الوسط؟.. من أنصار العمل السري أم من يؤمنون بالعمل العام؟ ممن ينشدون الحوار مع النظام أم من الذين يسعون للصدام؟!**

---

(1) المحامي محمد هلال، القائم بأعمال المرشد العام، الشورى أساس اختيار مرشد الإخوان، مجلة (المجتمع)، ع 1585، 25 ذو القعدة 1424هـ - 2004/1/17م، ص36 - 37.

(2) نفس المصدر.

وكما حدث في المرات السابقة بعد رحيل أحد المرشدين، يتجدد الحديث عن المعركة الصعبة والطويلة التي سيخوضها أطراف الصراع داخل قيادة **الإخوان** ومن الذي سيحسم الصراع في النهاية؟.. ويكشف أستاذنا **عاكف** عما حدث في المرات السابقة بعد رحيل أحد المرشدين الكرام، للتاريخ وللمرجفين في المدينة، وكيفية اختيار **المرشد** وما يدور في الكواليس.. يقول **أستاذنا**:

(لا يوجد اختلاف في عملية اختيار المرشد من حالة لأخرى، إذ يحرص الإخوان على الالتزام بتطبيق اللائحة المنظمة في هذا الشأن، فقد تم ترشيح الأستاذ حامد أبو النصر من قِبَل إخوان مصر، ولم تكن هناك آنذاك ترشيحات من أقطار أخرى، ولما عرض اسمه على مجلس الشورى العام وافق عليه.. وفي حالة الأستاذ مصطفى مشهور كان اسمه مطروحًا بشدة من قديم، من قبل الأستاذ أبو النصر، وبعد وفاة الأخير (ونظرًا للظروف التي كانت تمر بها الجماعة) طرح الأستاذ المأمون الهضيبي اسم الأستاذ مصطفى مشهور الذي كان نائبًا أول لأبي النصر، والذي لم يكن يختلف عليه أحد، فلاقى موافقة الحاضرين، ثم عرض اسم الأستاذ مصطفى مشهور على مجلس الشورى العام فوافق عليه بالإجماع.

أما الأستاذ المأمون الهضيبي الذي كان نائبًا للمرشد، فقد رشّحه أعضاء مكتب الإرشاد بالإجماع، وعرض الترشيح على مجلس الشورى وتمت الموافقة عليه، وإذا كانت هناك فروق في المدد التي اقتضتها الإجراءات بين وفاة المرشد السابق واختيار المرشد اللاحق، فهي فروق بسيطة لا تتعدى بضعة أيام، وهذا يتوقف بطبيعة الحال على توافر النصاب في أي مجلس من المجالس المرتبطة بإجراءات الاختيار، وقبل ذلك وبعده توفيق الله تعالى)[1].

(1) حوار: أحمد عز الدين، محمد مهدي عاكف المرشد الخامس للإخوان المسلمين: الإصلاح السياسي المدخل الحقيقي لمواجهة التحديات الكبرى، مجلة (المجتمع)، ع 1586 - 2 ذو الحجة 1424هـ، 24/1/2004م.

ويتحدث الأستاذ **محمد هلال** عن ملابسات اختيار الأستاذ **عاكف** مرشدًا عامًا للجماعة: (.. كان في نفس اليوم (**وفاة الهضيبي**) موعد انعقاد مكتب الإرشاد العالمي ومجلس الشورى العالمي، وكانوا قد انتهوا من اجتماعهم في لندن، وبعد إعلان الخبر تم استدعاء الحضور مرة أخرى للاجتماع ليتفقوا على إعلان اسم **المرشد الجديد** الذي سيختاره جميع **الإخوان** من كل الأقطار.. وفي أثناء انعقاد مكتب الإرشاد بالقاهرة، وقف الأستاذ **عاكف**، وقال:

يا أخ (**محمد هلال**): "**أنا بأقول كل من تخطى السبعين من عمره ينسحب وتُجرى الانتخابات على الباقين من الإخوان**"!.. فرددت عليه وقلت له: **يا أخ عاكف هذا ليس بحقنا، ولا نستطيع أن نخالف اللائحة، ثم وُزعت على الإخوان الأوراق لإبداء الرأي، وقلت لهم: الجميع مطروحون للاختيار ما عدا الذي يُجري الانتخابات وهو أنا**، وتمت القرعة، وكان ينبغي أن يعاد الأمر مرة أخرى؛ لأنه لم يحصل أحد على أكثر من 50%، وأعدنا مرة ثانية فحصل الأستاذ **عاكف** على أكثر من 50% يليه الدكتور **حبيب**، ثم أشار علي أن أُخْطِر لندن، وجاءت مكالمات بأن الأقطار تؤكد موافقتها على ممثل مصر، رغم أن اللائحة العامة **للإخوان** ليس فيها ما يفيد أن يتم اختيار **المرشد العام** من **مصر** بل من أي قطر). وتمت الانتخابات داخل مكتب **الإرشاد** نظرًا لعدم إمكان عقد مجلس الشورى الذي عقد آخر اجتماعاته في 1995/11م وأعقبها محاكمات عسكرية طالت عدد كبير من أعضائه!

وحصل الأستاذ **عاكف** على الأغلبية من الأصوات؛ مما أدى إلى طرح اسمه على **إخوان** الخارج الذين رحّبوا بانتخابه، ولم يكن مرشحون غيره)[1]، وبذلك تم إعلان انتخاب المرشد العام في أقل من أسبوع وفق إجراءات لائحية منضبطة وفي حالة أمنية بالغة التوتر!

---

(1) ج (نهضة مصر)، حوار: السيد شكري - رضوى محمد، ملابسات اختيار عاكف لتولي الإرشاد، 2012/2/28م.

ودائمًا (جندية) الأستاذ عاكف تبرز في تلك المواقف الصعبة، فعند تعيينه رسميًا مرشدًا عامًا للجماعة، تسابق نحوه الإعلاميون ليتحدثوا إليه، فإذا به يلتفت نحو الأستاذ محمد هلال، ويقول له: (**عن إذنك عشان عاوزين حديث معي**)!.. فرددت عليه: "**يا أخي.. دا.. أنا لسه مسلمك الأمانة**"!

فضحك الجميع، وكان مزاحًا ظريفًا بطريقة أستاذنا العفوية وبنفسه الطيبة السمحة)[1].

فالمرشد الجديد لا ينطلق من فراغ، ولا يبدأ من نقطة الصفر، بل هو يكمل مسيرة من سبقوه من المرشدين، ويعتمد على جهود كل الإخوان.. وهذا ما أشار إليه الدكتور (عصام العريان)، بوضوح، قائلًا:

(فالإمام البنا (رحمه الله) أسس الجماعة، ووضع لها القواعد المنهجية والفكرية، ورسم لها اللوائح التي تسير عليها والتي تطورت بعد ذلك حتى الآن.

أما الهضيبي الأب: فقد استطاع المرور بالجماعة وسط المحن، وحافظ على تماسكها ونقائها الفكري بعيدًا عن التكفير والغلو، أو العنف المدمر، ولم تسقط في براثن الاستبداد الناصري، بل دفعت الجماعة الثمن غاليًا لتحافظ على استقلالها وتماسكها ونقائها الفكري ووضوح منهجها.

وقام الأستاذ التلمساني (رحمه الله) بدور ضخم وكبير في دحض الشبهات التي ألصقتها آلة الإعلام الناصرية بالإخوان، ولملم جراح الإخوان الخارجين من غياهب السجون ورص الصفوف، وانتقل الإخوان إلى مرحلة جديدة اكتسبت بها أهلية وشرعية جديدة في المجتمع المصري بعد أن اجتذب إليها آلاف الشباب الذين رضوا أن يكونوا جنودًا في جماعة كبرى بدلاً من أن يصبحوا قادة لجماعات هامشية جديدة.

---

(1) ج (الأخبار)، 18/5/2011م.

وساعد الأستاذ أبو النصر على ترسيخ أقدام الإخوان في المجتمع الأهلي، وشارك الإخوان في عهده في النقابات والبرلمانات.

ثم جاء الأستاذ مشهور ليتحمل القيادة في مرحلة جديدة من التضييق والمطاردات، فكانت نصائحه التربوية خير معين لاجتياز هذه المرحلة بأقل الخسائر.

وساعد المستشار الهضيبي على التجديد الفكري منذ بروزه زعيمًا للكتلة البرلمانية وناطقًا رسميًا ثم نائبًا للمرشد، ولم تستمر ولايته إلا سنة ونيفًا)[1].

(1) د.عصام العريان/ مرشد جديد.. هل هي مرحلة جديدة؟، مجلة (المجتمع) ع 1586 - 24/ 1/ 2004م، ص40 - 41.

بـــداية إصلاحيـــة

بعد أقل من شهرين من توليه مرشدًا للجماعة، بدأ عاكف في تنفيذ برنامجه على أرض الواقع، ففي مؤتمر صحفي عقد في نقابة الصحفيين يوم 3/3/2004م أعلن مبادرة الإخوان للإصلاح في مصر.

وقد جاءت المبادرة متضمنة مقدمة تبين دوافع إعلانها في ذلك الوقت، كما أوضحت مبادئ ومواقف عامة للإخوان حول ما هو مطروح على الساحة من مبادرات وكيفية تفعيل تلك المبادرة المقدمة من الإخوان المسلمين.

(وارتكزت المبادرة على أربع ركائز مهمة، هي:

- رفض كل صور الهيمنة الغربية الأجنبية، وإدانة كافة أشكال التدخل الخارجي.

- التأكيد على دور الشعوب، وضرورة أن تبادر لإنجاز الإصلاح الشامل.

- الإصلاح السياسي هو نقطة الانطلاق ومفتاحه إطلاق الحريات العامة.

- المصالحة الوطنية العامة والتكاتف العربي والتعاون الإسلامي هو أساس العمل)[1].

وتؤكد المبادرة: **(إن واجب الوقت يقتضي من كل القوى السياسية والنخب الفكرية والثقافية وكافة المهتمين بالشأن العام أن يلتقوا حول إطار عريض ينطلق من المقومات الأساسية للمجتمع، وأن يتعاونوا في المتفق عليه - وهو كثير - وأن يتحاوروا حول المختلف عليه - وهو قليل - من أجل الصالح العام لهذه الأمة)**[2]،

(1) د.عصام العريان، مبادرة الإخوان للإصلاح.. قراءة للواقع والتحديات، مجلة (المجتمع)، ع1592 - 22 محرم 1425هـ - 13/3/2004م، ص20 - 22.

(2) نفس المصدر.

وتذكر المبادرة الجميع بأن: (**الثالوث المدمر لهذه الأمة من جمود سياسي وفساد وظلم اجتماعي، وتخلف علمي وتقني يهدد مصر الآن في أمنها الوطني ومكانتها القومية وريادتها الإسلامية ودورها العالمي**)[1].

وعقب عمرو موسى على المبادرة التي وضعت الجميع أمام مسؤولياتهم بقوله: (**إن السماء تمطر مبادرات إلا أن مبادرة الإخوان كانت أولها ولعلها لا تكون الأخيرة من المبادرات الشعبية**)[2].

فالمبادرة الأمريكية للشرق الأوسط الكبير ما هي إلا تكرار سخيف لمشروع بيريز حول شرق أوسط جديد!

والمبادرات الأوربية عرجاء بسبب الطغيان الأمريكي!

ومبادرة النظام المصري مترددة خجولة تتقدم خطوة وتتراجع خطوات، وتربط ما بين الإصلاح الأمريكي المزعوم بالتقدم على مسار السلام الوهمي في فلسطين!

لذا جاءت مبادرة الإخوان في وقتها تمامًا لتفتح جسور الحوار مع الجميع، الحاكم والمحكوم سواء بسواء!... والعجيب، بل الغريب، أن النظام وأذرعه الأمنية الإعلامية تركوا مناقشة المبادرة، وانصب جام غضبهم على نقابة الصحفيين لاستضافتها المؤتمر!

ورد عليهم في قناة (الجزيرة) الأستاذ (صلاح عبد المقصود) - وكيل نقابة الصحفيين - قائلًا: "هل يعتبر الوزير أن انعقاد المؤتمر المفاجئ تقصير من وزارته ورجاله، وأن عدم قدرة الأمن على منع المؤتمر لاعتبارات عديدة ليس في صالحه شخصيًا.. لماذا؟ لأن المطلوب الآن في ظل الظروف الحرجة التي تمر بها المنطقة هو ممارسة الضغوط الأمنية بقفازات حريرية

(1) نفس المصدر.

(2) د.عصام العريان، مجلة (المجتمع) ع1592 - 13/3/2004م، ص20 - 22.

وعبر إرهاب فكري قد يصل إلى التهديد المباشر دون تنفيذ التهديدات في الواقع، بحيث يرتدع الإخوان ولا يتجاوزون – طواعية – الخطوط الحمر التي يريد الأمن الإبقاء عليها، كما هي دون مراعاة أن الظروف تغيرت والأوضاع اختلفت؟!)[1].

ويبدو أن العقبة الكئود أمام دوران عجلة الإصلاح هي قناعات النظام المصري: (بأن أية انتخابات حرة في مصر أو العالم العربي سيفوز فيها الإخوان ومن ثم صعوبة القيام بإصلاحات حقيقية وانتخابات حرة وإطلاق حرية تشكيل الأحزاب!).

وكثيرًا ما كان مبارك في خطبه وأحاديثه الصحافية في الخارج والداخل، عندما يضيق عليه الخناق ويطالب بتحقيق الديمقراطية التي طالما وعد بها، فيقول: (**إذا لم تدرس خطة الإصلاح الأمريكية جيدًا وبعناية، فقد ننزلق إلى دائرة من العنف والفوضى لن تؤثر علينا وحدنا.. وحينها سيُقضى على أي بارقة أمل لإقرار الديمقراطية في العالم العربي**)[2]!

وبعدها يلقى بالقفاز في وجوههم: (**الإخوان سيأتون إلى الحكم في أي انتخابات حرة ليس في مصر وحدها، بل في العديد من الدول العربية!**)[3].

ولكن على نحو مفاجئ، تقدم الرئيس مبارك يوم 2005/2/26م، لغرفتي البرلمان بطلب إجراء تعديل دستوري بشأن طريقة اختيار رئيس الجمهورية، عن طريق الاقتراع السري المباشر من جميع أفراد الشعب الذين لهم حق الانتخاب، مع تحقيق الضمانات التي تكفل تقدم أكثر من مرشح إلى الشعب ليفاضل بينهم ويختار بإرادته الحرة، وتشكيل لجنة عليا مستقلة ومحايدة للإشراف على العملية الانتخابية.

---

(1) ماذا بعد المبادرة.. ودور الإخوان قيادة وأفرادًا؟/ نفس المصدر، ص24.

(2) محمد جمال عرفة، سباق المبادرات على العالم العربي.

(3) نفس المصدر.

غير أن خطاب الرئيس تضمن بندين آخرين ضمن ما أسماه بالمبادئ الأساسية التي يراها كفيلة بتحقيق الغرض من التعديل، وهما:

- أن يحصل من يرغب في الترشيح على تأييد من ممثلي الشعب المنتخبين في المؤسسات الدستورية وفي المجالس الشعبية المحلية.
- إتاحة الفرصة للأحزاب السياسية لأن ترشح أحد قيادتها وفقًا للضوابط التي ترونها.

واعتبر الكثيرون من أطياف المعارضة أن الصياغة الأخيرة للتعديل هي نوع من تفريغ الموضوع من مضمونه، ووضع شروط تعجيزية لا تسمح إلا للمرشح الذي تريده السلطة الحاكمة أصلاً أن يترشح، وبالتالي ستكون المنافسة بين المرشحين الذين ترضى أو تقبل بهم الحكومة أصلًا.. وهكذا فليس أمام الجميع إلا سيناريو محدود للانتخابات بين مرشح الحكومة ومرشحين للأحزاب الكرتونية الموجودة، وهي - كما هو معروف - بلا شعبية حقيقية، أي أن المسألة محسومة، وهكذا يتم إجهاض الإصلاح وتفريغه من مضمونه!

لذا قرر الإخوان الإمساك باللحظة التاريخية لإحداث تغيير حقيقي لصالح مصر، وقد كان!

عقد المرشد العام الأستاذ عاكف مؤتمرًا صحفيًا عالميًا يوم 23/3/2005م، لطرح رؤية الإخوان المسلمين في الإصلاح السياسي والدستوري، وقال في المؤتمر:

(.. واليوم تمر مصر بظروف تتعرض فيها لضغوط خارجية تستهدف توظيف مقدراتها السياسية والاقتصادية لخدمة المشروع الصهيوني، وتحقيق المصالح الأمريكية، دون أي تقدير لمشاعر الشعب المصري وطموحاته الحقيقية في الحرية والديمقراطية..، ولذلك فإن الإخوان المسلمين يؤكدون مطالبهم

المستمرة بالإصلاح السياسي الشامل، ويرون أن الحد الأدنى من الإجراءات التي يجب اتخاذها في هذه المرحلة الدقيقة من حياة الأمة يتمثل فيما يأتي:

- إيقاف العمل بقانون الطوارئ إيقافًا نهائيًا وفوريًا وتهيئة المناخ الحر السليم للممارسة الديمقراطية الحقيقية.

- إلغاء المحاكم والقوانين الاستثنائية المقيدة للحريات، وعلى الأخص قوانين الأحزاب والمدعي الاشتراكي، ومباشرة الحقوق السياسية، وغيرها من القوانين التي أدت إلى حالة الجمود والانسداد السياسي الذي تعانيه الحياة السياسية المصرية.

- تهيئة المناخ السليم والمناسب لإجراء انتخابات حرة تعبر تعبيرًا حقيقيًا عن الإرادة الشعبية في اختيار قياداتها وممثليها في مجلسي الشعب والشورى والمجالس المحلية.

- تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني، وإزالة المعوقات أمام إنشائها، وعدم التدخل في شؤونها من قبل الأجهزة الأمنية.

- لن يكتمل الهدف من تعديل المادة 76 من الدستور إلا بتعديل مواد أخرى تتعلق بالصلاحيات غير المحدودة التي يتيحها الدستور لرئيس الجمهورية.

ويؤكد الإخوان أنهم بهذه المطالب لا يبتغون غير وجه الله، وإصلاح الوطن، ولا يهدفون إلى أية مكاسب سياسية أو مغانم عاجلة...، وفي النهاية ندعو الحكومة ورموزها إلى الكف عن الأسلوب اللا منطقي واللامعقول الذي تتعامل به مع قضية الإصلاح الدستوري والسياسي، وأن ترتفع إلى مستوى طموحات الشعب وأمانيه)[1].

(1) عاكف: رؤية الإخوان للإصلاح السياسي في مصر، مجلة (المجتمع)، ع1645 - 16 صفر 1426هـ - 26/3/2005م، ص16 - 17.

ولم يكتف فضيلة **المرشد** بإلقاء البيانات، بل دشّن مرحلة جديدة من التحرك الجماهيري الواسع للمطالبة بالتغيير والإصلاح. ولنترك وصف ما حدث للصحف التي تابعت المشهد الجديد:

(.. وقد حوّلت قوات الأمن المصرية القاهرة إلى مدينة مغلقة منذ فجر الأحد، ومنعت المرور والتجول داخلها، كما ضربت كردونًا حول مداخلها من بقية المحافظات. وفي الليلة السابقة للمظاهرة اعتقلت قوات الأمن ستين فردًا من كوادر الجماعة من داخل بيوتهم في عدد من المحافظات.. كان مقررًا حسبما أعلن الإخوان أن تكون المظاهرة صامتة، وأن يكون مكانها عند البرلمان، لكن قوات الأمن أحكمت الإغلاق في المنطقة المحيطة بالبرلمان.. لكن بضعة آلاف تمكنوا من الوصول للبرلمان.. بينما توجه عدة آلاف إلى ثلاثة ميادين أخرى في قلب القاهرة..)[1].

وقال المرشد العام **الأستاذ عاكف** لوسائل الإعلام: (إن هناك حملة اعتقالات بالعشرات في كل المحافظات منذ مساء السبت، وأنها تواصلت بعد ذلك. مؤكدًا أن قوات الأمن أخطرت الجماعة بمنع تنظيم المظاهرة، لكننا صممنا على تنظيمها لأننا أعلناها.. هذا شيء مؤسف!)[2].

وتحولت المظاهرة الصامتة إلى انتفاضة متفجرة، أشعل فتيلها في تسع مدن مصرية في وقت واحد، وفي مقدمتها العاصمة المصرية، وقدم الإخوان أول شهيد في انتفاضة الإصلاح هو طارق الغنام، ثم تواصلت المظاهرات والمسيرات يوم الجمعة التالية، ثم يوم الأحد في محافظة المنوفية، بينما عقدت عدة مؤتمرات متفرقة في القاهرة وعدة مدن أخرى.

---

(1) ملف الإصلاح والتغيير، مجلة (المجتمع)، ع1646 - 23 صفر 1426هـ، 2/ 4/ 2005م، ص 16 - 17.

(2) نفس المصدر.

وفي مؤتمر صحفي عالمي، قال عاكف: (**إن الناس فوجئوا برد فعل النظام بأجنحته السياسية والتنفيذية والأمنية ضد حركة الناس، حيث حدثت التجاوزات والاعتداءات على الجمهور وفي المساجد وأمام أبوابها وبعد الصلوات وقبلها، فأشعلت أجهزة الأمن فتنًا كانت نائمة بالضرب بالعصي والرصاص المطاطي، وإلقاء القنابل المسيلة للدموع في بعض محافظات القطر، حتى أوذي الناس وكسرت عظامهم، وزاد عدد الجرحى وسقط المئات مغشيًا عليهم من تأثير الغازات، وكانت المأساة الكبرى حين استشهد الأخ طارق غنام.. بعد أن قتلوه بضربه على رأسه.. وفي النهاية طالب عاكف بتقديم قتلة الإخوان إلى القضاء لمحاكمتهم على الجرائم الإنسانية التي ارتكبوها**)[1].

الأمر الذي يؤشر على أن انتفاضة الإصلاح متواصلة حتى سبتمبر القادم موعد انتخابات الرئاسة، ولكن ستتفاوت حركة هذه المظاهرات والفعاليات بين الهدوء والقوة والكمون ثم العودة بكثافة.. ورغم اعتقال قوات الأمن لأكثر من ألف شخص في مظاهرات الأربعاء والجمعة (4-6/5/2005م)، إلا أن ذلك لم يزد الإخوان إلا تظاهرًا وبطرق مباغتة للسلطات. تأكيدًا لما صرحت به قيادات الجماعة أكثر من مرة بأن الإخوان لن يستأذنوا أحدًا في التظاهر!

وبالفعل، قام الإخوان المسلمون بعرض غير مسبوق للقوة تظاهروا في (18) محافظة، ووفقًا لبيان الجماعة فإن نحو (70) ألفًا من الجماعة شاركوا في التظاهرات التي سعت الجماعة إلى أن تفاجئ السلطات بها تفاديًا للقبض على من رتبوا لها قبل أن تتم، وكما نقلت "مجلة المجتمع" أحد المشاهد قائلة: (**حركة الانتفاضة المنتشرة على امتداد القطر صارت محيرة ومرهقة لقوات الأمن التي أصيبت بالتعب من كثرة الملاحقات، كما أن عدسات الفضائيات لم تعد قادرة هي**

(1) انتفاضة الإصلاح في مصر، مجلة (المجتمع)، ع1651-14/5/2005م، ص20.

الأخرى على ملاحقتها، ويبدو أن الإخوان المسلمين عازمون على المواصلة دون ملل أو وجل من كثرة المعتقلات والمطاردات، بل والإصابات..)[1].

بل وتساقط الشهداء أيضًا.. فقد قتلت الشرطة بدم بارد الشهيد **أكرم زهيري**، وتحدث فضيلة المرشد في عزائه، قائلًا: **(اطمئنوا؛ إن الدين الذي نعتز به هو رسالتنا في هذه الحياة، وقائدنا إلى الجنة في الآخرة إن شاء الله؛ فلنحرص على الالتزام بمنهج الله تعالى وهذه الدعوة؛ حتى نلقى الله إما منتصرتين أو شهداء إن شاء الله...)**[2].

وأضاف المرشد: (أنا مشفق على الرئيس من أخطاء بعض رجاله.. وأنا وهو على أبواب الآخرة سنذهب إلى الله ونحتكم إليه.. ماذا تقول لرب العالمين عن هذا التخلف الذي وصلت إليه مصر في كل شيء من أول الصفر الرياضي إلى الصفر الاقتصادي.. في كل شيء تخلف.. وسيسأل عنه الرئيس لأنه هو الراعي.. كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[3]!

وقال عاكف: (إننا أحرص الناس على أمن مصر واستقرارها، وإننا لا ندخر وسعًا أو جهدًا في سبيل رفعة شأنها..، ومع ذلك فها أنتم ترون النتيجة، بعثوا لنا رسالة.. قبضوا على ستين فردًا، ثم برروا ذلك، قائلين: **(محمد عاكف تعدى الخطوط الحمراء)**[4]!!

وفي حوار صحفي للأستاذ **عاكف** أجاب عن أسئلة المشهد الملتهب بكل تداعياته على الحالة السياسية المصرية:

---

(1) انتفاضة الإصلاح في مصر، مجلة (المجتمع)، ع1652، 21/5/2005م، ص22 - 23.

(2) عاكف: "أنا موجود.. ومن أراد تبليغ رسالة فليبلغها لي"، مجلة (المجتمع)، ع1603 - 10 ربيع الآخر1425هـ - 29/ 5/ 2004م، ص20 - 21.

(3) مجلة (المجتمع)، 29/5/2004م، ص20 - 21.

(4) نفس المصدر.

- لن نتوقف حتى تسترد الأمة حريتها كاملة بالوسائل المشروعة.

- الإخوان ليسوا دعاة ثورة، بل دعاة حق وسلام.

س: قام الإخوان المسلمون بمظاهرات واسعة في محافظات عدة، ما الفائدة من كل هذه المظاهرات التي تجرّ إلى الاعتقالات ما دامت النتيجة معروفة، وهي مجيء الرئيس مبارك مرة أخرى للحكم؟

- هذه المظاهرات ليست من أجل عدم ترشح الرئيس مبارك أو وجوده، ونحن لا يهمنا إطلاقًا من يكون رئيسًا للجمهورية، ولكن يهمنا بالدرجة الأولى حال الشعب، وإطلاق الحريات التي تحمي العمل الجاد والفضيلة. المظاهرات قامت لتطالب بحقوق هذا الشعب، في أن يحيا حياة كريمة. بعيدًا عن قانون الطوارئ والأحزاب والقوانين المقيدة للحريات...)[1].

س: ما الإجراءات التي سوف تقوم بها الجماعة بعد هذه الاعتقالات الكثيرة والتضييقات الأمنية الأخيرة؟

- نحن لا نهدأ بأي حال من الأحوال حتى نرفع الظلم عن هذه الأمة وعن الإخوان المسلمين بكل الطرق والوسائل وهي طرق كثيرة ومتنوعة..)[2].

س: أنتم حريصون على احترام النظام، وألا يكون عليه ضغط، ومع ذلك يتعاملون معكم بقسوة وعنف، لماذا أنتم حريصون على ذلك؟

- لأن هذه أخلاقنا ونحن نستمدها من كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ).. فنحن لا نغير من أخلاقنا لفساد أخلاق الناس، فنحن نظل على أخلاقنا، وندعو الناس أن يتجاوبوا معنا، وموقف الإخوان وتعاملهم المتميز مع كل الناس سواء أساؤوا إليهم أو لم يسيئوا إليهم، موقف متميز ومشكور..)[3].

---

(1) حوار: د.جمال نصار/ المجتمع تحاور المرشد العام حول أحداث الساعة، مجلة (المجتمع)، ع1652، 12 ربيع الآخر 1426هـ - 21/ 5/ 2005م، ص 18 - 21.

(2) نفس المصدر.

(3) نفس المصدر.

الإخـوان وانتخـابات الرئاسـة (2005م)

كان موقف الإخوان من الرئيس كرمز لمصر واضحًا، بغض النظر عن الذي يشغل هذا المنصب فأنه يمثل رمزا للوطن ولا يجوز وفقًا لذلك التعامل معه إلا من منطلق الاحترام والتقدير مع الاحتفاظ بحق المعارضة والاعتراض على السياسات والتصرفات.

ولكن الإخوان في بيان الإصلاح الدستوري والسياسي وما تلوه من بيانات صرحوا أنهم مع الاختيارات الآتية المحققة لمصلحة الأمة:

- تحديد مدتين فقط لرئيس الجمهورية بعدها يغادر المنصب.
- تقليص صلاحيات رئيس الجمهورية لصالح البرلمان والحكومة والوصول لجمهورية برلمانية.
- انتخاب رئيس الجمهورية من بين أكثر من مرشح وفقًا لضوابط محددة ينظمها الدستور.

لذا كانت تصريحات الرئيس مبارك عن الإخوان لمراسل مجلة (دير شبيجل) تشوبها العصبية، فعندما قال له: الإخوان يقدمون أنفسهم البديل الديمقراطي عن النظام الحالي!.. فرد مبارك بغضب: (**أن الإخوان لهم تاريخ إرهابي وهم آخر من تحتاجه مصر!!**).

مع أنه قبل عشرة سنوات، صرح لجريدة (لوم وند): (**إن لدينا في مصر تيارًا إسلاميًا ديمقراطيًا لا يلجأ للعنف ويمارس الحياة السياسية**)!

ولكن تجربة الجزائر الدموية وتأثيراتها على الإقليم المجاور ماثلة أمام عينيه على الدوام، وهكذا دخلت العلاقة بين الإخوان ومبارك إلى دهاليز الشك

والتربص، ففي بيان من الأستاذ عاكف عن موقفه من انتخابات الرئاسة، قال: (**حين نستكمل استطلاع رأي هذه المؤسسات سنعلن رأينا!**)، واستبعد أن يكون موقف الإخوان تأخر، معللًا ذلك بأن جميع المرشحين لم يعلنوا حتى هذه اللحظة عن برامجهم، وحين يعلنوها سيكون لنا رأي!)[1].

وعن رؤية الإخوان للمناخ الذي ستتم فيه انتخابات الرئاسة، قال: (**إن المناخ لم تتحدد ملامحه بعد إلا أنه إذا جاء على ما كان عليه في الماضي فسيكون عديم القيمة، أما إذا اتسق مع إدعاءات النظام الجديدة بأن الانتخابات ستكون حرة وشفافة فهذا أمر لم نشهده بعد حتى نصدر رأينا فيه**)[2]!

وعندما سئل عن تعليقه على إعلان كل من الأساتذة (محمد فريد خميس – نوال السعداوي – سعد الدين إبراهيم)، ترشحهم للانتخابات الرئاسية؟!

أجاب: (**هذا الكلام عبث لا فائدة منه؛ لأن الدستور صريح ومباشر في أنه لا يحق لأي إنسان أن يترشح لمنصب الرئيس إلا إذا وافق على ترشيحه ثلث أعضاء البرلمان** (454) **عضوًا... وهذه النسب والأعداد لا تتوفر إلا في المرشح الذي يختاره الحزب الحاكم صاحب الأغلبية.. وهذا يعني بوضوح أن البرلمان لن يقبل ترشيح أي إنسان للمنصب غير مرشح الحزب، والحزب رشح الرئيس مبارك!**)[3].

وفي بيان للإخوان شددوا على: (**أن الذين يريدون الحكم، ويسعون إليه عليهم أن يدركوا عظم هذه المسؤولية، وأن الله سيحاسبهم على ما يفعلون، ولن يفلت أحد من هذا الحساب، فهي أمانة ويوم القيامة خزي وندامة**)[4].

---

(1) عاكف: لم نحدد بعد موقفنا من الرئاسة المصرية، مجلة (المجتمع)، ع1665، 15 رجب 1426هـ، 20/8/2005م، ص10.

(2) المصدر السابق، ص10.

(3) المصدر السابق، ص 10.

(4) بيان الإخوان: لا نؤيد ظالمًا ولا نتعاون مع فاسد، مجلة (المجتمع)، ع1666، 22 رجب 1426هـ، 27/8/2005م، ص10.

إلا أن القول الفصل لعاكف جاء في الأول من سبتمبر 2005م، صريحًا بدون مواربة: (أن **الإخوان لن يعطوا أصواتهم للرئيس مبارك في الانتخابات الرئاسية القادمة التي تجري في 9/7 الجاري**)[1]!

(إن الرئيس ظل في السلطة نحو 24 عامًا ولم يقدم شيئًا رغم امتلاكه الصلاحيات والسلطة التي بموجبها يستطيع أن يحقق الإصلاح الذي يبتغيه جموع الشعب)، وراهن عاكف على دور الشعب المصري في التغيير، وقال: إن الأحزاب والنخب السياسية غير قادرة على التغيير والشعب الوحيد الذي يمتلك هذه القدرة حينما يستيقظ)[2].

ولنترك لمجلة (**المجتمع**)، نقل الصورة من مطبخ تغطية انتخابات الرئاسة: **(قبل أن تعلن نتائج أول انتخابات رئاسية في مصر منذ عام 1952م، فوجئ المراسلون الصحفيون في المركز الصحفي المخصص لتغطية الانتخابات بمراسل أجنبي يسأل بحسن نية: هل مهدي عاكف مرشد جماعة الإخوان المسلمين في مصر هو أحد مرشحي انتخابات الرئاسة؟!**

وسر سؤال الصحفي الأجنبي رغم أنه يعرف الإجابة هو، كما قال: أن عاكف هو الأكثر دعاية ووجودًا في وسائل الإعلام، وفي تحليلات الصحف المصرية التي تتحدث عن (لمن يصوت الإخوان في الانتخابات؟)!

بعد أن أجمع المحللون على أن قرار **الإخوان** المشاركة في التصويت في الانتخابات أقلق منظمي **حملة مبارك**، ودفع بباقي مرشحي **الرئاسة** لخطب ود **الإخوان** التي أظهرت انتخابات الرئاسة أن حوالي مليون منهم شاركوا في التصويت..)[3].

---

(1) عاكف: الإخوان لن يعطوا أصواتهم لمبارك/ مجلة (المجتمع) ع1668 - 6 شعبان 1426هـ - 10/9/2005م، ص23.

(2) المصدر السابق، ص23.

(3) محمد جمال عرفة: 77% من الناخبين قاطعوا الانتخابات..، مجلة (المجتمع)، ع 1669 - 13 شعبان 1426هـ، 17/9/2005م، ص22 - 23.

وكما هو متوقع، فاز **الرئيس مبارك** بـ 88.57% من الأصوات، وهي نسبة أقل من النسبة التي كان يحصل عليها في الاستفتاءات السابقة، وآخرها 97% في استفتاء 1999م!!

ولم يجد **الأستاذ عاكف** بعد فوز مبارك، إلا أن يقدم له النصح بتنفيذ ما وعد: (**لقد صرح الرئيس مبارك في حملته الانتخابية بدعم الديمقراطية وإطلاق الحريات.. وجاء الوقت لكي ينفذ برنامجه**)[1]!

(1) نفس المصدر.

اكتساح الانتخابات البرلمانية (2005م)

سعت القوى السياسية كافة لخطب ود الجماعة طلبًا للدعم والتأييد لما لها من ثقل كبير في الشارع المصري، بداية من الانتخابات الرئاسية إلى انتخابات النقابات المهنية.

ونجاح الإخوان في التحول إلى رقم صعب لا يمكن تجاوزه في المعادلة السياسية المصرية انعكس على مشروع (الجبهة الموحدة)، التي أملت قوى المعارضة المختلفة لتشكيلها في وجه الحزب الحاكم، استعدادًا للانتخابات المقبلة.

لذا أعلن الإخوان وبقوة أنهم ربما يرشحون قرابة (150) منافسًا في البرلمان القادم (لوحدهم!)، أي بما يقارب العدد الذي تفكر الأحزاب مجتمعة في ترشيحه!

وهذا فضلاً عن نية الجماعة دخولها مضمار الانتخابات بشعاراتها التقليدية، ليس فقط شعار (الإسلام هو الحل)، وإنما بشعار الجماعة التاريخي (سيفان ومصحف)، والذي بدا سافرًا في مظاهرات الإصلاح السياسي الأخيرة!

ورغم ارتفاع وتيرة التعامل بين الإخوان والحكومة في فترة ما قبل الانتخابات، والأجواء ملبدة بغيوم أمنية، وضغوط خارجية على النظام تستتبعها إجراءات طائشة، أصرت الجماعة على دخول مجلس الشعب، مع معرفتهم بالكلفة الباهظة لهذا القرار من مطاردين ومعتقلين وغيرهما!

هذا التساؤل جُوبِهَ به أستاذنا، فأجاب بصراحته المعهودة، قائلًا:

(دخولنا مجلس الشعب إنما هو احترام لمبدأ عام، نحن ندخل كل الانتخابات احترامًا لمبدأ الشورى، ومبدأ تداول السلطة، ومبدأ التغيير السلمي، فإن لم ندخل الانتخابات لنغير حال البلد عن طريق الدستور، وعن طريق مجلس

الشعب فلا فائدة إلا إذا قمنا بثورة، والإخوان ليسوا دعاة ثورة وإنما دعاة حق وسلام، وهذا هو الطريق الحضاري المناسب في هذا العصر، فنحن نخوض الانتخابات، ونعلم أنه يصيبنا منها الكثير، وستعمل الحكومة على محاربتنا محاربة لا أخلاقية، ففي انتخابات 2000م، كان هناك أكثر من (5000) معتقل والدبابات في الشوارع لمنع الناس من دخول اللجان، ونجح من الإخوان (17) في الجولتين الأولى والثانية، وحينما حاصرت الدبابات مراكز الاقتراع بعلم العالم كله، والعالم كله لا يتحرك، حيل بيننا وبين النجاح، فالدكتاتورية شيء مؤسف ومقزز، ولا يرعى مصلحة ولا دينًا ولا خلقًا، وها هي الديكتاتورية التي أوصلتنا إلى هذا الانحطاط وهذا التخلف)[1].

وفي تقرير نشرته (الأهرام)، جاء ترتيب الجماعة في مقدمة القوى السياسية المعارضة وبعد الحزب الحاكم مباشرة، من حيث حجم العضوية وكم الأنصار والقدرة على طرح مرشحين يستطيعون المنافسة الجدية في الانتخابات البرلمانية.

وأعرب فضيلة المرشد عاكف عن ترحيبه بفكرة العمل الموحد بين كافة القوى السياسية، مشيرًا أن من استراتيجية الإخوان العمل مع باقي القوى السياسية حتى المخالفة لها تمامًا في التوجه.

وأشار الدكتور حبيب النائب الأول لفضيلة المرشد إلى: أن الإخوان يعتبرون التواصل مع القوى السياسية والوطنية أصلاً من أصول دعوتهم، وإحدى الاستراتجيات الثابتة لديهم.

وقبل يومين من الانتخابات، تحدث الجميع عن تزايد التجاوزات ضد مرشحيها والتضييق عليهم، وكانت أكثر الشكاوى في هذا الصدد من مرشحي الإخوان في جميع المحافظات بلا استثناء.

(1) مجلة (المجتمع) ع1652 - 21/5/2005م، ص19.

وأصدرت الجماعة بيانًا، قالت فيه: (**في الوقت الذي نسمع فيه ليل نهار إلى تصريحات الحكومة ورجالها عن نزاهة الانتخابات المقبلة.. وبعد أن شعر البعض منا بصدق هذه التصريحات، خصوصًا في الأيام الأولى من مراحل العملية الانتخابية إلا أن حكومتنا لم تقدر على التخلي عن أدواتها القديمة في التعامل مع الانتخابات خصوصًا بعد دخولها وقت الذروة!**)[1].

وجرت الانتخابات البرلمانية على ثلاث مراحل، ويتنافس فيها (5400) مرشح على (444) مقعدًا، بواقع (11) مرشحًا لكل مقعد تقريبًا.

وفي المرحلة الأولى التي جرت يوم 2005/11/9م، خاض الإخوان المنافسة في محافظات (القاهرة والجيزة والمنوفية وبني سويف والمنيا وأسيوط) بـ (52) مرشحًا.

وقال عاكف في تصريحات صحفية له عقب إدلائه بصوته: (**إننا تعاملنا مع هذا الحزب بأسلوب حضاري وإحساس بالمسئولية تجاه الوطن، فلم نقدم سوى نحو (125) مرشحًا؛ حتى لا ندخل في صدام مع هذا النظام، إلا إنهم أبوا إلا أن يتم تزوير إرادة الأمة**)، وأضاف كذلك: أن الحزب الوطني لا يزال على فساده، وليس لدينا أمل فيه؛ حيث إن لدينا العديد من التقارير التي تشير إلى استخدامه العديد من الأساليب الرديئة لتزوير إرادة الناخبين..، فقد قام بحشد الألوف من الأصوات، وقيدهم في كشوف الناخبين وقدم لهم رشاوى انتخابية وصلت في بعض المناطق إلى مبلغ 500 جنيه للصوت الواحد!!)[2].

ورغم كل تلك الأساليب الرديئة، نجح الإخوان في الحصول على (34) مقعدًا.

وبعد إعلان نتائج المرحلة الأولى، وجه فضيلة المرشد عاكف الرسالة التالية إلى جماعة الإخوان: (**أيها الإخوان المسلمين: إنني لأسجد شكرًا لله تعالى**

---

(1) محمد جمال عرفة: انطلاق الانتخابات البرلمانية المصرية، مجلة (المجتمع) ع 1676، 10 شوال 1426هـ، 12/11/2005م، ص 26 - 27.

(2) نفس المصدر.

على ما حبانا به من توفيق عظيم، وجمع لقلوب الناس حولنا، والتفاف حول دعوتنا، وإيمانهم بمبادئنا، الأمر الذي تجلى في أوضح صوره في نتائج الجولة الأولى من المرحلة الانتخابية لمجلس الشعب، فحمد لله على فضله ونعمائه ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: 63).

ثم إنني لأشكر الشعب المصري الأصيل الذي أثبت أصالته ووعيه، ومنحنا ثقته الغالية، ووقف وراءنا يشد أزرنا ويقوى ظهرنا، وأثبت للعالم كله أنه اختار منهجنا، وارتضى سبيلنا، وآمن بصدقنا، وأنه يتطلع لاستعادة حريته وحقوقه وسيادته.. ومن أجل ذلك اختار مرشحينا رغم علمه بموقف السلطة منا.

أيها الإخوان المسلمون:

أنتم تعلمون علم اليقين أن الإخلاص هو قلب العمل ومعياره، وأن صلاح العمل وانضباطه بضوابط الشرعي هو شرط قبوله عند الله بغض النظر عن نتيجته وثمرته، فما على المسلم إلا أن يسعى، والنتيجة على الله، ومن يفعل ذلك فقد وقع أجره على الله ونحن نعمل لوجه الله، ومن هنا كان شعارنا (الله غايتنا)، وكان الركن الثاني من أركان بيعتنا هو الإخلاص، ولقد بذلتم قصارى جهدكم، ولذلك ينبغي أن تثقوا في فضل الله، وأن أجركم - بإذن الله - عنده محفوظ... فنحن أصحاب دعوة وحملة رسالة، ولسنا طلاب دنيا ولا مناصب لتحقيق مصالح شخصية)[1].

وإزاء تلك النتائج المفاجئة، نكث الحزب الحاكم عن وعوده بالنزاهة، وخلع رداء الديمقراطية، وعاد إلى سيرته القديمة، بل وأشرس!

(1) رسالة من المرشد العام إلى الإخوان المسلمون/ مجلة (المجتمع) ع 1677 - 17 شوال 1426هـ - 19/11/2005م، ص 25.

(**لم يصبر الحزب الوطني على مواصلة انتخابات نصف نزيهة وأبى إلا تحويلها إلى بلطجة وعنف وتزوير بالجملة، وتلك خصلته مع كل انتخابات، فقد ظن الناس خلال المرحلة الأولى من الانتخابات أن مصر داخلة إلى مرحلة ديمقراطية.. لكن الحكومة حولتها إلى ما يشبه المعركة الحربية، خاصة مع تأكدها أن نتائج هذه المرحلة ستكون أكثر سوءًا للحزب الوطني مقابل نتائج أكثر تقدمًا للإخوان المسلمين والمعارضة**)[1]. هكذا كانت افتتاحية دفتر أحوال الجولة الثانية من الانتخابات، والمشهد الانتخابي بلا طلاء!

فرضت قوات الأمن طوقًا حول اللجان، وطردت الناخبين، معلنة انتهاء العملية الانتخابية قبل موعد إغلاق الصناديق بست ساعات تقريبًا!

مما فتح الباب على مصراعيه أمام التصويت الجماعي عبر مؤيدي الحزب الوطني الذين توافدوا على اللجان في حافلات حكومية من دوائر أخرى ليمارسوا التصويت الحرام أكثر من مرة!

حتى عدسات الفضائيات ومندوبي منظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان لم تسلم من أذى قطعان بلطجية الحزب الوطني!

غير مهازل الحملات الموجهة من الأذرع الأمنية الإعلامية للصحف والقنوات العامة والخاصة، والتي دأبت على النيل من الإخوان، وتشويه تاريخهم، والتقليل من شأن برامجهم، وتسفيه قياداتهم التاريخية والحالية، وتحذير الناخبين منهم، في أقوال متهافتة تفتقد للمنطق والعقل، لكنها حسب المراقبين لم تؤتِ ثمرتها المطلوبة، وجلبت التعاطف للجماعة من الناخبين العاديين!

---

(1) محمد جمال عرفة/ انتخابات مصر..الحزب الوطنى خاضها بالبلطجة.. وفاز الإخوان/ مجلة (المجتمع) ع 1678 - 24 شوال 1426 هـ - 26/ 11/ 2005م، ص16.

ولكن ذلك كله لم يعق الجماعة على المضي في طريقها.. وخاضت الجولة الثانية بـ(60) مرشحًا في جميع محافظات (الإسكندرية - البحيرة - الإسماعيلية - بورسعيد - السويس - القليوبية - الغربية - الفيوم - قنا)، وقد تمكنوا من الفوز (42) مقعدًا، ولم يوفقوا في (15)، وتم تأجيل الانتخابات لثلاثة مرشحين من الإخوان.

وتعمدت الحكومة إسقاط مرشحين بعينهم من الجماعة في دوائرهم، مثل د.مكارم الديري، حازم أبو إسماعيل في المرحلة الأولى، ود. جمال حشمت في المرحلة الثانية لحساب د. مصطفى الفقي سكرتير مبارك للمعلومات، فقد أعلن أن حشمت تقدم بأكثر من (30) ألف صوت مقابل (6) آلاف صوت للفقي، وخرجت صحف الحكومة شامتة (سقوط الفقي!)، ومع ذلك أعلن رئيس لجنة الفرز فوز الفقي بفارق (13) ألف صوت على حشمت!

وخرج المتحدث باسم الخارجية الأمريكية عن صمته الجميل، إزاء مظاهر التزوير الفج، وصرح قائلًا: لقد لاحظنا في الفترة الأخيرة ارتفاعًا في إعمال العنف، وهو ما يسبب لنا قلقًا!.. وإن واشنطن تحدثت مع القيادة المصرية بشأن هذا الأمر، وطلبت منها توفير مناخ يمكن أن تجري فيه الانتخابات بطريقة تمكن الناس من التعبير عن أنفسهم بحرية...)[1]!

وفي الجولة الثالثة، خاض الإخوان الانتخابات في محافظات (الدقهلية - الشرقية - كفر الشيخ - دمياط - سوهاج - شمال سيناء) بـ (49) مرشحًا، بينما لم يطرحوا مرشحين في محافظات (أسوان - البحر الأحمر - جنوب سيناء).. وتمكن الإخوان بالفوز (12) مقعدًا. وكانت تلك الجولة أعنف من سابقتها فقد استشهد (9) من الأبرياء، وأصيب المئات بالرصاص الحي!

(1) شعبان عبد الرحمن، الانتخابات المصرية، مجلة (المجتمع)، ع 1678 - 24 شوال 1426هـ، 26/ 11/ 2005م، ص15.

وبعد هذه المعركة الانتخابية الضارية التي استعملت فيها كل الأسلحة المشروعة واللا مشروعة، احتفظ الحزب الحاكم بسيطرته على المجلس الجديد بـ (316) مقعدًا، تمثل أكثر ثلثي مقاعد البرلمان (444) بعد ضم المستقلين إليه، فيما أصبحت جماعة الإخوان هي المعارضة الرئيسية بحصولها على (88) مقعدًا تعادل 20% من مقاعد البرلمان، بينما بقية الأحزاب التي خاضت الانتخابات فازت جميعها ب (15) مقعدًا فقط!

أما نسبة ثلث البرلمان التي تعادل قرابة (150) مقعدًا، فلم يتمكن الإخوان ومعهم باقي أحزاب المعارضة والمستقلين من الوصول إليها ..، مما يعني أن إمكان قيام الإخوان بالسعي لتغيير الدستور أو تقليص صلاحيات رئيس الجمهورية، خصوصًا فيما يتعلق بحقه في إصدار قرارات لها قوة القانون تتعلق بالشؤون العليا لمصر أصبحت ضعيفة أو معدومة!

وهكذا أنهت نتائج انتخابات برلمان 2005م حظر الجماعة سياسيًا ولم يتبق سوى الحظر القانوني والأمني، وهو ما بدأت أصوات سياسية تطالب به، وبنقل ملف التعامل الأمني مع الإخوان بحيث يصبح ملفا سياسيًا لا أمنيًا!

وبعد أن ألقت المعركة الانتخابية أوزارها.. ومضى كل فريق في طريقه يرتب أوراقه وملفاته، ما هو ملح وعاجل يطرحه للنظر والتفكير، والمؤقت يطويه إلى أن يحين ميعاده.. كان الملف العاجل أمام الجماعة هو تفنيد تلك الاتهامات التي طالت كل شيء في الجماعة منذ الميلاد إلى الانتخابات!... وهذا ما تكفل به فضيلة المرشد عاكف، في بيان له.. ننقل بعض منه؛ لأنه للأسف لازالت تلك المقالات تروج وتذاع حتى هذه الساعة!

(... فقد أعلن الإخوان المسلمون مبادرتهم للإصلاح، ورؤيتهم لمشروعهم الإسلامي في مارس 2003م، وهي رؤية اتسعت لتشمل مجال بناء الإنسان

والإصلاح السياسي والقضائي والانتخابي والاقتصادي، وفي كافة المجالات...، وعلى الرغم من ذلك يتجاهلها هؤلاء الشائنون، وبدلاً أن يتناولوها بالدرس والنقد الذي يبني ولا يهدم، ويفيد منه الإخوان وغيرهم نفوا وجودها بالكلية، ومنهم من استحيا من ذلك فعاد ليصفها بالغموض والعمومية، ونحن لا نزعم لعملنا الكمال. فهو جهد بشري محدود في فهم دين الله وواقع الأمة يحتمل الإضافة والتفصيل والتعديل من كل مخلص لدينه وأمته، ونحن لا نحتكر الصواب ولا ندعي العصمة.. وشعارنا هو قول الله تعالى ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: 88).

أما أننا نرفع شعارات إسلامية ونربط السياسة بالدين. فذلك ما لا ننفيه ولا نتبرأ منه. بل نجاهر به ونفاخر، ونعتقد صوابه ونجاهد من أجله.. بل نقرر أن كل فهم للإسلام يجعله مقصورًا في دائرة العبادات والأخلاق ويجرده من استهداف قيادة البشرية وسياسة أمورها، هو فهم يجافي حقيقة الإسلام الذي جاء به محمد (ﷺ): ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: 162 - 163).

وإذا جردوا الإسلام من السياسة والاقتصاد والقضاء... فماذا أبقوا له إذن؟! وعن أي إسلام يتحدثون؟!

مع أننا لا نقول إن للإسلام في كل ما مضى قولاً مفصلًا وقرارًا نافذًا محكمًا، يضيق على الناس واسع حياتهم، ويغلق أبواب الاجتهاد، ويلغي دور العقل، بل إن أقله أحكام مفصلة وأكثره قواعد كلية تفسح المجال للاجتهاد وفق ضوابطه وأصوله، حتى يظل دين الله الخالد ورسالته الخاتمة إلى العالمين صالحة لكل زمان ومكان.

أما ما يزعمون أننا ننتهز ما يتاح لنا من حرية وديمقراطية للتمكين والظفر، ونضمر الانقلاب عليها!... فإننا لا نملك إلا أن نقول ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: 16)، ونحن لا نظن أن أمة قد عانت من الدكتاتورية والقهر مثلما عانته أمتنا.. ولا نعرف طائفة من الناس قاست من ويلات الطغاة مثلما قاسى الدعاة إلى الله في عالمنا الإسلامي الرحيب، وفي القلب منهم الإخوان المسلمون.. فكيف يكون للدكتاتورية والقهر موضع في عقولنا وقلوبنا أو حظ من القبول عندنا؟!

والشورى في الإسلام لا تعني الحرية السياسية والديمقراطية في رؤيتنا الإسلامية فحسب. وليست هي حقًا للرعية على حاكمها ولا واجبًا على الحاكم فقط، كما قال تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: 159)، بل خلق عام وفريضة ماضية على كل مسلم في شتى مناشط حياته.

ونحن حين نقرر ضرورة التعددية السياسية، ومبدأ تداول السلطة لا نشعر أننا نفعل ذلك لنركب موجة عالمية تنادى بها، بل إننا نقرره من استقراء تاريخنا وفقه تراثنا وحقيقة ديننا الذي جعل التنوع في الخلق وسنة دائمة ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13)، وجعله آية من آيات قدرة الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: 22)، وقد كانت التعددية السياسية سمة بارزة لهذه الأمة في خير عصورها زمن نبيها (ﷺ) وخلفائه الراشدين، الذي جاء أولهم الصديق باختيار حر مباشر في مؤتمر شورى رائع بعد حوار سياسي مفتوح بين فريقيها من المهاجرين والأنصار.

وعلى ذلك، فنحن نؤمن بشرعية تكوين أحزاب سياسية في دولة الإسلام، تتنافس فيما بينها على البر والتقوى وتستهدف مصالح الأمة لا مصالح حزبية ضيقة.. وعلى الرغم من ذلك يتهموننا بالخداع السياسي، وأننا نضمر غير ما نعلن.. وغاية حجتهم في ذلك هو الرجوع إلى أقوال الإمام البنا التي يهاجم فيها الأحزاب السياسية في عصره وهي أحزاب علم الجميع فسادها، وأنها كانت

في الأعم الأغلب مطية للقصر والاستعمار، وقد صدق قوله فيهم: "**إن المستعمر يفرقهم بعضهم عن بعض ويجمعهم عليه فلا يقصدون إلا داره ولا يجتمعون إلا زواره!**"، وهب أن الجماعة خالفت في بعض اجتهاداتها بعض آراء شيخها وأمامها، أليس ذلك دليلاً على إيمانها بالشورى وقدرتها على المراجعة وعلامة من علامات حيويتها وتجددها؟!

ونحن في ذلك نوقن أن مشروعنا الإسلامي للنهضة ليس برامج مُجوّدة بعبارات منمقة تستهدف جلب رضا الناس بكل سبيل، بل هو في الأساس مستقى من صميم الإسلام، ولا نجاح له إلا بالإيمان الصادق بهذا الدين..)[1].

وبناء على ما استجد من نتائج الانتخابات التي أظهرت التفاف الجماهير حول الجماعة، طلبًا للتغيير من براثن الاستبداد والفساد والتبعية للحلف الأمريكي الصهيوني، كانت الأولوية لنواب الإخوان في البرلمان، هي:

1 - تعزيز الحريات العامة بكافة أشكالها.

2 - تحقيق أكبر قدر من التماسك والضمان الاجتماعي للطبقات الدنيا والوسطى اجتماعيًا.

3 - حماية الضعفاء اجتماعيًا خاصة المرأة والأقباط والأطفال وغيرهم على قاعدة المساواة في الحقوق والواجبات أمام الدستور والقانون.

4 - تعزيز الروح الإيمانية إسلامية ومسيحية.. وإرساء قيم الشريعة الإسلامية في العدل والمساواة والتنمية والشورى، وهذا معنى (الإسلام هو الحل)[2].

---

(1) محمد مهدي عاكف: حول المشروع السياسي الإصلاحي للإخوان المسلمين، مجلة (المجتمع)، ع1681، 15 ذو القعدة1426هـ - 17/12/2005م، ص22 - 23.

(2) د.عصام العريان، مصر تتحول.. الإخوان والبرلمان والمستقبل، مجلة (المجتمع)، ع 1679 - غرة ذو القعدة 1426هـ، 3/12/2005م، ص24 - 25.

زلزال فوز الإخوان في الانتخابات البرلمانية:

أجمع خبراء وسياسيون مصريون على أن الفوز الكبير الذي حققته الجماعة بنسبة تقارب حوالي 65% من مرشحيها قد صنع نوعًا من (المأزق الديمقراطي)، للغرب عامة والولايات المتحدة خاصة، وبشكل يفرض عليهم التفكير في تعاط جديد مع التيارات الإسلامية المعتدلة في المنطقة العربية.. وجاء رأي الخبراء والسياسيين منصبًا على ثلاث آراء مختلفة:

- الأول: يرى أن الغرب ليس لديه مشكلة في التعامل مع الإسلاميين أو غيرهم، فما يهمه مصالحه ألا تتضرر بمجيء هذا أو ذاك!
- الثاني: يرى أن هناك مشكلة ستظهر مع صعود الإخوان السياسي؛ لأن الإدارة الأمريكية تعتبر الإخوان تحديدًا من القوى المتطرفة!
- الثالث: لا يقيم وزنًا للغرب فيما يخص صعود الإسلاميين، ويقول إن الرهان يجب أن يكون الشعوب؛ لأنها هي التي تحدث التغيير وليس أمريكا.

وبدأ كذلك توابع زلزال الانتخابات يضرب أرضية الحياة السياسية المصرية التي أصابها التكلس منذ وقت بعيد.. وكانت الصورة الواضحة والمعبرة عن هذا المشهد ما حدث داخل أحزاب المعارضة الرئيسية التي شاركت في الانتخابات، ولم تحصل إلا على تسعة مقاعد من بين 454 مقعدًا!

فـ (حزب الوفد)، أكبر وأقدم الأحزاب المصرية، قام أعضاء اللجنة العليا للحزب بفصل رئيسه نعمان جمعة، ورد الأخير بفصل وتجميد 30 من أعضاء هذه الهيئة، واستقر الأمر في الحزب على عدم الاستقرار!

وتصاعد الصراع بين قيادات (حزب التجمع) و(الناصري)، بسبب الإخفاق الكبير في الانتخابات، وقد ظهرت بوادر هذا الانقلاب في صورة ظهور حركات يسارية وناصرية شابة كالكرامة وشباب التجمع.

وبعد العرض السريع للتصدعات والشقوق التي أصابت أرضية الحياة السياسية المصرية بعد الانتخابات، يتضح لنا بأن (المأزق الديمقراطي) لم يتناول الغرب وأمريكا وحدهم، بل أطبق على الجميع (حكومة ومعارضة).

وهذا ما فصله بدقة الأستاذ (شعبان عبد الرحمن) في مقالة له نقتطع منها بعض فقرات دالة على هذا المشهد: (..على سطح الخريطة يبدو الحزب الوطني في لغة الأرقام هو صاحب الأغلبية، وفي لغة الحقيقة تجده صاحب (مأزق كبير)، يصعب عليه الفكاك منه، فالجزء الأكبر من الأرقام أو الأصوات حصل عليه إما بانضمام المستقلين أو بالتزوير تحت قصف نيران البنادق أو القنابل المسيلة للدموع..)[1].

(والحقيقة أن مأزق أحزاب المعارضة أعمق بكثير من مأزق الحزب الوطني، فأداؤها والنتائج التي حصلت علها هزيلة...، لا تعبر عن أسماء وتاريخ الأحزاب الرئيسية ولم تعبر أيضًا عن جعجعة بعض قادتها، خاصة اليسار المصري)[2].

(أما مأزق الإخوان المسلمين - يمكن أن يسمى بـ(مأزق الفوز) - فهو يبدو في تلك القوة التصويتية الشعبية التي حصلوا عليها...، وهو ما جعلهم أصحاب القوة التصويتية الأولى في الانتخابات)[3].

وهذا يقودنا إلى (المعادلة المعكوسة) التي لا سبيل للخروج منها إلا بإسقاط النظام: (المأزق هنا أننا أمام أحزاب رسمية وشرعية وقانونية، لكنها شبه فاقدة للأهلية الشعبية التي تعد مانح الشرعية الحقيقي... وفي المقابل فإن الإخوان - ومعهم الأهلية الشعبية - مازالوا محظورين قانونيًا، وتلك معادلة معكوسة، إن

(1) شعبان عبد الرحمن: مأزق ما بعد الانتخابات، مجلة (المجتمع)، ع 1681، 15 ذو القعدة 1426هـ، 17/12/2005م، ص13.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق نفسه.

استمرت فسوف تسير عجلة الحركة السياسية إلى الخلف أو تظل دائرة في الهواء (محلك سر)[1]!

ووصل الزلزال إلى الصحف الحكومية التي لم تستطع تفسير ما حدث إلا بتقديم تبريرات تعبر عن التخبط أكثر من التحليل العقلاني.. وإن كانت لا تخلو من أصوات عاقلة كأديب نوبل، الأستاذ نجيب محفوظ، الذي نبه الغافلين والمغفلين، بقوله: (.. أجد الكثيرين من حولي يبدون قلقًا إزاء وصول أعداد من المنتمين لجماعات الإسلام السياسي سواء من الإخوان أو غيرهم إلى مقاعد مجلس الشعب.. لكني مؤمن بأن بقاء التيار الديني خارج الحلبة السياسية يزيد من تطرفه.. ودخوله إيّاها يساعد على اعتداله؛ لذلك فإن نجاح ممثلي هذا الاتجاه في الانتخابات إنما يخضع سياساتهم لأصول التعامل السياسي، ويطرح منطلقاتهم للنقاش العام، وربما تكون تلك فرصة تاريخية كي يتواءم أصحاب هذا الاتجاه مع الحياة السياسية الطبيعية بما لا يجعل منهم الخطر الذي يخشاه البعض، لقد كان هذا رأيي دائمًا..)[2].

ويؤكد ذلك الدكتور عصام العريان: (يجد الإخوان أنفسهم أمام مرحلة جديدة من العمل الإسلامي رغم الحظر القانوني المفروض عليهم، والذي نجحوا تمامًا في تناسيه والتغافل عن وجوده، وعدم الاعتداد به؛ لأن الشرعية الشعبية التي كرّست لهم أقوى بكثير من مجرد رخصة قانونية بذل البعض عشر سنوات صعبة للحصول عليها حتى الآن)[3]!

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) نقلاً عن مجلة (المختار الإسلامي) ملف الانتخابات المصرية، ع 280، س 27، 8/ 1/ 2006م، ص12 - 32.

(3) عصام العريان: الإخوان المسلمون ومرحلة جديدة من العمل الإسلامي، مجلة (المجتمع)، ع 1680، 8 ذوالقعدة 1426هـ، 10/ 12/ 2005م، ص20 - 21.

ولكن ماذا أضافت الممارسة البرلمانية لأبناء الحركة، والجماعة بشكل عام؟!

هذا ما أجاب عليه فضيلة المرشد عاكف، وعضو البرلمان السابق عن الإخوان: (بالنسبة للإخوان، فقد أتاحت الممارسة البرلمانية لها عدة أمور:

أولا: تبني قضية الإسلام والدفاع عنه باسم الشعب، وهو الهدف الأسمى للجماعة.

ثانيًا: رد الاعتبار لها باعتبارها أكبر حركة وطنية إسلامية محرومة من الغطاء القانوني، والحديث عنها وعن أهدافها أمام ممثلي الأمة، وإزالة الحواجز التي صنعتها الحكومات بينها وبين الناس.

ثالثًا: اكتساب الحركة لخبرات ومهارات كانت بعيدة عنها، والوصول إلى مقعد التأثير والتفاعل، ومحاولة التعامل مع القيادات السياسية بعيدًا عن التقارير الأمنية المزيفة.

رابعًا: دخول الجماعة في مؤسسات الدولة الحديثة، ومعرفة كيفية إدارتها وقيادتها.

أما على مستوى الأفراد، فقد عمقت لديهم الفهم للعمل السياسي المنضبط بضوابط الشرع. وقدمت لهم رؤية أوسع للخريطة السياسية في الساحة المصرية، ومنحتهم القدرة على التعامل الواعي مع معطيات الواقع السياسي، وكيفية الاستفادة منه والتأثير فيه، ومنحتهم كذلك فرصة أوسع للاحتكاك بمختلف فئات الشعب والوصول إلى مواقع وأماكن تجمعات لم يكن ممكنًا الوصول إليها بدون الانتخابات).

الفصل الثالث

الجنسية مسلم

كان الأستاذ مهدي عاكف متعاليًا على القُطْرِيَّة الضيّقة للبلدان متمسكًا بالقومية الرحبة للعقيدة التي تسع جميع المنتمين إليها، ولذلك وجّه اهتمامه لقضايا الأمة – وفي القلب منها قضية فلسطين – قبل قضايا الوطن

الجنســـية مســـلم

ظل سحرة فرعون من إعلاميي النظام يطنطنون بجملة قالها الأستاذ محمد مهدي عاكف في معرض حديثه عن تهافت مفهوم القُطْرِيَّة وضرورة استبدال أممية الإسلام به؛ مما يعني أنه مظلة جامعة لكل المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأعراقهم.. لقد قال فضيلته بعفوية صادقة: "طظ في مصر"، وكان يعني بذلك أن قضايا الأمة الإسلامية أولى بالاهتمام.. كان الرجل متعاليًا على القُطْرِيَّة الضيّقة للبلدان متمسكًا بالقومية الرحبة للعقيدة التي تسع جميع المنتمين إليها، ولذلك وجّه اهتمامه لقضايا الأمة - وفي القلب منها قضية فلسطين - قبل قضايا الوطن..

ففي الوقت الذي كانت فيه التصريحات الرسمية والعلنية تعلن في ثلاثينيات القرن المنصرم أن حكومة مصر معنية فقط بشؤون مصر، كانت جهود الإخوان المسلمين تحشد الدعم وتجمع المعونات لثورة القسام عام 1936م، وقتها كان الإمام البنا يصرخ عاليًا لإيقاظ النائمين: (**إن فلسطين هي قلب الشرق النابض وموطن مقدساته مسلميه ومسيحيه على السواء.. وإن قضية فلسطين هي قضية العالم الإسلامي بأسره وهي ميزان كرامته ومقياس هيبته وقوته**)[1].

(وإن اليهود في فلسطين خطر داهم على سياسة الشرق العامة، ومطامعهم في الوطن العربي غير محصورة فهم لا يقتصرون على فلسطين، ولكنهم سيخيفون الأرض من كل جانب، وهم خطر على وحدة العرب في الشرق؛ لأنهم لا يعيشون

(1) أ.د.محمد عمارة: مئة عام على ميلاد حسن البنا (بطاقة حياة)، مجلة (المجتمع)، ع 1723، 22 رمضان 1427هـ، 14/10/2006م، ص 28 - 33.

إلا في جو التفريق وهم خطر داهم على أخلاق الشرق فهم قوم خُلُقُهم المال، باعوا من قبل آيات الله بثمن قليل، ولا يزالون يبيعون الأخلاق بثمن بخس)[1].

(إن الإنجليز واليهود لن يفهموا إلا لغة واحدة: هي لغة الثورة والقوة والدم)[2].

وعندما ظهرت النوايا الدولية بدعم جهود العصابات الصهيونية لإقامة كيان صهيوني يغتصب معظم أراضي فلسطين، وظهر عجز الحكومات العربية، وقوى الداخل الفلسطيني عن مقاومة هذه العصابات، كان الإخوان المسلمون أسبق الجميع إلى حشد كتائب الفدائيين لمقاومة هذه العصابات، وكانت كلمات الإمام البنا تلهبهم بالحماسة: (إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب الله لها الحياة العزيزة.. فاعملوا للموت الكريم تظفروا بالسعادة الكاملة، رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله..)[3].

وسطروا بدمائهم أروع صفحات الجهاد ضد الصهاينة، وكانت حكومات الخيانة تقودهم من ساحات الجهاد إلى غياهب السجون والمعتقلات..، وكان ثمن بقاء هذا الكيان المغتصب على قيد الحياة واستمراره، هو إبادة الإخوان المسلمين في مصر والعالم العربي؛ لأنهم العقبة الكأداء في طريق تأبيد سيطرته على الأرض المقدسة.

وفي الوقت الذي لاح لبعض القيادات الفلسطينية سراب السلام، وتاه البعض في تيه المفاوضات المكوكية، والتي لم يجنِ الشعب الفلسطيني من ورائها شيء إلا الخسف والهوان، فكانت انتفاضة الشعب الفلسطيني الأولى عام 1987م، والثانية انتفاضة الأقصى عام 2000م، وكان الإخوان المسلمون في القلب منها في فلسطين، وأكبر المحتضنين لها من خارج فلسطين، وفي النهاية اتضح بجلاء

(1) المصدر السابق نفسه.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) المصدر السابق نفسه.

نوايا العدو الصهيوني في ابتلاع الأراضي الفلسطينية، وفرض هيمنته على المنطقة كلها اقتصاديًا وسياسيًا.

وكان الإخوان المسلمون - وما زالوا - أكبر القوى المعارضة لاتفاقيات ما يسمى السلام من كامب ديفيد الأولى إلى كامب ديفيد الثانية، مرورًا بأوسلو ووادي عربة وغيرها.

كل هذه الحقائق التاريخية والدينية لم تغب عن عقل وذهن محمد مهدي عاكف.. فقد اصطلى بها شابًا يُعَدُّ للذهاب إلى فلسطين عام 1948م، ولكن خيانة النقراشي أجهضت تحرك الإخوان لحماية فلسطين من العصابات الصهيونية، وقضى زهرة العمر خلف الأسوار (عشرون عامًا) بتهمة إعداد وتدريب جيش لرد الاعتداء على أي بلد عربي وإسلامي.

ولذا يرى أن المشروع الصهيوني نقيض للمشروع الإسلامي عامة والإخوان خاصة، وأن تحقق المشروع الإسلامي والإخواني يقتضي نفيًا حقيقيًا للمشروع الصهيوني.

ومن هنا كانت كافة بياناته وخطاباته، ففي حديث له، سئل: ما هو تصوركم لمستقبل الجهاد في فلسطين والعراق؟

(العمل الجهادي حق مشروع ضد المحتل الغاصب، وهو من فرائض الأعيان على أهل البلد المحتل، وفرض على الكفاية على من جاورهم، وهو دليل على حيوية الأمة وعزتها وكرامتها، وعلى احترامها لذاتها وقيمها..)[1].

وأضاف في إجابة عن التطورات الدولية المتلاحقة والأخطار المحدقة بالدعوة؟

(1) حوار: حسين عاشور/ مجلة (المختار الإسلامي) ع 257، 3/ 2004م (ملف: محمد مهدي عاكف مرشدًا عامًا لجماعة الإخوان المسلمين).

- المشروع الصهيوني لم تعد اهتماماته قاصرة فقط على إقامة الكيان الصهيوني من النيل إلى الفرات، وإنما تعدت ذلك إلى محاولة مد النفوذ حتى الصين شرقًا والمغرب العربي غربًا، وذلك بدعم كامل من - الإدارة الأمريكية - يستهدف ضرب المقاومة الفلسطينية، وتكريس عملية الاستيطان العنصرية، وكسر إرادة الشعب الفلسطيني من خلال عمليات الاغتيال والتصفية والإبادة والجرائم والمجازر الوحشية التي يرتكبها ...، وفي النهاية يستهدف إقامة دويلة فلسطينية منزوعة السلاح والسيادة.. وإلغاء حق عودة اللاجئين، واتخاذ القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني.. وفي مواجهة ذلك كله لا نجد - للأسف - سوى العجز والشلل والتشرذم العربي، وهو ما يدفع إلى مزيد من توغل واستقواء المشروعين الأمريكي والصهيوني)[1]!

وفي مارس 2004م، ألغت تونس القمة العربية قبل انعقادها بساعات، ليكشف العجز العربي الواضح، ويقرر عاكف توجيه رسالته الأسبوعية للحكام العرب، ولكن جاء اغتيال الشهيد أحمد ياسين لتكون رسالته بلا توقيع وبلا عنوان، للأمة حول معاني استشهاد أحمد يس:

"- إن الشهيد أحمد يس ليس أول الشهداء، ولن يكون آخرهم ما بقي احتلال يجثما على أرضنا... وإن دروس التاريخ قد علمتنا أن دماء الشهداء لتضيع، وأن الأمم تعيش بتضحيات أبنائها.

- إن المقاومة والجهاد هما السبيل الوحيد لتحرير أرض فلسطين، وإن الصهاينة لا عهد لهم ولا سلام معهم، إنهم - كما قال الله تعالى - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: 82)، وأن الحديث عن السلام

(1) حوار: شعبان عبد الرحمن: محمد مهدي عاكف المرشد السابع للإخوان المسلمون، مجلة (المجتمع)، ع 1586، 24/1/2004م، ص39.

معهم الآن خديعة مُرّة (أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) (البقرة: 100).

- إن الشعوب العربية والإسلامية وقياداتها يجب عليها أن تعرف حقيقة ما يحاك لها وما يخططه الصهاينة والأمريكان للقضاء على هويتها ومقاومتها ليسهل لهم بذلك الهيمنة والسيطرة عليهم)[1].

وقبل أن تجف دماء الشهيد أحمد يس، ويكف الدمع المدرار حزنًا وألمًا على فراقه، وبعد أقل من شهر على تسلم الرنتيسي أمانة القيادة لحماس لحق بسلفه على درب الشهادة وبنفس الطريقة!

استشهد القائد الجديد لحركة حماس واثنان من مرافقيه بقصف صهيوني على سيارته، وجاءت هذه العملية ردًا على قيام الذراع العسكري للحركة بعملية استهدفت جنودًا صهاينة على معبر إيرنز!

وعلى الفور هاتف عاكف الرئيس عرفات، غاضبًا: (**عليك بالمقاومة، ودعك من الكلام عن الحلول السلمية التي لا تعني عند الصهاينة إلا الاستسلام**)[2]!

وأصدرت الجماعة بيانًا عاصفًا، أكدت فيه على عدد من النقاط، أهمها:

- أن اغتيال الشهيد لن يفتّ في عَضُدِ المجاهدين الذين جعلوا "الله غايتهم والموت في سبيل الله أسمى أمانيهم"، وأن دماء الشهيد لتستصرخ كل مسلم حر أن يموت على ما مات عليه الصادقون المرابطون.

- أن الأمة كلها مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى بالاستنفار للجهاد. وهذا

(1) الإخوان المسلمون: لا عهد ولا سلام مع الصهاينة، مجلة (المجتمع)، ع1594 - 6 صفر1425هـ، 27/3/2004م، ص 33.

(2) مجلة (المجتمع)، ع 1598 - 24/4/2004م.

قدرنا الذي لا محيص عنه، وأن المجاهدين في فلسطين لا يدافعون عن وطنهم وحده، بل عن شرف الأمة ودينها.

- لقد اتضح أن المعركة هي معركة ضد الإسلام نفسه وأعداؤنا لا يكتمون ذلك، فلا عذر لمسلم إن قعد عن الدفاع عن نفسه ووطنه ودينه.

- أن حادث الاغتيال الأثيم وإن تمّ بأيدٍ صهيونية، فإن المجرم الأول فيها هو أمريكا وإدارتها العنصرية المتعجرفة التي لا تتوانى كل يوم عن ارتكاب الجرائم ضد وطننا وأمتنا.. ولقد أطلقت يد الصهاينة وكافأتهم على جرائمهم دومًا..)[1].

وبعد عقد مؤتمر شرم الشيخ (5/ 2005م)، والذي حشد فيه الحكام العرب بأمر "بوش الابن" لإحكام الحصار السياسي على حماس، كان لأستاذنا رأي في التوصيات التي خرج بها المؤتمر، والتي كانت عبارة عن تطمينات ووعود جوفاء لا مستقبل لها على أرض الواقع كسابقيه من مؤتمرات، فقد كان رأيه أن:

- مؤتمر شرم الشيخ لم ينته إلى شيء سوى التهدئة بين الطرفين، والاتفاق على إيقاف النار من قبل الفصائل الفلسطينية في مقابل وقف العمل العسكري الصهيوني، ولم يحصل الفلسطينيون على شيء سوى وعود بتحسين الأساليب المعيشية، وفتح المعابر، والإفراج عن المئات من الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال...، مقابل تجميع السلاح من الفصائل الفلسطينية، ووقف عسكرة الانتفاضة!!)[2].

- نزع "سلاح المقاومة" المطلب الأساسي لهذه المؤتمرات، ولكن يُموهون عليه بمطالب أخرى، من هنا كان تحذير عاكف (إلقاء السلاح لا يجوز!)..:

(1) الإخوان المسلمون: الأمة مطالبة بالاستنفار للجهاد، مجلة (المجتمع)، 5 ربيع الأول 1425هـ، 24/ 4/ 2004م، ص28.

(2) حوار: سلوى عبد المعبود، مجلة المختار الإسلامي، ع 285، 7/2006م.

- فصائل المقاومة الفلسطينية حرة، تقبل ما تراه في مصلحتها، فهم أصحاب القضية، وهم الذين يحملون السلاح ليقاتلوا عدوهم، وأنا لا أحمل السلاح معهم، ولكن رأيي الشخصي أن عليهم ألا يلقوا السلاح، أما الهدنة لبعض الوقت أو التهدئة فيمكن لهم أن يقبلوها إذا رأوا فيها مصلحتهم، أما إلقاء السلاح فهو في غاية الخطورة، فلا يجوز للمقاومة المسلحة أن تلقي سلاحها ما بقي في الأرض شبر واحد لم يحرر..)[1].

وجاء فوز (حماس) في الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006م كالصاعقة على الداخل الفلسطيني والإقليم العربي والمحيط الدولي، وبدأت لعبة التخويف من حماس، وإلقاء الشكوك على مواقفهم وبرامجهم المتعلقة بالحريات والديمقراطية، وتداول السلطة، وبث الذعر وعدم الطمأنينة على مستقبل المجتمع واستقرار الإقليم..، ولذا قام الأستاذ عاكف بإرسال نداء لشعب مصر والعالم العربي والإسلامي لنصرة الشعب الفلسطيني، الذي تعد له مؤامرة متكاملة لوأد اختياره الحر:

".. لكن المثير للاستغراب والغضب بل والاشمئزاز أن تتنادى حكومات كثيرة من أجل خنق الشعب الفلسطيني وتجويعه لأنه مارس حقه الطبيعي في انتخاب حكومة تمثله بمقتضى المبادئ الديمقراطية التي يزعم العالم الغربي أنه راعيها وناشرها بين شعوب العالم...، وإذا كانت حكومات الغرب قد تجردت من كل المشاعر الإنسانية في محاولة لإبادة الشعب أو تركيعه، فماذا يجب على حكوماتنا إزاء هذا الوضع؟.. هل نخذلهم ونسلمهم والرسول (ﷺ) يقول: "**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله**" (رواه البخاري ومسلم)، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: 10).

---

(1) نفس المصدر.

ومن هنا أقول للحكومات: لا تستجيبوا للرغبات الغربية الشريرة القاتلة التي تغتال إخواننا في فلسطين بالحصار والجوع.. وقِفُوا وَقفةً ذات كرامة تُرضي الله الحق العدل، وتتجاوب مع إرادات الشعوب، وتثبت أن الأمة فيها رجال..)[1].

وفي الذكرى الأربعين لاحتلال المسجد الأقصى على يد أحفاد القردة والخنازير، كان لأستاذنا هذه الكلمات الطيبة حول استعادة المسجد الأقصى لهويته العربية والإسلامية:

(... إن معركة تحرير القدس وفلسطين لن تتم إلا بتحرير الإنسان والأوطان من هوان الاستبداد والاستعباد والاستعمار، ولن تتم إلا بالأخذ بأسباب القوة والمنعة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: 60).

ولن تكون المعركة سهلة بشقيها؛ معركة الإصلاح الداخلي ومعركة استرجاع الوقف الإسلامي في فلسطين من النهر إلى البحر..، وعندما نتحدث عن معركة استرجاع القدس يجب أن نعلم أنها ستكون معركة شرسة مع عدو مجرم لا يرحم مما يحتاج إلى الصبر والثبات من كل عنصر من عناصر الأمة سينذر نفسه للمعركة الكبرى مع العدو الصهيوني ومن يدعمونه من قوة الاستكبار العالمي، وعلى رأسه الولايات المتحدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 200)[2].

(1) نداء لنصرة الشعب الفلسطيني، مجلة (المجتمع)، ع1699 - غرة ربيع الأول1427هـ - 29/ 4/ 2006م، ص31.

(2) ملف: 40 عامًا على ضياع القدس، مجلة (المجتمع)، ع1756 - غرة جمادى الآخرة1428هـ - 16/6/1007م، ص8.

العـــدوان عـــلى غـــزة

(بينما كان الغزاويون يحاولون تلمس الطريق لسد قوت يومهم تحت الحصار الذي بلغ ذروته مع نهاية التهدئة التي انتهت صلاحيتها في 2008/12/19م، تعالت أصوات الانفجارات بشكل مفاجئ ودون سابق إنذار، جراء الغارات الجوية التي طالت مختلف أنحاء القطاع في اللحظة نفسها، وحوّلته في دقائق معدودة إلى كتلة من اللهب غطّت السماء، ولم يعد هناك مجال للشك في أن قوات الاحتلال ترتكب مجزرة جماعية في جميع مدن القطاع.

لحظات بسيطة كانت كفيلة بانقشاع الغبار وانكشاف المستور.. أكوام من اللحم تناثرت وتجمعت فوق بعضها دون القدرة على التمييز.. وبدأ العد التصاعدي لأعداد الشهداء.. عشرة شهداء.. ثم عشرون.. ثم أربعون.. ثم تخطى العدد حاجز المئة، ولم يستقر عددهم عند رقم 300 شهيد، ولا يزال العدد في ارتفاع واتشحت غزة في السواد!!)[1]، هكذا كان وصف كاميرا مجلة (المجتمع)، للحظات الأولى للعدوان على غزة الصامدة!

فشلّال الدم الذي تفجر في غزة، وأزال من أمامه الإنسان والحجر لم يحرك القلوب المتحجرة والضمائر التي ماتت منذ زمن بعيد، في بلاد العرب والعجم، ليقوموا بقطع العلاقات مع العدو الصهيوني وإغلاق سفاراته ومكاتب تمثيله التي تدنس العديد من العواصم العربية، كما لم تحرك عزائم أولي القربى (عباس ومنظمة فتح!)، لكي يوقفوا مفاوضاتهم العبثية، وتنسيقهم الأمني مع الصهاينة!

---

(1) وسام عفيفة: المجتمع تنقل وقائع المحرقة/ مجلة (المجتمع)، ع1833، 6 المحرم 1430هـ، 3/ 1/ 2009م، ص7.

والشقيقة الكبرى مصر لم تتحرك لفتح المعبر، والذي دام إغلاقه لأكثر من العام والنصف، حتى يواصل الكيان الصهيوني مجازره وهو مطمئن خالي البال!

وأمام الضغط الشعبي والدولي، أعلن عن موافقته على استقبال الجرحى، وإدخال بعض المساعدات، مع استمرار إحكام الحصار لقتل الأحياء جوعًا وعطشًا ومرضًا!

وما يزيد الأمر سوءً وبلاءً، أن المجرمة (تسيبي ليفني)وزيرة الخارجية الإسرائيلية قد أعلنت من القاهرة، وهي متكئة على ذراع (أبو الغيط) وزير الخارجية المصري: (إن إسرائيل لن تقبل بحماس حاكمة لغزة.. وأن ما تقوم به إسرائيل يعبر عن احتياجات المنطقة)[1]!

وقام بالتغطية على موقفها، ورمى بالمسؤولية على حماس، كل من "أبو الغيط وعباس"، وبقية الطابور من فتح!

ورغم التضييق الأمني وحصار أية مظاهرة للغضب على ما يجري في غزة، فقد شهدت أغلبية المدن المصرية مظاهرات قادها نشطاء الإخوان المسلمين، حتى بلغ عدد المتظاهرين في يوم واحد (55) ألفًا في مظاهرات عدة، كان أبرزها مظاهرتان، إحداهما أمام البرلمان المصري والأخرى أمام نقابة الصحفيين. وتقدم المتظاهرين (مهدي عاكف) المرشد العام للإخوان، والعديد من قيادات الجماعة ونواب ورؤساء أحزاب... وطالب (عاكف) بالتحرك الفوري لإنقاذ الشعب الفلسطيني المحاصر في قطاع غزة من براثن الإرهاب الصهيوني الغادر والاستمرار في إعلان الغضب بكل الوسائل السلمية المتاحة. ورد النظام بوسائله المعهودة: اعتقال العديد من قيادات الجماعة من محافظات مختلفة، بينهم قيادات مهنية ونقابية، ومنع آلاف المواطنين من التجمع للقيام بتظاهرات الغضب التي دعا إليها الإخوان المسلمون والقوى السياسية!

(1) نفس المصدر.

وتركزت المطالب التي أعلنتها المعارضة وقدمها نواب الإخوان والمستقلون في البرلمان المصري على قطع مختلف العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية، ووقف تصدير الغاز لهم.

وقالت الجماعة في بيان أصدرته في القاهرة: (**ليعلم هؤلاء وأعوانهم المطبعون معهم والخائفون والمذعورون منهم أنهم سيهزمون وسيولون الدبر**).

وطالب الإخوان في بيانهم أبناء الأمة العربية الإسلامية كافة، والشعب المصري خاصة، أن يهبوا لمساندة أهل فلسطين والتضحية من أجل مقدساتها ضد الصهاينة المجرمين.

كما طالبوا البرلمانات العربية والإسلامية بأن يتحملوا مسؤوليتهم، وأن يقفوا صفًا واحدًا مع الشعوب، وأن يسقطوا ما يُسمى باتفاقيات السلام مع العدو الصهيوني.

وطالبوا الحكومات والنظم العربية والإسلامية أن تقوم بواجبها نحو:

أ - الوقوف مع شعوبها في مواقفها الرافضة لهذه العربدة الصهيونية الغاشمة، وتقديم يد العون لإخوانهم في فلسطين.

ب - قطع العلاقات أو أي نوع من الاتصالات المباشرة أو غير المباشرة مع العدو، وطرد سفرائه أينما وجدوا.

ج - تنفيذ بنود اتفاقية الدفاع العربي المشترك للدفاع عن أرض فلسطين.

د - إمداد الشعب الفلسطيني بالسلاح المقاوم ليتمكن من الدفاع عن أرضه وعرضه ومقدساته)[1].

(1) مجلة (المجتمع) ع 1833 - 3/1/2009م، ص22.

وفي بيان لفضيلة المرشد (عاكف)، أكد على عدد من المعاني والثوابت الدينية والتاريخية لمواجهة هذا العدو الصهيوني المجرم، حيث أكد: (.. أن جرائم العدو الصهيوني الغاشم على مدار التاريخ لن تُنسى وما مذابحهم الشهيرة في دير ياسين وقانا و.... وغيرها من جرائمه منا ببعيد!

لقد أثبت التاريخ والواقع أنه لن يجدي مع الصهاينة بطبعهم الخبيث ومكرهم ولؤمهم سلام ولا اتفاقيات ولا مبادرات ولا شرعية دولية ولا ... ولكن أنجع دواء هو ما وصفه القرآن لنا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال:60) إلى آخر الآية.

ومن هنا، لم يعد لنا بد من ضرورة الجهاد المقدس لمواجهة هذه الوحشية البربرية التي تبيد أهلنا في غزة، وسط سلبية مؤسسات المجتمع الدولي، وتواطؤ الأنظمة العربية الرسمية.. ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 41).

فمتى ننادي بأعلى أصواتنا حي على الجهاد؟ إن لم ننادِ بها الآن لتهب الدنيا كلها لمواجهة هذه الشرذمة الصهيونية الحاقدة.

فحي على الجهاد.. جهادًا شاملًا بكل أنواعه ومعانيه، يبدأ بجهاد النفس والشيطان، وينتهي بمشاركة الدول العربية والإسلامية بجهاد الساعد والسلاح، فمتى يستخدم السلاح العربي والإسلامي أو يلوح باستخدامه إن لم يستخدم الآن؟ ومتى تغضب الأنظمة الحاكمة لدماء شعوبها إن لم تغضب الآن؟ ومتى تتحرك إن لم تتحرك الآن؟!

إن على الأمة كلها أن تعلن الجهاد، وتستنفر طاقاتها، وتشحذ هممها، فعلى الساسة أن يفنّدوا حجج الأعداء الواهية، ويدحروهم فكريًا وثقافيًا، وعلى العلماء والدعاة قيادة الأمة وتوجيهها من على المنابر التي يرتقونها، وأن

يتقدموا الصفوف، ويدرؤوا عنها تخاذل النفوس المتخاذلة، وليغرسوا في الأمة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 111)[1].

ونوّه كذلك بأدوار كافة شرائح وفئات المجتمع العربي والمسلم، في استخدام كل الوسائل لنصرة غزة وشعبها الصامد.

وفي الحوار الممنوع وقتها من النشر (2009/1م) ونشر عقب ثورة يناير، لإحدى الصحف، والذي هدّد الأمن بإغلاق الجريدة واعتقال عاكف، إذا خرج الحديث للعلن، فاض كيل أستاذنا من تصرفات نظام مبارك من العدوان الصهيوني، فطرح اللغة الدبلوماسية جانبًا، ووجه أصابع الاتهام إلى مبارك بشخصه!

تفتكر النظام أغلق معبر رفح ليه؟

- النظام الآن يدار بأجندة صهيونية أمريكية، وهذه الأجندة تريد القضاء على الشعب المصري؛ حتى لا يكون له قيمة أو نهضة ويفشل في كل شيء.. فالآن هو فاشل في الاقتصاد والتعليم والشباب وكل شيء، وهذه رغبة الأمريكان والصهاينة بأن يظل الشعب المصري متخلفًا وتنعدم كفائته، فجاء هذا النظام بأجندته ليس للقضاء على الشعب فقط، بل للقضاء على الدولة على مصر العظيمة والمناضلة.. وهذا النظام الذي استولى على السلطة والثروة يريد إذلال الشعب وإقصاء أبنائه وحجب آخرين؛ حتى تظل الأجندة الصهيونية والأمريكية هي المستعملة.

هل تقصد أن غلق المعبر مطلب صهيوني؟

- طبعًا ولا شك في هذا، وليس عندي أدنى شك بأن الذي أغلق المعبر هو

(1) ملف محرقة غزة، مجلة (المجتمع)، ع 1836 - 27 المحرم 1430هـ، 24/1/2009م، ص30 - 31.

صهيوني - أمريكي، ولا أدري كيف يفعل مبارك هذا، وهو بالقطع ليس في وعيه والزمرة الفاسدة حوله التي تدير؛ لأن مبارك وأنا أعرفه مهما كان حارب وقاتل وناضل يرى بعينيه ما نراه، وفي النهاية يقول هذا الكلام التافه، ومن حوله فئة ضالة.. صهيونية - أمريكية كاذبة.

هل مصر مسئولة عما حدث في غزة من الضربات الأخيرة؟

- يا سلام!.. سؤال عجيب أنت رد عليه!.. احنا قلنا من أول يوم لو لم تكن مصر والأنظمة العربية متواطئة مع الصهاينة ما استطاعت إسرائيل أن تضرب غزة.

ما الدليل على تورط مصر مع إسرائيل؟

- مصر المسؤولة الأولى؛ لأنها الجارة ولو فتحت معبر رفح لم يعد هناك مشكلة.

مبارك برر ذلك بعدم تكريس الانقسام الفلسطيني؟!

ما تترفزنيش دي تصريحات مخبول!!.. إيه دخل الانقسام بالإغاثات التي عاوزها تعبر وبعدين الفلسطينيين أعلنوا أنهم لن يقبلوا من يأتي على دبابة صهيونية)[1].

ورغم قلة عدد رجال المقاومة وعدتهم وافتقارهم إلى عمق جغرافي، فقد حقّقت المقاومة نصرًا استراتيجيًا واضحًا، بغض النظر عن نتيجة المعركة العسكرية، من حيث إنها منعت الكيان الصهيوني من تحقيق أي من الأهداف التي شنّ من أجلها تلك الحرب، وتمخضت المعركة على معنيين برزا بوضوح تام:

- إرادة المقاومة في شعب غزة لم تنكسر على الرغم من بشاعة العدوان وقسوة الحصار.
- الصورة أكدت صلابة موقف المقاومة من حيث القيادة والسيطرة في إدارة المعركة على الأصعدة العسكرية والسياسية والإعلامية، رغم الدعم غير المحدود للعدو من السلاح والمال والتغطية السياسية.

(1) ج (صوت الأمة)، 9/5/2011م، حوار: محمود الضبع.

نظام مبارك المجرم الذي يضنّ على أهل غزة بمعبر مفتوح تدخل من خلاله أقوات الحياة الضرورية لمليون ونصف محاصر، يقوم بضخ الغاز المصري عبر أنابيب تحت المياه من سيناء إلى محطات الطاقة الإسرائيلية، بسعر لا يزيد على دولار وربع الدولار، في حين يبلغ سعر السوق 9 $ ولمدة 15 سنة، ووصفت الحكومة اتفاقية الغاز بأنها مجرد مذكرة تفاهم لا ترقى للاتفاقية مخالفًا قانون (فيينا) للمعاهدات الذي ينص على أن أي أتفاق بين دولتين يعد اتفاقية دولية، خاصة أنها تتضمن تصرفًا في ثروات البلاد!!

وأبدت قوى سياسية وبرلمانية غضبها على هذه الصفقة، ودعت جماعة الإخوان نواب الشعب للتحرك الجدي لوقف تصدير الغاز للصهاينة.

وقال مهدي عاكف المرشد العام: (إن الحفاظ على الأمن القومي المصري يستوجب وقف تدفق الغاز عبر الأنابيب للعدو الذي قتل أبناءنا ودفن أسرانا أحياء في حروب 1956م و1967م و1973م، وما زال يهدد أمننا القومي بصناعة وامتلاك أسلحة الدمار الشامل)[1].

وشدد عاكف قائلًا: (إن اتفاقية الدفاع العربي المشترك تلزم الحكومة - إن كان لديها فائض من الغاز - أن تصدره إلى الإخوة الأشقاء في فلسطين لتزويدهم بالطاقة والوقود اللازم لإدارة شؤون حياتهم. وهم يعانون من عدوان الصهاينة عليهم وحصارهم لهم حصار الجوع والموت)[2].

وقبل أن يغادر أستاذنا عاكف مهام منصبه مرشدًا عاما للجماعة، وكان وقتها يرتب بيت الإخوان من الداخل، والجدل يثار حول تجديد فترة ولايته أو عدم

(1) محمد جمال عرفة: تصدير الغاز لإسرائيل، مجلة (المجتمع)، ع 1802، 12 جمادى الأولى 1429هـ، 17/5/ 2008م، ص1802، ص25.

(2) نفس المصدر.

التجديد، والنظام يتربص به الدوائر، كل هذه الهموم المضاعفة، والضاغطة على أعصابه، كإنسان في نهاية المطاف، لم تمنعه من مواصلة دعمه لشعب غزة، ففي حوار فضائي، سئل: أنت تريد تحريك مظاهرات الإصلاح ونصرة غزة حتى ولو اعتقل آلاف الإخوان؟!

وأجاب بتلقائيته المعهودة: نعم ولو اعتقل كل الإخوان؛ فالاعتقالات تقوى الجماعة ولا تضعفها!!

وفي حوار صحفي مع فضيلة المرشد (مهدي عاكف)، أجراه معه الأستاذ (صلاح عبد المقصود)، تشعّب الحديث في مسائل كثيرة، كان في القلب منها (غزة وشعبها)!

(... فأنا أشعر بأن أداءنا ضعيف أمام الهجمة الشرسة للسياسة العالمية والأوضاع في المنطقة، ويجب ألا ينظر الإخوان تحت أقدامهم، لابد أن نكون في هذا الظرف أكثر حيوية ونشاطًا وانطلاقًا في كل الميادين)

قبل ذلك مارست ضغطًا لخروج مظاهرات الإصلاح السياسي، واعتقل أكثر من 4000 عضو من الإخوان؟

- أنا لم أضغط، كلنا في القيادة كنا متفقين على الخروج في هذه المظاهرات.

صحيح، لكن حضرتك كنت المحرك الأساسي؟

- أنا في وسطهم وأمامهم، وهذا واجب شرعي ووطني أن نكون في مقدمة المتظاهرين لحماية غزة ودعمها، وحماية الحق والعدل اللذين يريدون أن يمحوهما من الأمة، ويقيمون قوانين ويغيرون مواد الدستور بهذه الصورة.

حتى ولو كلف الجماعة اعتقال الآلاف؟!

- حتى لو اعتقلنا كلنا، يجب أن يكون لنا موقف ضد تقنين الاستبداد، فنحن خرجنا واعتقل منا 3000 عندما عدلوا المادة 76 من الدستور، فهذا واجب علينا يجب أن ندفع ضريبته، وسنزداد قوة ومصداقية عند الناس.. هذا أسلوبي!

يعني قناعتك أن هذه المواجهات السلمية لا تضعف الجماعة؟!

- أبدًا.. تزيدها قوة؛ لأنها على حق، يعني يجب علينا أن نقول الحق ونعلنه، ونقف بجوار إخواننا في فلسطين وأفغانستان والعراق والصومال. نحن كمسلمين أمة واحدة، وأنا لا أكتمك أني أحزن كثيرًا حينما أرى أن دماء المسلمين رخيصة، والمسلمون هم الذين يقتلون بلا رحمة في أفغانستان وباكستان والصومال وفلسطين، ولا نصير، ونحن - هذا النظام الفاسد والمستبد الذي يمنعنا أن نقدم أو نقوم بواجبنا - نحن (الإخوان المسلمين) لسنا أقل من أن يكون لنا فعاليات تعلن هذا للكل، لذلك. أقول لك: أنا سأسير مع ضعيف الركب، هذه وجهة نظري وما يقرره مكتب الإرشاد في هذه الميادين سيكون.

إنما أحيانًا أدلي بتصريحات، يعني مثلاً، حينما طالبت بأن يكون يوم الجمعة انتفاضة في فلسطين، قلت التصريح من هنا وقبضوا على كل مساعديّ من هنا.. لقد حزنت يومها، وذهبت إلى بيتي حزينًا، وفوجئت بأن إخوان محافظة الغربية يطلبونني لحضور مؤتمر أقاموه استجابة لندائي، فحضرت وطلبوا مني كلمة، لكن من حزني لم أكن أستطع الحديث، لكن حين سمعت هدير الإخوان (الله أكبر ولله الحمد)، وقفت وخطبت، كنت أظنّهم مئة أو مئتين، فإذا بهم 5 آلاف، ووجدت مثلهم بالمنصورة ودمياط وغيرها.

قلت: الحمد لله أن الإخوان لم يركنوا إلى هذا الاستبداد، فأنا أتصرف في كل السياسة العالمية، ولا أحد يقول لي: لماذا تعمل هذا؟ هذا حقي وواجبي.

أتصل بالأردن وأقول لهم: اذهبوا إلى الصومال، وأتصل بتركيا وأقول: لا يجوز يا أخي أن تقتل الأكراد بهذه الطريقة التي يقتل بها الصهاينة المسلمين، هؤلاء مسلمون مثلك، والحقيقة لم أجد إنسانا يستجيب للواجب الإسلامي والإنساني كـ(أردوغان)، لقد وجدته بعد ذلك يصرح بأن الحرب لن تنهي مشكلة الأكراد. ثم رأيت موقفه من الصهاينة موقفًا ممتازًا...

هل طالبتم برفع الحصار عنهم، سواء في مصر أو في الدول العربية، ولا سيما دول الطوق؟

- من الذي يقوم برفع الحصار؟ كل هذه الدول تحكم الحصار! وهناك ثلاث قرارات عالمية صدرت برفع الحصار من الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية، ومع ذلك فالحصار موجود.. وقد كنت أتوقع من مصر أن تستند إلى هذه القرارات، ولكنها هي التي تحكم الحصار، وأين الدول العربية كلها؟ لم يتقدم واحد لفك هذا الحصار!

ولم يعد هناك الآن دول طوق، إنما هناك المقاومة في دول الطوق، التي أصبحت هي الأمل لفك الحصار عن غزة، ولا ننسى رئيس الوزراء التركي (أردوغان) عندما صرح بقوة قائلًا: يجب على إسرائيل أن تفك الحصار.

هل ترى فضيلتك أن التيارات القومية والإخوان المسلمين قد بذلوا قصارى جهودهم في دعم غزة ورفع الحصار؟

- أعتقد أن كل مخلص في هذا البلد قد بذل جهده. فالطفل الذي يجمع نقودًا في الحصالة والمرأة التي تبيع ذهبها لتتبرع لغزة والرجل الذي يتقد بحيوية ونشاط ليعاون غزة...، لماذا هذه الاعتقالات في صفوف الإخوان المسلمين؟! أمن أجل أنهم يتعاطفون مع غزة ويعاونون الفلسطينيون المحاصرين هناك؟!

أكان على موقفهم؟

- نعم، فلا يزال 320 من قيادات الإخوان معتقلين بسبب مواقفهم في مناصرة غزة. أليس كذلك؟! إن هذا النظام لا يستحي، فيقوم بتصفية الحساب مع الجماعة بسبب مواقفها المشرفة.. ونسأل الله للأمة أن يكشف عنها الغمة قريبًا، أما نحن - كإخوان مسلمين - فالعبء علينا ثقيل، والمطلوب منا كثير، ولن يتحقق الأمل إلا بقوتنا وحبنا وتمسكنا بديننا وبمنهجنا..

فضيلة المرشد.. في ظل ما يحيط بإخواننا في غزة من صعوبات في هذه الأيام، ما رسالتك لهم خاصة بعد تقرير (جولد ستون) وتصويت مجلس حقوق الإنسان بإدانة إسرائيل؟

- (متنهدًا ومتحدثًا بأسى).. هؤلاء الأحباء الذين حال بيني وبينهم هذا النظام الفاسد. وهذا الاستبداد الظالم أقول لهم: اصبروا واصبروا، فقد ضربتم المثل الأعلى في الجهاد والفداء، أنتم جند الله في أرض الرباط، وكل من أعرفه من أبناء مصر والعالم العربي والإسلامي معكم، فاصبروا ولا ترضوا بالدنيّة، واثبتوا على حقوقكم حتى حتى يأذن الله بالنصر وكل أعدائكم إلى نهاية، ولا يبقى إلا الله (عَزَّوَجَلَّ)، ثم الحق الذي تؤمنون به.. هذه رسالتي لهم، وأعتذر إليهم لأني محاصر كحصارهم ولا أستطيع أن أقدم لهم شيئًا أكثر مما يعينني الله عليه)[1].

كما كانت لفضيلته مواقف مشهودة في كثير من قضايا الأمة ومشكلاتها.. مثل:

أزمة دارفور:

وكان من الطبيعي لعجز الحكومات العربية والإسلامية وصمت العالم وتواطئه إزاء الاعتداءات الصهيونية والأمريكية على فلسطين والعراق.. أن يصل قطار العدوان الأمريكي إلى السودان!

(1) حوار: صلاح عبد المقصود: المرشد العام للإخوان المسلمون في حوار شامل للمجتمع (1)، ع 1875، 12 ذوالقعدة 1430هـ - 31/10/2009م، ص 14 - 19.

وقد أصبح السيناريو معادًا ومكررًا بطريقة سخيفة ومملة.. وصارت خطواته معلومة للكافة.. تحرك دبلوماسي غربي ضاغط، يتزامن مع قرار لمجلس الأمن، ثم تتحرك الآلة العسكرية ممتطية ظهر الشرعية الدولية بدعوى حمايتها وسرعة نجدتها للأوضاع الإنسانية المتدهورة!

فقد بدأت الماكينة الإعلامية الغربية في نشر قائمة اتهام للنظام السوداني، بارتكابه جرائم تطهير عرقي في دارفور، وتتابع إرسال نداءات استغاثة للتدخل من جانب الغرب وأمريكا لإنقاذ مضطهدي دارفور!

وكانت تلك مقدمة ضرورية ليتم تحويل السودان لدويلات متقاتلة فيما بينها تطلب كل منها الحماية والدعم الأمريكي، وكل هذا المخطط يسير وفق نظرية إدارة بوش الحالية، وهي قد بدأت باتفاق سلام أعطى الجنوب حرية الانفصال ويجري تعظيم هذا التوجه لدى الجنوبيين، والسعي لتكرار هذا في الغرب في دارفور، وسيليه - إن نجح في دارفور - التدخل في شرق السودان!

ولولا الرفض القوي من جانب السودان والتهديد بقتال هذه القوات الأجنبية لو دخلت دارفور بدون إذن الخرطوم، وبنقل نموذج المقاومة العراقية إلى دارفور، لنجحت خطة التدخل الأمريكية!

أما لماذا دارفور؟ فالسبب له علاقة بثروات السودان النفطية والموقع الجغرافي للسودان عمومًا في منطقة القرن الأفريقى المرشحة لتكون منطقة عمليات أمريكية مثل منطقة الخليج تسمح بالتدخل في العديد من مناطق العالم العربي والأفريقي والإسلامي بسهولة ويسر.

وكان فضيلة الأستاذ (عاكف)، على خط المواجهة مع أهلنا في السودان، يعي مبررات التدخل الأمريكي، وما يدبر في الخفاء للسودان أرضًا وشعبًا وجوارًا:

- تحاول أمريكا إظهار الحكومة السودانية قد فشلت في القيام بواجباتها تجاه مواطنيها السودانيين في إقليم دارفور. ومن ثم تندفع نحو تدويل القضية ونقل ملفها إلى مجلس الأمن الدولي، ووضع الشروط المجحفة التي يصعب إن لم يكن مستحيلاً على الحكومة السودانية أن تحققها في مدة شهر واحد حسب قرار مجلس الأمن، الأمر الذي يهيئ المناخ الدولي للقبول بالتدخل العسكري الأمريكي - أو الموجه أمريكيا في السودان)[1].

- لو لم تكن هناك مشكلة في دارفور لعبثت الأصابع الأمريكية المثيرة للفتن لخلق أكثر من مشكلة للسودان الذي لا يراد لمشروعه الإسلامي أن يكتمل، ولا يراد له أن يكون همزة الوصل بين العرب والأفارقة لا قنطرة عبور الإسلام إلى مناطق غير المسلمين في مختلف أنحاء القارة السمراء، ولا أن يكون سلة غذاء للعالم العربي تغنيه عن الاعتماد على القمح الأمريكي والزبد الأوربي.

ولو لم تكن هناك مشكلة دارفور لعبثت الأصابع الأمريكية والصهيونية لخلق أكثر من مشكلة لضرب العمق الاستراتيجي لمصر، وتعريض أمنها القومي للخطر والتعرض لمنابع النيل شريان الحياة لمصر، وتهديد مختلف دول الجوار العربية المحيطة بالسودان، وتوجيه رسالة للجميع بأنه ليست هناك دولة في المنطقة بمنأى عن عبث الأصابع الأمريكية الصهيونية).

ودعا عاكف الحكومات العربية عدم ترك السودان وحيدًا يواجه مصيره، وما يدبر له من جيوش الغرب، وذئاب التنصير الآتية في ركابهم، قائلاً: (أدعو الحكومات العربية والإسلامية إلى دعم الموقف السوداني بكل أوجه الدعم الممكنة ماديًا ومعنويًا، وعلى وجه الخصوص تقديم الدعم الإغاثة والإنساني

(1) حوار: سلوى عبد المعبود، مجلة (المختار الإسلامي) ع 265، س 26، 15/10/ 2004م.

بمختلف إشكاله بما يقوى الموقف السوداني، وعدم ترك الساحة مكشوفة أمام بعثات التنصير الأجنبية التي تحركها المخططات الاستعمارية، ويرحب الإخوان في هذا الصدد بالتحرك الإغاثة المصري ويطلبون زيادته).

ولا يكف أو يمل من توجيه النصح لكافة قوى المجتمع السوداني، الوحدة والتكاتف لأنكم جميعًا أمام فوهة مدفع واحد، وإلا فالأندلس قديمًا والعراق حديثًا خير مثل، ناصحًا (**أدعو مختلف فصائل وقوى المجتمع السوداني إلى التكاتف والتلاحم، وعدم السماح باختراق الجبهة السودانية الداخلية، وأن تتحرك قوى الإصلاح والمصالحة لرأب الصدع والتقريب بين وجهات النظر، كما أدعو القوى المتحاربة إلى أن تتقي الله في دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم. وأن تحتكم إلى كتاب الله (عَزَّوَجَلَّ) وسنة نبيه (ﷺ). وأن تنتبه لما يحاك من خلالها ضد السودان من مؤامرات قبل أن يفرض عليها الاحتكام إلى شريعة بوش التي لا ترعى في المسلمين إلًّا ولا ذمّة.**

ولعل أحد الدروس التي يجب أن نستوعبها من أحداث دارفور: أن انفكاك اللحمة بين الشعوب والحكومات، وغياب التنمية وانعدام الخدمات تكون له آثار سلبية خطيرة تهدد وحدة المجتمعات وتوشك أن تصيبها بالتفكك).

وبرغم اتفاقيات **السلام** التي تعقد ولا يلتزم بها الطرف الأقوى، وتأتي غالبًا على حساب الأضعف، فإن عاكف لا يهمه إلا حقن دماء **السودانيين**، آملًا:

(**ما يهمنا هو حقن الدماء، وأن يعيش السودانيون في سلام فيما بينهم. والتدخل الأمريكي في شؤون السودان بدءًا منذ ظهور البترول، فهي تدخلات مغرضة للقضاء على أي بادرة إصلاح أو بادرة خير في هذا البلد الكبير، (هذا العدو الخارجي هو سبب كل الأزمات)**[1].

(1) حوار: سلوى عبد المعبود، مجلة (المختار الإسلامي) ع272، س 27، 5/ 2005م.

العنصرية الأمريكية والغربية:

كان الاستعمار (الأنجلو أميركي) الفاعل الأصلي ضد العرب والمسلمين، ذلك الاستعمار هو الذي حاول أن يمنح سيناء للحركة الصهيونية تنشئ فيها وطنها القومي في مطلع القرن العشرين، ولولا أن الحركة الصهيونية تمسكت بفلسطين لنجحت المحاولة الآثمة. وذلك الاستعمار هو الذي أعطى وعد بلفور سنة 1917م.

وذلك الاستعمار هو الذي هيّأ للحركة الصهيونية منذ سنة 1917م، وحتى سنة 1947م نقط الارتكاز التي أقامت عليها وجودها في فلسطين، وكان ذلك - طوال هذه الثلاثين سنة - في حماية الانتداب البيرطاني. وعندما أنهك الاستعمار التقليدي (إنجلترا - فرنسا) في الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945م) تقدمت الولايات المتحدة لدور القيادة للاستعمار الجديد، وكانت هي التي استحوذت على نصيب الأسد في موارد البترول في شبه الجزيرة العربية وفي شمال أفريقيا.

وذلك الاستعمار هو الذي وضع على الأرض مشروع تقسيم فلسطين سنة 1947م.

وذلك الاستعمار هو الذي مكن إسرائيل سنة 1948م من احتلال أكثر مما كان مرسومًا لها بمقتضى قرار التقسيم.

ومنذ أن أعلن المندوب الأميركي في مجلس الأمن (**إن إسرائيل وجدت لتبقى!**)، ومواقف الإدارة الأمريكية تتسم بالانحياز والدعم والتأييد للصهاينة على كل الأصعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية، تمكينًا للمشروع الصهيوني السرطاني على أرض فلسطين المقدسة.

وعلى الجانب الآخر، تحاول الإدارة الأمريكية بكل الوسائل من أجل إبقاء مصر ضعيفة باستمرار، وامتصاص طاقاتها كلما لاحت فرصة؛ ذلك لأن وجود

مصر قوية خطر على الاثنين؛ النظام الاستعماري بقيادة أمريكا وإسرائيل، وهذا البلد له قوة جذب معينة بالنسبة لمنطقة واسعة تحيط به، وهو حين يستيقظ تستيقظ معه، وحين ينام فإن الليل ينزل عليها كثيفًا دامسًا.

من هنا، فإن الذي يريد أن يسيطر على المنطقة لا بد أن يبدأ بواسطة العقد (مصر)، يضربها أو يعزلها أو يقيد حركتها بالأغلال!

وفي فترة تولي أستاذنا عاكف مهام منصبه مرشدًا عامًا للجماعة (2004 - 2010م)، عاصر إدارتي (**بوش - أوباما**). وكان لا يأمل من الاثنين خيرًا على الدوام!

وتركت إدارة بوش العراق الذي زعموا أنهم قاموا بتحريره وتعميره مدمرًا، بل إن الخطط التي روّجوا لها لإعادة إعماره، ثبت فسادها والتلاعب في ميزانياتها، فقد كشف تقرير حكومي عن إهدار مئة مليار دولار من الميزانية المخصصة للإعمار، تم توزيع جانب كبير منها على زعماء عشائر وسياسيين عراقيين وشركات أمريكية!

والشعب العراقي يقاسي الويلات على أيدي محرريه!.. شعب شُرِّدَ وقُتلَ منه أكثر من أربعة ملايين، ويقبع مئات الآلاف من أبنائه خلف الأسوار...، وليس الوضع في أفغانستان والصومال بأقل سوءًا من العراق.

وبتسلم (أوباما) مهام منصبه خلفًا لـ (بوش)، انتظر الكثيرون تغييرًا واسعًا للسياسة الأمريكية حول العالم، تلك السياسة التي كان حصادها وبالًا على شعوب عديدة في العالم، خاصة العالم الإسلامي.. وكان حصادها مرًا على الشعب الأمريكي أيضًا.

وثبت بعد مرور الأيام، بأن الإدارة الجديدة، الجديد فيها هي الأسماء، أما السياسات فهي كما هي: سياسات الكيل بمكيالين وازدواجية المعايير لصالح الكيان الصهيوني وضد مصالح العرب والمسلمين!

وأصبحت الولايات المتحدة في عهد (أوباما)، كما في عهد (بوش) تتصرف وكأن مفاتيح العالم بيدها تعطيها لمن تشاء، وكأن الأرض الفلسطينية ليس لها صاحب، وكأن الطرف الأمريكي يملك الحق في أن يمنح أو يمنع هذه الأراضي، وكأن من حق الكيان الصهيوني الاستيلاء، كما يشاء ومتى يشاء على هذه الأراضي، بينما يتواصل تدفق الدعم الأمريكي بكافة أشكاله على إسرائيل بلا حدود!

وبعد 11 سبتمبر أصبحت التطورات الدولية متلاحقة وسريعة جراء سيطرة القطب الأمريكي الأوحد، وبالتالي زادت ضراوة الأخطار المحيطة بالدعوة الإسلامية في كافة بقاع العالم، وكان لأستاذنا عاكف رؤية مبصرة لأهداف المشروع الأمريكي في المنطقة، قائلًا: "من نافلة القول التذكير بأن الإدارة الأمريكية حريصة على أن تظل القطب الأوحد في عالمنا المعاصر، وألا تدع الفرصة لغيرها أن يزاحمها أو أن يلحق بها، الإدارة الأمريكية حريصة أيضًا على بسط نفوذها وسيطرتها على العالم.. ولقد انتهزت الفرصة عقب 11 سبتمبر لكي تدهس القانون الدولي والشرعية الدولية، وتقوم بترسيخ مبدأ أن من يمتلك القوة يمتلك الشرعية، وتحت زعم مكافحة الإرهاب، وحماية حقوق الإنسان والتبشير بالديمقراطية، حملت الإدارة الأمريكية آلتها العسكرية الباطشة وغزت أفغانستان، واحتلت العراق، وأقامت قواعد عسكرية في أنحاء مختلفة من العالم العربي والإسلامي، وسيطرت على منابع البترول...، يسعى المشروع الأمريكي لتركيع الأمة العربية والإسلامية، وتوهين عقيدتها وسلخها من هويتها وخصوصيتها الثقافية، وإعادة رسم خريطة المنطقة من جديد..، وفي مواجهة ذلك كله لا نجد - للأسف - سوى العجز والشلل والتشرذم العربي، وهو ما يدفع إلى مزيد من توغّل واستقواء المشروعين الأمريكي والصهيوني)[1].

(1) حوار: أحمد عز الدين، مجلة (المجتمع)، ع 1586، 24/1/2004م، ص38 - 40.

وفي عام الحسم (2005م)، تلاحقت الأحداث ما بين مظاهرات الإصلاح السياسي، وانتخابات مبارك، والانتخابات البرلمانية.. وبدا أن مصر بدأت تتحرك من آثار رقاد طويل، وتلاحقت الوفود الغربية تستطلع، ما الذي يحدث؟!

ومع عجز المحللين السياسيين عن سبر غور الحراك الإخواني في الشارع إلا أن يعزوه إلى أسباب أجنبية غير وطنية ألا وهو وجود صفقة بين الإخوان وأمريكا لضمان المصالح الغربية والعلاقات مع العدو الصهيوني، فكان رد أستاذنا: (**ليس بيننا وبين أحد صفقات. نحن نحمل دينا ونحمل دعوة ونحمل رسالة، وكلمة صفقات هذه تكون بين الناس الذين لا يملكون منهجًا ولا رؤية حالية أو مستقبلية، فنحن أصحاب منهج، ونحمل رؤية يعرفها كل الناس تعرفها أمريكا ويعرفها النظام، وأنا أستبعد مثل هذا الأمر**).

وظل الجميع يتخبطون في فهم الحراك الإخواني وسَبْرِ أَغْوَارِه حتى بعد عمومها وانتشارها، وكان على رأسهم رئيس الوزراء أحمد نظيف، الذي صرح لرؤساء الصحف القومية: بأن الإخوان فهموا رسالة "كونداليزا رايس" خطأ، والأمريكان فهموا واستوعبوا موقف الإخوان!.. فرد أستاذنا على الفور: "**أنا لا أعير اهتمامًا لكلام رايس، ولا أعير اهتمامًا لكلام رئيس الوزراء؛ لأنني صاحب رسالة واضحة ولذا أعلنتها، لا قيمة عندي لما قاله بوش أو غيره أو ما يقوله رئيس الوزراء المصري**"!

وظنّ البعض أن غاية أمريكا البعيدة من الحوار مع الإخوان بأن تصل إلى نموذج مصري على شاكلة النموذج التركي!.. فرد أستاذنا موضحًا: (**أمريكا تقول ما تشاء ودع الواقع يفرض ما يريد، نحن واقع موجود، فكونهم يبحثون عن أفراد. فلهم ذلك. وكيف يبحثون عن أفراد في جماعة منهجها الشورى، ولا يمكن لأي أخ من الإخوان أن ينفرد بشيء وحده سواء بالتفاوض أو بالرفض، نحن نصدر عن رأي نتيجة الشورى..**)[1].

(1) حوار: جمال نصار، المجتمع تحاور عاكف حول أحداث الساعة، مجلة (المجتمع)، ع 1652، 13 ربيع الآخر 1426هـ، 21/5/2005م، ص18 - 21.

وحدّد الأستاذ عاكف ضوابط الحوار مع مؤسسات المجتمع المدني بكافة أشكالها ومع الحكومات.. وما الخيط الرفيع الذي يفصل بينهما منعًا لسوء الظن مع الحكومات المعنية، ويقول أستاذنا: "**نحن نتحاور مع كل الدنيا، مراكزها وفضائياتها ومفكريها، ولكن حينما نتحاور مع حكومة، فإنه احترامًا لبلدنا واحترامًا لمؤسساتنا الوطنية لا نتحاور مع الحكومات إلا عن طريق وزارة الخارجية المصرية، موقفنا هذا موقف ثابت نعتبره اعتزازًا منا ببلدنا ووطننا، ولا نسمح لأحد بأي حال من الأحوال أن ينقص من قدرة هذا الوطن ومن احترامنا لهذا الوطن**".

وتعلّل البعض بأن أمريكا والغرب هم الذين يديرون العالم في جزء كبير منه، فحتمًا الحوار معهم ضرورة سياسية!.. فلما الخوف من الحوار معهم مع ضرورة توخي الحذر وعدم الغفلة من الوقوع في حبائلهم ومخططاتهم، وإزاء هذا المنطق السديد، تكلم أستاذنا: "**يا أخي الكريم.. نحن نعلم جيدًا أن أمريكا بخطتها وبقوتها وبقدرتها تريد أن تسيطر على العالم بمنهجها الفاسد وبعقليتها المتسلطة، لا لشيء إلا لمصلحتها، ولذلك أنا قلت لبوش حينما ادعى أنه رجل دين: من هو ربه الذي يدعوه إلى القتل والتدمير، ويدعوه إلى هذا الأسلوب المرفوض في الحكم، والميزان بميزانين؟ فأمريكا لا تبغي إلا مصلحتها ولا تبغي للإسلام والمسلمين إلا كل شر، ونحن نتعامل معها بحساب دقيق ونعلم قوتها جيدًا، ولكن في نفس الوقت نعلم أن الله (سبحانه وتعالى) أقوى منها، وأنه ناصر الحق مهما كان ضعيفًا، وتلك الأيام نداولها بين الناس.. هذا إيماننا العميق بنصر الله (عز وجل)**"[1].

وهكذا أزال أستاذنا الغمام عن حديث (الصفقات) والحوار بين الإخوان وأمريكا والغرب، مؤكدًا على عدد من الثوابت التي لا يحيد عنها رغم ضراوة النظام في العداء واللدد في الخصومة، وهي:

(1) نفس المصدر.

- لا حوار مع الحكومات الأجنبية إلا عن طريق وزارة الخارجية المصرية احترامًا لبلدنا ومؤسساتنا الوطنية.

- حديث الصفقات مرفوض؛ لأننا أصحاب منهج ورؤية يعرفها كل الناس، وهذا أمر مستبعد.

وجاءت زيارة لجنة (الحريات الدينية)، التي يترأسها الصهيوني المتعصب (جايرز)، مستفزة، فقد التقى بممثلين عن الشواذ والبهائيين وشهود يهوه وغيرهم ممن اعتبرهم أقليات دينية تعاني الاضطهاد!

وكان هذا الاستهلال السيئ للجنة، وتوقيت الزيارة المرتبط بجرائم متصاعدة للإدارة الأمريكية ضد العرب والمسلمين، والغريب، بل والعجيب، أن ترفع الإدارة الأمريكية الملطخة بدماء الأبرياء في كل مكان، راية الدفاع عن الحريات الدينية، ورد أستاذنا متعجبًا: (**العجيب أن الإدارة الأمريكية التي ارتكبت كل هذه الجرائم ضد المسلمين هي أكثر من يتحدث عن الحريات الدينية. وهو حديث يتمنى الحالمون والمثاليون لو كان حديثًا صادقًا، فعالمنا اليوم في مسيس الحاجة إلى الحرية والتسامح، ولكن الحقيقة الثقيلة الوطأة أن قضية الحريات الدينية أصبحت في يد الإدارة الأمريكية ورقة ضغط سياسية ضد من لا يسبحون في تيار أهدافها وسياساتها، وسيفًا مسلطًا على رقاب من يخالفها، ووسيلة للتدخل في شؤون الدول الأخرى تدخلاً سافرًا ممجوجًا باسم الحرص على الحرية الإنسانية في عصر العولمة الأمريكية**)[1]..

وأثارت زيارة اللجنة في توقيتها المريب ونوعية اللقاءات التي أجرتها مع أفراد ومنظمات مشبوهة حفيظة الكثيرين، منهم: الأزهر الشريف، والكنيسة المصرية، ومعظم الأحزاب المصرية، وكان من بينهم أستاذنا عاكف الذي

(1) حوار: حسين عاشور، مجلة المختار الإسلامي، ع 262، س 25، غرة جمادى الآخرة 1425هـ - 8/2004م.

علّق قائلًا: "لقد جاءت زيارة هذه اللجنة إلى مصر في وقت يشعر فيه المسلمين بالمهانة والظلم من العدوان الأمريكي على أفغانستان والعراق، والدعم الأمريكي المطلق للكيان الصهيوني في عدوانه على فلسطين، وقد أوضحت هذه السياسات الجائرة مدى تدني مفهوم حرية الإنسان غير الأمريكي - وخاصة المسلم - لدى الإدارة الأمريكية ومدى حقدها على الإسلام والمسلمين..، فقد رفض الإخوان المسلمون زيارة وفد اللجنة لمصر، ورفضوا مقابلتها، وكذلك فعلت رئاسة الكنيسة المصرية ولفيف من قيادات العمل السياسي بمصر"[1].

قضية الحرية الدينية في مصر والعالم الإسلامي حق يراد به باطل!.. لافتة ترفعها منظمات مشبوهة لأغراض معينة لاختراق عالمنا العربي مستغلة اللبنات الضعيفة في مجتمعاتنا، وتنبه أستاذنا لهذه المكائد شارحًا أغراضهم وما يبيتون في السر والعلن، قائلًا: "إننا نرى أن قضية الحرية الدينية بمصر والعالم الإسلامي جزء من قضايانا الداخلية التي ينبغي الحرص الشديد في تناولها على نحو لا يوحي بالمتاجرة بها لأغراض سياسية..، ونحن بلا شك ضد استخدام ورقة الحريات الدينية لتفتيت الوحدة الوطنية المتلاحمة بين أبناء شعبنا على اختلاف أديانهم..، ومن مجمل ما نشر عن زيارة اللجنة لمصر، نستطيع أن نقول إن اللجنة تريد أن تأخذ لأيديها ملف الحريات الدينية والأقليات الدينية بمصر، وتدير شؤونه، فتضع التشريعات وتعدل الدستور وتشكل الهيئات.. لينعم الجميع بالحرية الأمريكية المزعومة التي ينعم بها أهلونا في العراق وأفغانستان وفلسطين والمعتقلون في جوانتانامو، والبائسون في دارفور"[2]!!

لم يكتف أستاذنا بالحديث الصحفي، بل أطلق قذيفة مدوية في وجه العالم أجمع، لم يستثنِ أحدًا، حاكمًا أو محكومًا، عرب أو عجم (كل العالم في قفص الاتهام)،

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) المصدر السابق نفسه.

يقول: "يقف العالم كله اليوم في قفص الاتهام منكس الرأس.. موصومًا بكل تهم الجبن والشلل والعجز، فقد تحوّلت كل الحواس لديه إلى جماد شعاره (لا أسمع.. لا أرى.. لا أتكلم)، وتتعالى صرخات الثكالى وأنّات المعذبين مدوية لا تجد إلا رجع الصدى مجيبًا.. بينما تخرس الوجوه.. صمت يائس، وملامح ميئوس منها!

أليس من المضحك المبكي أن يسعى الإنسان لبناء محميات للحيوانات خوفًا عليها من الانقراض، بينما يترك الإنسان الفلسطيني يدفن تحت أنقاض بيته بأيد صهيونية متوحشة تناصب الإنسانية العداء؟

وأليس من التناقض الغريب والعجيب أن يضن العالم على إنسان العراق بنظرة إشفاق تنتشله من براثن سادية الاحتلال، بينما الجنود الإنجليز يحوّلون إلى محاكمة لأنهم يعذبون (هرًا) في أحد المعسكرات؟!!

ولماذا لا يشمل قانون الإنسانية الأفغان ببعض عباراته المنمقة التي لا تنطلق إلا عبر الردهات المكيفة لتكون لهم أملًا في مواجهة حياة الجليد التي لا يدفئها إلا حرائق الدانات الأمريكية قبل أن تحملهم من أتون التحرير إلى برد الآخرة؟!

إن الواقع الإنسانى الذي ترتسم ملامحه الجديدة على رقاع من جلود الهنود الحمر بمداد جديد دواته أوردة بشرية فلسطينية وعراقية وأفغانية وكلها مختومة بنجوم أمريكية، هذا الواقع ينذر البشرية كلها باقتراب شريعة الغاب من كل صامت وخائف وخانع وجبان أو متواطئ.. وساعتها ستدور عجلة البغي على الجميع، ولن ترحم من صفق أو صمت؛ لأن قناعة الوحوش لا يشبعها إلا تمكنهم من كل الغابة.

أما عالمنا العربي والإسلامي، فالتهمة في حقّه مصيبة.. ومصيبته عاجلة وآجلة.. إفراط وتفريط ومذلّة في الدنيا وحساب على التقصير في الآخرة..."[1].

(1) محمد مهدي عاكف: كل العالم في قفص الاتهام، مجلة (المجتمع)، ع 1612، 14 جمادى الآخرة 1425هـ، 31/7/2004م، ص32 - 33.

وفي النهاية وجه عاكف إنذارًا للجنة الحريات الدينية بالرحيل من مصر فورًا: (لأن مصر حكومة وشعبًا، أحزابًا وجماعات، لا تقبل بتفتيش يبتز إرادتها، أو يتدخل في صياغة علاقاتها، أو يسعى للوقيعة بيين أنسجة بدنها.. إيمانًا بوعد الله لوطننا بالأمن، حين قال ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (يوسف: 99) [1].

الوحدة مع الجماعات الإسلامية:

وجهود التقارب بين الجماعات الإسلامية المختلفة أولوية في عقل وفكر أستاذنا عاكف؛ لأن حجم التحديات الهائلة التي تواجه عالمنا الإسلامي أكبر من أن تواجه جماعة بمفردها.. ومثلما أتحد الشرق والغرب رغم فوارق اللغة والدين والمذاهب لمواجهة الصحوة الإسلامية، والالتفاف على العالم الإسلامي، فكيف نواجههم شراذم مبعثرة متفرقة متقاتلة فيما بينها؟!

هذا ما التفت إليه أستاذنا في مؤتمر الجماعة الإسلامية الباكستانية (24-2008/10/26م)، الذي حفل بمشاركات العديد من قادة الفكر والعمل الإسلامي من مختلف أنحاء العالم، وطرحت فيه قضايا العالم الإسلامي..، وقال المرشد العالم للإخوان المسلمين (محمد مهدي عاكف)، في كلمته: "**لقد تزامن بروز كبرى الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي مع الهجمة الشرسة لإسقاط الخلافة الإسلامية، حيث قامت جماعة (النور) في تركيا يتقدمها الشيخ بديع الزمان النورسي).. وجماعة الإخوان المسلمين ومؤسسها الإمام الشهيد (حسن البنا) في العالم العربي والإسلامي.. والجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية التي أسّسها الشيخ (أبو الأعلى المودودي) وغيرها.. والتي قامت على التمسك بميراث الخلافة الإسلامية (المذبوحة)، وحافظت على ثوابت الإسلام وأصوله، وكافحت ونافحت وجاهدت وضحّت، وصبرت حتى استقامت الدعوة الإسلامية على عودها.**

(1) نفس المصدر.

ولعله من اللافت للنظر أن العام (1928م) الذي بدأ فيه الإمام (حسن البنا) وجماعة الإخوان المسلمين في مصر والعالم الإسلامي الدعوة والجهاد، وهو نفس العام الذي أطلق فيه الإمام المودودي رسالته الشهيرة الرائعة (الجهاد في سبيل الله)، تلك الرسالة التي كان يوصي المفكر والمنظر (محمد إقبال) بقراءتها ودراستها، وهي ذات الرسالة التي أعجب بها الإمام الشهيد حسن البنا، وما زالت جزءًا يدرس للإخوان مع ميراثه، بما يعكس وحدة الفكر والحركة بين الهيئتين في (مصر) و(باكستان).

ولعلي أذكر في هذا المقام قول العلامة الدكتور (يوسف القرضاوي) حين قال في بلادكم من قبل: (إنكم الإخوان المسلمون في شبه القارة الهندية، ونحن الجماعة الإسلامية في البلاد في البلاد العربية)، وذلك تأكيدًا لما رآه فضيلته من توافق في الأصول الكلية والأهداف النهائية لدى كليهما.

لقد اتفق الإمامان (البنا) و(المودودي) على الأصول الكلية التي تشمل:

أولا: شمولية الإسلام (دينًا ودولة.. عقيدة وشريعة).

ثانيًا: أن الكتاب والسنة هما معًا مصدر كل مسلم في التعرف على أحكام دينه، وأنهما مصدر الاحتجاج والاستناد في كل شأن من شؤون الحياة.

ثالثًا: في الوسطية والاعتدال والجمع بين الأصالة والمعاصرة.

رابعًا: في نهج الطرق الدستورية والقانونية والدعوة السلمية في الإصلاح الذي ننشده.. والسعي إلى كسب الرأي العام للتغيير الذي نريده.

كما اتتفق الإمامان (البنا) و(المودودي) على منهجية التربية والتدرج كنهج قويم للسعي إلى سيادة الإسلام وسموه، وتطبيق شريعته وأحكامه: فلا سبيل إلا

بالفرد المسلم، والبيت المسلم، والمجتمع المسلم، وإصلاح الحكومة، وتحرير الأقطار الإسلامية من كل سلطان أجنبي سياسي أو اقتصادي أو ثقافي أو اجتماعي أو عسكري، وصولًا لإعادة الكيان الدولي للأمة المسلمة.

وواجه الإمامان (البنا) و(المودودي) عدوًا واحدًا تمثل في:

أولا: سيطرة وتحكم الحضارة الغربية بكل مقوماتها بمقدرات أمتنا.

ثانيًا: تسلط وتحكم قيادات تحمل أفكارًا تتعارض مع الفكر الإسلامي وقوابته ومرجعيته، وتسعى بشتى الطرق لإقصائه.

ثالثًا: دعاة الفرقة القومية والسياسية والطائفية.

رابعًا: الاضطهاد والإقصاء والمطاردة والاعتداءات والسجون والمعتقلات وما شابه.

وحقق كلٌ من الإمامين (البنا) و(المودودي) انتشارًا لدعوتهما، ورسوخًا لمنهجهما الوسطي الاعتدالي، ونجاحًا لمشروعهما الإصلاحي.. ورغم ذهاب الرجلين إلا أن دعوتهما لن تزول بإذن الله؛ لأنها ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ...﴾ (إبراهيم: 24 - 25)[1].

(1) لاهور: شعبان عبد الرحمن: قضايا العالم الإسلامي على مائدة مؤتمر الجماعة الإسلامية الباكستنية، مجلة (المجتمع)، ع 1826 - 10 ذي القعدة، 1429هـ، 8/11/2008م، ص 28 - 29.

فـي مواجهـــة الطـــاغوت

كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل إبّان مواجهة النظام الناصري للجماعة أعوام 1965 و1966م، في معرض تحليله للقوى السياسية: (**الإخوان المسلمون يشكلون لغمًا كامنًا تحت سطح الحياة السياسية المصرية**)[1]!

هل هذه المقولة صحيحة؟ أم جانبها الصواب.. وهل الرؤية التاريخية لمسار الأحداث تدعم هذه المقولة؟ أم أنها تعبير مجازي اشتهر به هيكل؟!

هذا ما سوف نطالعه بمراجعة، تطورات معركة الإخوان المسلمون بقيادة عاكف ضد نظام مبارك.

عندما تولى الأستاذ عاكف مرشدًا عامًا للجماعة في يناير 2004م، كانت - كما وصفها وبحق الدكتور عصام العريان - (**مرشد جديد ومرحلة حاسمة!**)[2]، أو يمكن القول: (**الجماعة قبل عاكف.. والجماعة بعد عاكف**)[3]!

ففي عصره شهدت مصر والعالمان العربي والإسلامي تطورات كبيرة بعد 11 سبتمبر، وغزو أمريكا للعراق وأفغانستان (2001 - 2003م)، والضغوط الكبيرة التي تعرض لها النظام المصري من جانب أمريكا والغرب للتراجع خطوات عن ممارساته الدكتاتورية المجافية لروح العصر والعالم الجديد.

ومع توليه مهام المسؤولية عن الجماعة، بدأ عاكف يدير دفة التغيير، فلم يكن رهن إشارة أحد من القوى الكبرى التي تريد تغييرًا يصب في مصلحتها وبأيدي رجالها ووكلائها!

---

(1) محمد حسنين هيكل: نحن وأمريكا، ج (الأهرام)، 9/4/1967م، ص 3.

(2) مجلة المختار الإسلامي، 1/1/2006م، ص 28.

(3) المصدر السابق نفسه.

فكانت مظاهرات الإصلاح السياسي والدستوري التي لم ترَ لها مصر مثيلًا منذ مظاهرات الخبز عام 1977م، وجاء رد النظام عنيفًا، وممعنًا في القسوة، لتخطي الإخوان الخطوط الحمر، فأكثر ما يزعج النظام مسألة التظاهر والخروج للشارع والالتحام بالجماهير، فقد اعتقل ما يقرب من خمسة آلاف من الإخوان، مظاهرات الإصلاح في مارس 2005م (3000 معتقل) وانتخابات برلمان نوفمبر 2005م (2000 معتقل).

فجاء الرد من عاكف أشد قسوة وأكثر جرأة، قائلًا: (**لن نتنازل عن الإصلاح ومستعد لدخول السجن!**)، طارحًا اللغة الدبلوماسية الناعمة التي كانت تواجه الجماعة به النظام، ومتحديًا: (**الشعوب باقية، والنظم تنتهي، والإخوان باقون رغم الاضطهاد الذي يتعرضون له منذ أكثر من 50 عامًا؛ لأنها جماعة تقوم على قيم ومبادئ ولن تغير استراتيجياتها!**)، وأضاف فضيلته: (**هناك من يدفعنا للاصطدام بالحكومة وهذا أمر مستحيل، وأقول للنظام إننا جميعًا سوف نقف أمام الله وسوف يسألنا عما فعلنا**).

ألا يساورك قلق من استهدافك بالاعتقال؟!

"ولا حتى بالموت!، الله (سبحانه وتعالى) بيده الأمر من قبل ومن بعد، كل مهمتي أن أعلن الحق الذي يرضي ربي لا أفكر بعد ذلك ما سيحدث.

الاعتقال، السجن، القتل.. هذا كله لا يهمني، وهذا مبدئي ومبدأ الإخوان جميعًا، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يضرونني بشيء ما استطاعوا إلا بمشيئة الله، هذا الإيمان العميق برب العزة يجعلني دائمًا أقول الحق الذي يرضيه بغض النظر عما إذا كان يرضي فلانًا أو علّانًا، يرضي النظام أو الرئيس الأمريكي بوش أو غيره، هذا ليس في حسابي"[1].

(1) ج (الدستور)، 20/6/2006م.

وجاء الرد سريعًا، هذه المرة بعد نجاح (88) عضوًا في الانتخابات البرلمانية، وأعقبها فوز حماس في قطاع غزة، والتي يعتبرها النظام الذراع الإخواني في فلسطين.. فمنع المجلس الأعلى للصحافة طبع صحيفة (آفاق عربية)، الأداة الإعلامية للجماعة، والتي نجحت في توضيح أفكار الإخوان ورؤاهم خلال الانتخابات البرلمانية.

وفي السياق الإعلامي، جرى (فبركة) حديث لفضيلة المرشد، وتعمدت "روزاليوسف" عدم الدقة في النقل، واستنتاج ما لم يَقُلْه.. فعلت ذلك من قبل كثيرًا.. وهي الآن تكرر نفس الشيء.

فالحوار كان لصحيفة (الكرامة)، ولم يكن لـ"روزاليوسف"، ولكن المحاور باعه بشكل أو بآخر دون الرجوع للمصدر ولا بسؤاله!.. ثم باعه مرة ثانية للتلفزيون المصري الذي أذاع مقاطع مجتزئة من الحوار على طريقة (ولا تقربوا الصلاة!).

وسنعرض بعض النقاط التي جرى فيها التجاوز والخلط المتعمد ليجري إبرازها في "المانشتات" العريضة:

(**المحاور: لو أن الذي يحتل فلسطين مسلمون من آسيا وليسوا يهودًا، فما هو موقفكم؟**

- مفيش حاجة اسمها مسلمون يحتلون مسلمين؟!

م: الأتراك احتلوا مصر؟

- لا لم يكن احتلالاً.

م: لماذا لم يكن احتلالاً؟

- أنت تزور التاريخ، وسأحكي لك الحكاية، ياريت مسلمو ماليزيا يحكموا مصر، والأتراك لم يكونوا احتلالاً، فاسمها دولة الخلافة، وكونها دولة فاسدة (في بعض أوقاتها) فهذا ليس معناه بأنها احتلال، لو خليفة من ماليزيا

حكم مصر لا يكون محتلاً، المسلمون لا يحتلون بعضهم البعض؛ لأن يدهم واحدة في العالم كله.

م: أنا لا أعرفه حتى يحكمني؟

- المسلمون أمة واحدة ليس ماليزي ومصري وسعودي.. إنهم أمة واحدة، ولكن العقلية الاستبدادية الاستعمارية الواردة قسّمتهم، الخلافة كانت تحكم كل العالم الإسلامي. وكل مسلم لم يكن مكتوبًا في بطاقته عربي أو غير عربي، ولكن مسلم، فالجنسية هي الإسلام.

م: أنا شخصيًا مختلف مع سيادتك: أنا اللي يحكمني مصري.

- يا حبيبي (طظ في مصر) واللي في مصر)[1]!!

وإذا كان هناك عتب على اللفظ، وهو في محله، فإن الأمر لا يستحق هذه الضجّة المفتعلة؛ لأن الكلمة جاءت في معرض أن مصلحة الأمة الإسلامية أكبر من مصلحة الأقطار.. سواء كانت مصر أو غيرها، والإسلام فوق الاعتبارات القطرية..، وإذا كان هناك بعض من تأثروا بالعقلية الاستبدادية الاستعمارية الواردة كما سمّاها المرشد، وهم يفضلون أن يحكمهم ملحد مصري على أن يحكمهم مسلم ماليزي..!!

ولله در شيخنا الفاضل الدكتور (محمد عباس)، عندما علّق على (الزيطة) التي طبّل وزمّر لها هؤلاء، قائلًا: (.. **لو أن المرشد قال: طظ في الخلافة الإسلامية (لرحّبوا بكلمة طظ في هذا السياق، ولهتفوا بحياة فضيلته!)**.. إنهم لا يعترضون على (**طظ**)، وإنما يعترضون على الخلافة، وليس الخلافة كمسمى، وإنما كمهمة، إنما يعترضون على الوحدة الإسلامية تحت أي مسمى، كما أنهم ككلاب الصيد للمستعمر لا يخافون سلبيات الخلافة الناهضة، بل يخافون إيجابياتها)[2]!

---

(1) ج (روزا اليوسف)، 9/4/2006م، ص1.

(2) مجلة المختار الإسلامي، ع 284، س 27، غرة ربيع الآخر 1427هـ - 29/4/2006م، ص: 1-6.

أزمــة نــادي القضــاة

واشتعلت أزمة نادي القضاة مع الحكومة المصرية عقب تأجيل نظر المحاكمة التأديبية للقاضيين هشام البسطويسي ومحمود مكي. والتي تحمل كثيرًا من المخاوف لدى الأوساط السياسية والقضائية في مصر من احتمال عزلهما من العمل القضائي، بما يمهد لمذبحة جديدة - على غرار مذبحة 1969م - واتسمت المواجهات الحكومية بالعنف الزائد عن الحد، واعتقال مناصري القضاة ومنع المظاهرات بالقوة، والاعتداء على المتظاهرين بطريقة وحشية، وتم اعتقال عدد منهم بتهمة إهانة رئيس الجمهورية!

وأكد بيان الأستاذ عاكف الذي أوضح موقف الجماعة الرافض لممارسات السلطات المصرية قائلًا: (**لا تزال السلطات المصرية تسير على نهجها الاستبدادي في التعامل مع القوى السياسية التي تنادي بالإصلاح الشامل في مصر، وكان آخرها حملة الاعتقالات والخطف والتنكيل والسحل التي تعرض لها المتضامنون مع القضاة يوم الخميس 2006/5/11م؛ إذ قامت قوات الأمن بنشر أكثر من 20 ألفًا من أفراد الأمن المركزي المدعمين بالعصي الكهربائية والهراوات وتحويل المنطقة المحيطة بنادي القضاء ودار القضاء العالي وما حولها إلى ثكنة عسكرية وقطع الطريق ومنع مرور السيارات والأفراد**)[1].

وأكد عاكف: (**إن موقف الإخوان واضح تمامًا خلف القضاة الذين يمثلون صمام الأمان الحقيقي في المجتمع المصري، وضرورة حفظ استقلالهم**)[2].

---

(1) محمد جمال عرفة: القمع في مواجهة قضاة الإصلاح/ مجلة (المجتمع) - 22 ربيع الآخر 1427م - 2006/5/20م - ص24 - 25.

(2) نفس المصدر.

ولكن جاء قرار النيابة صادمًا في 2006/6/15م بتجديد حبس (40) من الإخوان المسلمين، بينهم د. محمد مرسي ود. عصام العريان على خلفية مظاهرات القضاة.

وقبل حرب لبنان، قامت الحكومة المصرية بتصفية أوضاع غالبية معتقلي الجماعة، الذين بلغ عددهم في وقت من الأوقات - بسبب تعاظم احتجاجات الإخوان في أزمات القضاة والانتخابات - قرابة 700 معتقل، ولم يتبق في السجون إلا 80 معتقلًا، وطوال أيام الحرب التي امتدت 33 يومًا، خرج خلالها الإخوان بعدة مظاهرات تندد بالعدوان الصهيوني في عدة محافظات ولم يتم اعتقال إخواني واحد، ولكن جاء تصريح عاكف غير المعهود منذ أوائل الخمسينيات بأنه: (**مستعد لإرسال عشرة آلاف مجاهد من الإخوان لمقاتلة الصهاينة في جنوب لبنان**)[1]!

وهو الموقف الذي لم يخرج من أي قيادي عربي أو إسلامي على مستوى العالم دعمًا للشعب اللبناني، والذي يتزعم مقاومته حزب الله الشيعي، بل والأنكى خرجت فتاوى شاذة من دعاة النفط وسلفيي أمن الدولة بأنه لا يجب مساندة المقاومة الإسلامية في الجنوب باعتبار الشيعة والصهاينة سواء بسواء!

وأخذ عاكف موقفًا مغايرًا لرموز ومتحدثي جماعته في قضية (حزب الله)، والتي اتهمت فيه مصر عناصر من حزب الله باختراق قوانين مصر، وتقديم الدعم اللوجستي والعسكرى للمقاومة الفلسطينية، وصرح في مؤتمر صحفي: (**كان من الواجب على مصر أن تشكر (حزب الله) بدلًا من التحقيق مع أعضاء خليته التي ضبطت في مصر، لم يقصد نصر الله من إرسالها التخريب أو الاعتداء، وإنما دعم المقاومة الفلسطينية، وما يقوم به نصر الله من مقاومة لا تستطيع مصر فعله، وقد قصرنا نحن في القيام به**)[2]!

---

(1) تصريح لوكالة الأنباء الفرنسية، ج (الأخبار)، 15/8/2006م.

(2) مؤتمر الكتلة النيابية للإخوان المسلمين، (القدس والأقصى ومخاطر التهويد)، 8/5/2009م.

ولما وضعت الحرب أوزارها، شنّت سلطات الأمن حملة اعتقالات طالت نحو 34 من أعضاء وقياديي الجماعة، بينهم أمينها العام د.محمود عزت، والحاج لاشين أبو شنب عضو مكتب الإرشاد، ليصل عدد المعتقلين إلى 120 معتقلاً!

وأكد عبد المنعم عبد المقصود - محامي الجماعة - لمجلة المجتمع: (**أن العلاقة المتأزمة بين الحكومة والجماعة تخضع غالبًا للظروف السياسية، وتشتد الأزمة وتستعر وفق الظروف السياسية مثل أزمة حرب لبنان.. خصوصًا أن قضايا الإخوان سياسية لا جنائية، ومكانها ليس ساحات المحاكم**)[1]!

وخلص الأستاذ عاكف من رد النظام القمعي، بأن: (الدولة ليست لديها نوايا إيجابية لتحقيق الإصلاح السياسي الذي أكده الرئيس مبارك أننا نسير نحوه، ولكنه شاهد على أن الجماعة لن يثنيها التصعيد الأمني المبالغ فيه ضدها)[2].

شنّت الحكومة المصرية حملة اعتقالات واسعة ضد الجماعة، وجاءت هذه الحملة بلا أسباب إلا تلك الذرائع التي روجتها الأذرع الإعلامية الأمنية؛ بسبب قيام بعض طلاب جامعة الأزهر ببعض الاستعراضات الرياضية وسط زملائهم في الجامعة، وعلى إثر ذلك انطلقت الصحف الحكومية والخاصة في توقيت واحد ضد ما أسموه (طوابير الميلشيات العسكرية!) لطلاب الجماعة والربط بينها وبين حديث المرشد عن طلبه إرسال عشرة آلاف مجاهد للبنان!

وطالبوا النظام بسرعة الرد!

وبعد التمهيد الإعلامي المكثف.. وفي الساعات الأولى من صباح الخميس 14 من ديسمبر 2006م، بدأت حملة الاعتقالات التي شملت في ذلك اليوم

---

(1) نقلاً عن: محمد جمال عرفة: عجلة الإصلاح تتوقف، مجلة (المجتمع)، ع 1717، 9 شعبان 1427هـ، 2/9/2006م، ص 16 - 17.

(2) نفس المصدر.

16 شخصًا، كان على رأسهم المهندس خيرت الشاطر النائب الثاني للمرشد العام للإخوان المسلمين.

وفي الليلة نفسها اقتحمت مباحث أمن الدولة مباني سكن الطلبة في جامعة الأزهر، واعتقلت 214 طالبًا من طلاب جامعة الأزهر.. ثم توالت الاعتقالات والاتهامات مصحوبة بحملة إعلامية واسعة النطاق ضد الإخوان على مدار خمسة أسابيع، وحتى يوم 17 يناير عام 2007م، ليصل العدد الإجمالي لمن شملتهم القضية إلى 40 شخصًا بخلاف الطلبة، تم حبس 32 منهم، ثم ألقى القبض على رجل الأعمال حسن زلط، ولم يتم القبض على سبعة آخرين، خمسة منهم يقيمون خارج مصر.

وأدلى فضيلة المرشد بحوار صحفي، لتحديد الوقائع وإعادة ترتيبها بعدما تعقدت الأمور وتشابكت، وسئل: **كيف تقرأ حملة الاعتقالات الأخيرة؟ وهل ترى فيها رسالة لكم بأن الاعتقالات لم يعد لها سقف بعد اعتقال نائب المرشد الثاني؟**

- الاعتقالات مستمرة منذ سنوات، ولا يوجد لها سقف، والنظام يمارس القمع السياسي والأمني ضد الجماعة بصورة منظمة. وما يجري بحق الإخوان في هذا الصدد هو طريق الدعوات وأصحاب المبادئ من التعرض للابتلاءات والمحن. ونحن لا نملك أمام هذه التصرفات إلا الصبر والإصرار على طريق الإصلاح المحفوفة بالابتلاء.

لكن... ما تفسيركم لحملة الاعتقالات الأخيرة.. هل هو الرد فقط على استعراض الجامعة؟

- اعتقال قيادة كبيرة في حجم المهندس خيرت الشاطر استهدف أن يكون كالقنبلة ليحدث دخانًا كثيفًا يسعى النظام من ورائه للتغطية على التعديلات

الدستورية المرتقبة، لتمرير ما يريده النظام، ولذلك نعتبر أن الاعتقالات جاءت ضمن الضربات الإجهاضية؛ حتى لا يبقى معارضون للنظام على الساحة، ونتوقع أن تكون هناك ضربات متوالية للجماعة إذا استمرت على تقدمها وثباتها لصالح الوطن والمواطن.

بصرف النظر عن وصف الجماعة لواقعة (العرض العسكري) بجامعة الأزهر بأنها (تمثيلية) وخطأ اعتذر الطلاب عنه، ألا تعتقدون أن القيام بهذا العمل خطأ جسيم شوّه صورة الجماعة وأظهرها بمظهر من يجهز ميلشيات لمواجهة الخصوم والدولة؟

- بداية.. ما وقع لم يكن عرضًا عسكريًا، بل مجرد أداء رياضي تم تضخيمه من قبل أجهزة مغرضة أمنية وإعلامية لتشويه صورة الجماعة، وللنيل من رسالتها وسلمية دعوتها، بصرف النظر عن كون ما حدث خطأ، والطلاب قدموا اعتذارًا عنه، حيث إن هذا كله لم يؤثر من قريب أو بعيد على أصحاب العقول المتابعين لحركة الإخوان ومسيرتهم الإصلاحية الدعوية التي ترتكز على الدعوة بالحسنى والنصح الهادئ والانتقاد البناء.

تحدثتم سابقًا عن رسائل منكم للرئيس مبارك.. هل بعثتم فعلًا رسائل للرئيس؟ وما رد الفعل الرسمي عليها؟

- بشكل عام ودون الدخول في تفاصيل.. نحن نمد أيدينا لتحقيق ما فيه مصلحة الأمة ابتغاء مرضاة ربنا، سواء أكانت رسائل النظام لنا قمعية أو مستفزة فللإخوان ثوابتهم إلى لا يحيدون عنها.. وهنا مطلوب التأكيد على أن الاتصال مع النظام لا يتم أبدًا في إطار الصفقات التي نسمع عنها، بل هي محاولات من قبلنا لفتح باب الحوار لصالح الوطن، وعادة ما يواجهها النظام بردود أمنية قمعية!)[1].

(1) محمد جمال عرفة: المرشد العام للإخوان المسلمون يتحدث للمجتمع، ع 1732، 2 ذو الحجة 1427هـ، 22/12/2006م، ص 16 - 19.

لم تكد تهدأ الحملة الأمنية والإعلامية ضد الجماعة بعد واقعة (الاستعراض الرياضي بالأزهر)، حتى عادت الحكومة لمداهمتها الأمنية، لعدد من مؤسسات الجماعة الإعلامية والثقافية (دار التوزيع والنشر، ومكتبة البشائر، والإعلام) فجر 2006/12/24م، ووصفها المراقبون بحرب تجويع واستنزاف اقتصادي لأعضاء الجماعة، بعد تجريدة اعتقالات العرض الرياضي.

وفي بيان للجماعة، أكدوا على: (**رغم كل ما حدث وما يحدث، فسنظل - بإذن الله - ثابتين على طريق الإصلاح السلمي التدريجي الذي نؤمن به، وسنظل نقول الحق ونأمر بالمعروف وندعو بالحسنى**)[1].

واصل النظام تصعيده الأمني ضد الجماعة، حيث تم اعتقال 81 من قيادات الجماعة فجر 2007/2/15م، معظمهم من المرشحين المحتملين لخوض انتخابات مجلس الشورى في أبريل 2007م.. في محاولة استباقية لقطع الطريق على الجماعة لخوض انتخابات الرئاسة المقبلة في 2011م في حال فوزهم بـ 25 مقعدًا فقط، حسب تعديلات المادة (76) من الدستور.

وبعد غيبة طالت أكثر من 5 سنوات عادت المحاكمات العسكرية للإخوان المسلمين تطل برأسها من جديد!

وللإخوان تاريخ مرير مع المحاكمات العسكرية، فقد كانت أول محاكمة عسكرية لأحد الإخوان عام 1942م، وحملت اسم (الجناية العسكرية العليا 833 لسنة 1942م قسم الجمرك)، واتهم فيهما اثنان من الإخوان من مدينة طنطا، وكانت التهمة هي إعداد جيش للترحيب بمقدم روميل!

وكانت المحكمة العسكرية آنذاك برئاسة مستشار مدني وعضوية مستشارين مدنيين واثنين من العسكريين، أما المحاكم العسكرية بعد انقلاب يوليو 1952م فكانت من العسكريين فقط.

(1) مجلة (المجتمع)، 9 ذو الحجة 1427هـ، 2006/12/29م، ص11.

وكانت البداية (محكمة الشعب) التي حاكمت الإخوان عام 1954م، وحكمت على ستة بالإعدام؛ عبدالقادر عودة وإخوانه، وسجن مئات آخرين لمدد تصل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة.

وفي عام 1966م، كانت محكمة (الدجوى) وغيرها من المحاكم العسكرية التي قضت بإعدام سيد قطب وآخرين وسجن المئات.

وفي عهد مبارك، وقبل الانتخابات البرلمانية (1995/11م)، صدرت الأحكام في ثلاث قضايا عسكرية، ثم تلتها محاكمات أخرى عام 1996م، 1999م، 2001م، ست محاكمات عسكرية كانت نتيجتها الحكم بسجن 94 من الإخوان لمدد تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس سنوات.

وتم إحالة معتقلى 2006/12/14م للقضاء العسكري، وجاء في المادة الأولى من القرار: تحال إلى القضاء العسكري الجرائم موضوع القضية (رقم 963 لسنة 2006 محضر أمن الدولة العليا) المتهم فيها خيرت الشاطر وآخرون.

وتعتبر هذه القضية رقم (7) في سلسلة المحاكمات العسكرية لقادة الجماعة في عصر مبارك.

ووسعت السلطات المصرية من حربها الظالمة ضد الإخوان المسلمين مشددة من الحصار الاقتصادي للجماعة، وذلك بالتحفظ على شركات وأموال 29 من قيادات الإخوان المعتقلين، طالت قرابة 30 شركة يشهد لها السوق المصري بالنجاح والنظافة وبعضها مشروعات مع جهات عربية وبينها 11 مشروعًا لرجل الأعمال حسن مالك.

وتقدر مصادر اقتصادية جملة استثمارات هذه الشركات والمشروعات بأنها تبلغ 300 مليون جنيه، وخسائر الغلق تبلغ 5 ملايين جنيه!

من جهته، أكد المرشد العام عاكف: (**غلق النظام لشركات مملوكة للإخوان أسلوب همجي بالدرجة لأولى؛ لأنه جاء على خلاف الدستور، فبعد أن برّأتهم المحكمة من كل التهم التي وجهها إليهم النظام، أعيد اعتقالهم ثانية، ومن ثم تحويلهم للمحاكمة العسكرية**)[1].

وتساءل الأستاذ عاكف: (**لمصلحة من يتم هذا الهجوم المستمر على الإخوان؟ أليسوا فصيلًا وطنيًا منتشرًا في البلاد يحظى بتأييد قطاع كبير من الشعب؟! أليست لهم حقوق وحرمات بصفتهم مواطنين في هذا البلد؟ أم أن الخلاف السياسي مع الحكومة يجردهم من كافة حقوق المواطنة وحقوق الإنسان؟! وهل لمصلحة مصر والتنمية فيها أن يستمر الاستبداد والفساد و.. والعدوان على الحريات والنشاط الاقتصادي؟!**)[2].

وأوضح المرشد بأن (**فشل النظام في كافة المجالات وعلى كل الأصعدة وما قام به نوابنا في البرلمان من فضح لهذا النظام ومحاولتهم إصلاح ما أفسده، رد عليه النظام بمحاكمات عسكرية لتصفية أي أمل للإصلاح لدى الإخوان والشعب المصري بأكمله**)[3].

يبدو أن النظام اعتزم إدخال البلاد في آتون حالة خطيرة من التوتر والاضطراب، فقد شنّ ثلاث حملات أمنية جديدة ضد قيادات الجماعة في القاهرة والجيزة والإسكندرية، شملت (34) من القيادات بينهم الدكتور محمود حسين - عضو مكتب الإرشاد - والدكتور العريان - مسؤول اللجنة السياسية - كما شنّت حملة اعتقالات مماثلة في محافظة الشرقية شملت تسعة من قيادات الجماعة فيها.

---

(1) عاكف: النظام يصفي أي أمل للإصلاح لدى الإخوان والشعب المصري، مجلة (المجتمع)، ع1742، 20 صفر 1428هـ، 10/3/2007م، ص11.

(2) السلطات المصرية تواصل حملة الاعتقالات ضد الإخوان، مجلة (المجتمع)، ع 1734، 12/1/2007م، ص11.

(3) نفس المصدر.

وفي بيان أصدره المرشد العام مهدي عاكف، قال: (إن الوطن بات في خطر جراء هذه الممارسات الفجّة وغير المبررة والتي لا تستند إلى أي شرعية)[1].

وطالب النظام بأن: (**يراجع نهجه، وأن يغير من أسلوبه، وأن يعمل على إزالة الاحتقان الذي يعيش فيه الوطن**)[2]. مؤكدًا أن: (**هذه الضغوط لن تثني أصحاب العقيدة والقيم والمبادئ عن الاستمرار في مسيرتهم السلمية، ولن تمنعهم من القيام بواجبهم تجاه وطنهم وأمتهم، ولن يجني النظام من ورائها إلا مزيدًا من الكراهية من أبناء الأمة جميعًا**)[3].

وهكذا تتوسع دائرة القمع:

- شن حملات الاعتقال والتشريد المستمر لأفراد الإخوان وكوادرهم وغلق مؤسساتهم وإرهاب ذويهم.
- إعلان حرب إعلامية رهيبة ضد الجماعة وتاريخها وأفكارها ومواقفها، ووصمها بأبشع الصفات والنعوت (الفاشية والميلشيات والجماعة المحظورة و...إلخ).
- اختلاق التهم والأكاذيب والافتراءات، مثل: قضية التنظيم الدولي، وإحياء التنظيم، وقلب نظام الحكم وغسيل الأموال.. إلخ.
- إجراءات تعديلات دستورية تحظر أي نشاط سياسي.
- إلغاء الإشراف القضائي على الانتخابات والاستفتاءات.
- الإعداد لإصدار قانون مكافحة الإرهاب.
- إقصاء الإخوان من مجالات العمل العام.

---

(1) مجلة (المجتمع) ع 1766، 12 شعبان 1428هـ، 25/ 8/ 2007م، ص11.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) المصدر السابق نفسه.

ويسير جنبًا إلى جنب الضغط بأكبر قدر من حماقة القوة، وإلى حد الإرهاب ضد الجماعة لإبقائها فريسة دائمة للرعب لا تعرف من أين تأتي ومتى تنقض عليها الصواعق!

وقد فطن إلى ذلك المخطط الخبيث، الخبير بدرجات إرهاب الدولة، أستاذنا عاكف والذي عانى منه فوق الخمسين عامًا، ولم يكن كل ما حدث بالمفاجأة له، فقد أعد نفسه لأكثر من ذلك، لقد انتظر ليلة كاملة الوفود على ربه عندما حكم عليه بالإعدام، ولكن سرعان ما خفف إلى المؤبد، ومن وقتها إلى الساعة التي يحيا فيها، أعد نفسه إعدادًا كاملًا للوفود على ربه!... وفي حديث صحفي أطل على المشهد الحزين في حياتنا السياسية الفاسدة، سئل:

كيف تفسرون حملة الاعتقالات الأخيرة.. هل هي هجوم شامل وحملة تصفية للجماعة، خاصة أن الحملة لا تهدأ وتطال كافة القيادات بلا تمييز أو خطوط حمر بما فيهم نائبك ومستشاروك وأعضاء في مكتب الإرشاد ؟!

- إعمال العقل والمنطق والتفكير السوي في هذه الأحداث والاعتقالات الأخيرة يؤكد أن النظام الفاسد يحارب الإصلاح أينما كان بكافة الطرق والأساليب غير المشروعة. وأيًا كان حجم تلك الحملات، فإن الجماعة - بفضل الله - باقية، وكم حاول المفسدون سابقًا العمل على تصفيتها ولكن باءت محاولاتهم بالفشل.. ونحن نعتبر أن هذه التصرفات الهوجاء الطائشة أمر غير مستغرب من هذا النظام الذي نحّى القانون جانبًا، واستغنى عن القيم والدساتير.

هناك من يقول إن إعلان توصية للجنة بالبرلمان البريطاني بفتح حوار مع الجماعة أزعجت الحكومة المصرية، ولهذا جاء الرد عنيفًا باعتقال الـ16 من كبار قيادات الجماعة.. هل ترى ذلك؟ وهل صحيح أن هذه الدعوات الغربية يجرى تفعيلها عبر حوار مع برلمانيين من الإخوان، أم أنها مجرد توصيات جوفاء لا تنفذ؟

- قد يكون للتوصية البريطانية أثر.. ولكن على الحكومة أن تدرك أن العالم كله يدرك يقينًا أن الإخوان واقع حي وقيمة إصلاحية في المجتمع المصري والعالمي، وإن كنا نرحب بالحوار والتعامل مع كل قوى العالم المدنية والبرلمانية.. فإننا لا نعول على ذلك كثيرًا.. فكثيرًا ما سمعنا عن دعوات للإصلاح وحقوق الإنسان والديمقراطيات والحريات.. ومع ذلك تنتهك كل تلك القيم على مسمع ومرأى من العالم الغربي ولا مجيب أو مهتم.

هل تعتقدون أن هناك إصلاحًا حقيقيًا في مصر، في ظل اتجاه البرلمان بداية العام المقبل لإقرار حزمة من الإصلاحات الدستورية؟

- لا يوجد إصلاح حقيقي.. والنظام يخشى من الإصلاح؛ لأنه يهدد وجوده، حيث إنه نظام قمعي استبدادي، لكن رغم كل ذلك فإن أجندة الإخوان في مجال الإصلاح السياسي والدستوري مطروحة، وتتم عبر رؤى واقتراحات وبيانات يتقدم بها نواب الإخوان في البرلمان وفي المحافل العامة، لكن عادة ما يطغى صوت الفساد وانتهاكات حقوق الإنسان ولغة الجمود على واقع الحياة السياسية لضرب أية تجارب إصلاحية ولينقض النظام كل وعوده الإصلاحية[1].

هل تعتقدون أن أمريكا والغرب تخلوا نهائيًا عن أفكار الإصلاح بسبب حاجتهم للأنظمة الحالية في حماية مصالحهم الإقليمية وتخوفهم من عرقلة الإسلاميين لهذه المصالح؟

- إن أمريكا والغرب لم يكونا يومًا من دعاة إصلاح في المنطقة وواقعهم المخزي والمزري في أفغانستان والعراق وفلسطين خير دليل على ذلك، وغايتهم العظمى مصالحهم الخاصة، والإبقاء على الحكومات التي تحمي مصالحهم، وتقدم

(1) مجلة (المجتمع)، ع 1732، 22/12/2006م، ص 16 - 19.

لهم يد العون لتحقيق أهدافهم.

سأل الكاتب الصحفي إبراهيم عيسى - رئيس تحرير الدستور - سؤالاً لم يرد عليه أحد وهو: **إلى متى تظلون تتلقون الضربات الأمنية؟ وإلى متى تديرون خدكم الأيسر لمن ضربكم على خدكم الأيمن؟ فما ردكم عليه؟**

- أقول وباختصار: كنا دائمًا وأبدًا ندعو إلى وأد الفتن والحرص على أمن وسلامة الوطن.. وليس من منهجنا أن ندخل في عراك.. الخاسر فيه الشعب المغلوب على أمره.. ولكننا نصبر ونحتسب عن قوة وليس عن ضعف أو هوان.. لأننا نؤمن أن الله لن يترنا أعمالنا، ولأننا موجودون في الشارع المصري، وقائمون بواجباتنا نحو أنفسنا ونحو الشعب.

من قراءتكم للواقع المصري، هل توافقون بعض المراقبين السياسيين الذين يتنبؤون بانفجار شعبي بسبب انتشار البطالة والتضخم والظلم السياسي؟ أم أن هذه مبالغات مثقفين؟!

- الواقع المصري يغلى كالبركان، فلا ماء للشرب، والغلاء متفشٍ، وكذا البطالة، وتحكم الشرطة بالتعذيب والقهر.. وللأسف فإن القائمين على الأمر لا يدركون ما تحت الرماد.. نسأل الله أن يفيء هؤلاء إلى رشدهم. وأن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وأن يرفع عنا هذا البغي والظلم والجور، وأن يبصر تلك النفوس بالحق والخير والعدل[1].

عاكف: نرفض التوريث.. ومن حق جمال الترشح كبقية الشعب.. ولكن بشروط.

وفي حديث لبرنامج (من القاهرة) الذي تقدمه قناة العالم الفضائية، قال

(1) مهدي عاكف: الواقع المصرى يغلى كالبركان: حوار/ محمد جمال عرفة، مجلة (المجتمع)، ع 1769 - 3 رمضان 1428هـ - 15/ 9/ 2007م، ص20 - 22.

عاكف: (إن الجماعة أعلنت موقفها مما يثار عن توريث الحكم في مصر، مؤكدًا أنهم لا يقبلون التوريث بحال من الأحوال، فكيف يقبلون بوجود أي صفقة كما يدعي البعض؟.. مضيفًا أنه (**إذا أراد جمال مبارك الترشح للرئاسة، فعليه الالتزام بثلاثة شروط وهي: ترك قصر الرئاسة، وأن يعيش بين الناس، وأن يلغي المادتين 76 و77 من الدستور، وقال إن هذه شروطنا لترشحه؛ لأنه في هذه الحالة سيكون مثله مثل أي مواطن مصري**)[1].

وزاد أستاذنا الأمر إيضاحًا، فقد سئل: **هل لديكم وجهة نظر ضد نجل الرئيس؟**

- هي ليست ضد نجل الرئيس وإنما وجهة نظر محددة بأنه لا يجوز بحال من الأحوال توريث الحكم وهذا مبدأ، وإذا كان نجل الرئيس يريد الترشيح فأهلًا به، لكن وفقًا للقواعد الديمقراطية والدستورية، بمعنى أن ينزل للشارع وإلى الشعب ويعيش معه، ولا يكون له أمن يحرسه، ولا تصدر له قوانين مفصلة عليه..

هل في مرحلة من مراحل صعوده السياسي، حاول جمال مبارك الاتصال بكم سرًا أو علنًا؟

- لم يحدث، مع دعوتي له أكثر من مرة.

كيف دعوته؟ وهل تلقيت ردودًا منه؟

- عن طريق الخطابات الرسمية، لكن لم نتلق أي رد، وقلت له: المصلحة أن تجلس مع الشعب، قلت له: إن الشعب محتاج إلى إصلاح، وإلى تفاهم بين النظام وبينه، ممثلًا في أحزابه ومؤسساته المدنية، وهذا الآن مفقود.. لا تقل لدينا 20 أو 30 حزبًا، أنت تعلم قدرهم، وتعرف أين الثقل الشعبي، وهناك رؤية مكتوبة معروفة لهذا الثقل، أليس من الواجب عليك أن تتفاهم مع هذا

(1) عاكف: نرفض التوريث، مجلة (المجتمع)، ع1702، 22 ربيع الآخر 1427هـ، 20/ 5/ 2006م، ص12.

الفصيل وتتحاور معه، يمكن أن تقول شيئًا يفيدنا أو تستمع إلى ما يفيدك، لا نريد أن نملي شيئًا على أحد، ولا نريد أن يملي علينا أحد أي شيء، إذا كان ثمة اتفاق على شيء، وأنا أعلم أن هناك مساحة اتفاق كبيرة يمكن أن نتعاون بشأنها حتى نخرج الوطن من أزمته الموجودة.

هل لجوؤكم إلى مخاطبة نجل الرئيس معناه أنك "بالبلدي" رميتم طوبة الرئيس؟

- وأيضًا طوبة نجل الرئيس!.. فهو لم يأت بشيء، ولم يجدد شيئًا، وإنما جاء بأخطر مما كان لدى الرئيس، بمعنى أن كل ما يفعله نجل الرئيس موجه لصالح فئة معينة ضد الشعب.

ومن هي تلك الفئة؟

- أنت تعرفها، فئة المليونيرات والمحتكرين، ثم بعد ذلك لم يخطو خطوة واحدة في مصلحة الوطن من إقامة الحريات والديمقراطية والعدل بين الناس وتحجيم حجم الأمن، هو لا يعيش إلا بالأمن وهو لا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا بواسطة الأمن.

إنسان بهذه الصورة لا يمكن أن تنتظر منه إصلاحًا؟! لكن كنّا نتوقع من جمال مبارك أن يخرج إلى الشعب، ويطالب بإلغاء القوانين الاستثنائية وقانون الطوارئ يلغيه ولا يؤجله، ويطالب بتحرير الصحف القومية..، لو عمل كده الناس كلها ستقف له وتدعو له، هذا ليس موجودًا في مبارك وكذلك نجله، موكبه الآن أكبر من أبيه وحوله بطانة الله أعلم بها.

هل تعتقد أنه مؤهل لتولي السلطة؟

- لا!

وما هي حيثيات رفضه؟

- لأنه تربى في أحضان القصر الاستبدادي، وكل من حوله ليس لديهم إلا ثقافة استبدادية، والاستبداد لا يدوم، والقيادة لها شروط، وهي لا تتوافر فيه وهو بفكره وتعاملاته كان يمكن أن ترضى الناس عنه!)[1].

وبعد اعتقالات 2006/12م - 1-2007/3م، سئل:

كثيرًا ما يقال إن بطش الحكومة بالإخوان سببه رفضهم للتوريث.. هل صحيح أن التوريث هو نقطة الخلاف الكبرى ضمن خلافات أخرى مع الحزب الوطني، وما يقال عن أنكم القوة المنافسة له ما يدفع للبطش بكم؟!

- ليس بطش الحكومة بالإخوان مبعثه رفضهم لمبدأ التوريث فقط.. ولكن الحكومة دأبت منذ التسعينيات (قبل أن تثار قضية التوريث) على معاداة الإخوان وتلفيق القضايا، وتحويل المدنيين إلى المحاكم العسكرية (1995 - 1996م) وما تلاها.. ولكن تأججت هذه الفتنة بعد إعلان الإخوان - شأن الكثيرين من رجالات الأمة وأبنائها - رفض التوريث.. ولابد أن يعلم القاصي والداني أن التنافس على الحكم ليس هدفًا أو غاية بالنسبة للإخوان.. وإنما غايتنا وهدفنا الإصلاح والنهوض بالأمة واستعادة كيانها وريادتها. وربما تكون الحملة الأمنية (المحاكمة العسكرية الحالية لقيادات الجماعة وإلقاء القبض على أعضاء فيها (34 عضوًا في 48 ساعة ثم على عضوي مجلس الشعب) استعدادًا لتوريث الحكم في مصر).

ماذا لو عرضت الحكومة المصرية عليكم إجراء صفقة سياسية تقضي بموافقة الإخوان على التوريث والتعديلات الدستورية المرتقبة.. مقابل إتاحة هامش أكبر من التحرك السياسي أمام الجماعة؟

- الإخوان المسلمون لهم ثوابتهم، ولا يدخلون في صفقات سياسية تمسّ تلك

(1) ج (الدستور)، حوار: خالد محمود رمضان، 2006/12/20م.

الثوابت، وكما قلت: الموقف من التوريث ليس شخصيًا بل هو مبدئي ولا يقبل التجزئة، وليست أهداف الإخوان براجماتية تقبل المقايضة أو المساومة.

على فرض إجراء انتخابات رئاسية مقبلة بين جمال مبارك ومرشحين آخرين، ماذا سيكون موقف الجماعة؟

- الإخوان لديهم أسس وثوابت في الاختيار توافق الشرع، وتلتزم بالأصول الديمقراطية، وتستهدف تحقيق مصلحة الوطن ولكل مقام مقال[1].

وفي غيبة المحامين ورجال الإعلام، وفي قاعة المحكمة الخالية تمامًا من الحضور، وبعد مارثون من الجلسات بلغ (70) جلسة، نطق رئيس المحكمة بالأحكام وانصرف مسرعًا من الباب الخلفي أيضًا!

وقد جاءت الأحكام مشددة، حيث قضت بالسجن لمجموعة الإخوان بالخارج - وعددهم خمسة - لمدة عشر سنوات، وسجن المهندس خيرت الشاطر والحاج حسن مالك لمدة سبع سنوات، وسجن خمسة آخرين لمدة خمس سنوات، وسجن اثني عشر لمدة ثلاث سنوات، بينما قضت بالبراءة لستة عشر متهمًا.

أما التهم الواردة والمكررة على لسان المباحث، فهي تتركز في محورين:

المحور الخارجي:

- إعداد مخططات ودراسات تستهدف ترويج ونشر أفكار الإخوان، بهدف تكوين بؤر تنظيمية بالخارج.

- الاهتمام بالمبعوثين الوافدين للدراسة في مصر، وإنشاء مراكز لتعليمهم اللغة العربية والعلوم الشرعية، وتقديم الدعم المادي لهم، وتوفير احتياجاتهم خلال فترة وجودهم بالبلاد.

---

(1) حوار: محمد جمال عرفة: المرشد العام للإخوان المسلمين عاكف للمجتمع، ع 1732، 2 ذو الحجة 1427هـ، 22/ 12/ 2006م، 16 - 19.

- استقدام وفود شبابية من الدول العربية ومن معتنقي الإسلام في أوروبا وتأهيلهم للعمل الإسلامي في بلادهم.

وفي المحور الداخلي:

- استثمار الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة واتخاذها منطلقًا لإحداث نوع من الارتباك السياسي والأمني.
- إنشاء مؤسسات اقتصادية، وتخصيص جزء من أرباحها لدعم التنظيم، واستغلال التبرعات التي يتم جمعها لمساندة الشعب الفلسطيني.
- انتقاء طلاب مصريين وإعدادهم بدنيًا من خلال التدريب على الرياضة العنيفة تمهيدًا لإيفادهم إلى مناطق الصراعات.

وبعد هذا التردي المخيف والانهيار السريع، الذي طال مصر بأكملها بعد ربع قرن من حكم الحاكم الفرد مبارك، فقد البعض الأمل في تحرك الشعب المصري لفعل شيء للخروج من هذه الوهدة الحضارية، ولكن أستاذنا لم يفقد الأمل في وعد الله لعباده المؤمنين بالنصر ولو بعد حين، ففي حوار صحفي، سئل:

بعد 26 سنة من حكم الرئيس مبارك تجيء (بروفة) أو (مشروع)، برنامجكم ترجمة لما آلت إليه الأوضاع في مصر، وتشخيصًا لتفاصيل وأسباب هذا التراجع، ومع ذلك لا يعترض الناس والشعب ولا يبدي أي اعتراض.. فهل عدمنا الأمل فيه؟!

- أنا لم أعدم الأمل في هذا الشعب، وثورة أي شعب على أوضاع متردية لها أصول وآليات، وثقتي في هذا الشعب كبيرة، والعمل مع الشعب والرهان عليه لم أيأس منه بعد، فالشعب المصري مهضوم حقه، ومكره على أمور وأوضاع كثيرة، وليس هذا بدعة أو أمرًا جديدًا على الشعب المصري وغيره

من الشعوب، فلقد ظل (فرانكوا) يحكم أسبانيا 36 عامًا، لكن الشعوب لا تموت فيما يموت الحكام!.. فمابالك بشعب مؤمن له دين ورسالة... فلا تخف عليه![1].

هو الذي يخاف (أي الشعب)؟!

- الشعب المصري مش خواف.. ولكنه مضطر للقبول بهذا؛ لأنه لا يحتمل، ومن احتملوا تعرضوا للاعتقال، حيث صبروا على الأذى وقاوموه، هل تعرف لماذا يتعرض الإخوان للاعتقال؟ لأنهم تغلغلوا في المجتمع؛ يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وينقذون شبابنا من هذا الفساد الشائع سواء في الشارع أو في الفضائيات.

وتتطلعون للسلطة أيضًا؟

- إيه المانع.. وإيه العيب؟!.. شوف.. أنا مبخافش، أنا إذا حكمت سأحكم بالأصول، وسأحكم حينما يرفعني الشعب للحكم![2].

وطُلب من أستاذنا توصيف الوضع غير المسبوق الذي تشهده مصر، فأجاب متهكمًا: (.. سألت بعض فقهاء اللغة: ألا توجد عندكم كلمة تصف الحال الذي أصبحنا نعيش فيه الآن، ولكنهم للأسف عجزوا عن أن يجدوا كلمة جامعة لوصف هذا الحد من الفساد والإجرام والظلم وإهدار حقوق الإنسان والبعد عن الديمقراطية وعدم احترام عقول الناس، ليس لهذا الحال وصف، فقد كنا نصفه من قبل بالظلم والفساد والتجبر، فماذا نقول عنه الآن بعد أن أصبح النظام يفعل كل هذا في وقت واحد!)[3].

---

(1) ج (العربى)، حوار: ماهر حسن/ 26/8/2007م.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) ج (الدستور)، 2/5/2007م.

وفي إجابته عن السؤالين الآتيين، لخص الأستاذ عاكف رؤيته للنظام المصري، فلسفة ومنهاجًا ورؤية...

سئل: هل أنتم في عداء مع النظام أم خلاف؟

- كنت التقيتهم عندما كنت في مجلس الشعب، والآن أتكلم وأقول: إنكم أناس فاشلون ومستبدون، ولا حياة لكم إلا بالأمن، ولا يستطيع واحد منكم تنفيذ قرار إلا بالأمن!

وقد قلت لمبارك في مؤتمر بالإسكندرية، وللأسف الشديد لم يأخذ بكلامي على محمل الجد.. قلت له: يا سيادة الرئيس - وسنه مثل سني - أنا وأنت على أبواب الآخرة، وستقف وحدك أمام الله، وسيحاسبك وحدك على هذا التخلف الذي وصلت إليه مصر، حيث صفر المونديال.. و.. و.. كنت أحب أن يسمع كلامي.. وقد قلت لأحد رجال الدولة بأن يخبره عندما يذهب إلى أمريكا ويجلس مع بوش أن يضع ساقًا على ساق، ولا يطلب منه شيئًا، فهو رئيس أكبر دولة عربية، وإذا كان بوش يعطيه 2 مليار، فأي حرامي من مصر يستطيع أخذها[1]!!

وسئل: ما هي رؤيتكم الشخصية للنظام؟!

- النظام فقد مصداقيته وعقله، فقد الميزان في تعامله مع المواطنين، فلم يعد له أخلاق ولا مبدأ ولا قيمة.. النظام الآن يعمل لصالح فئة محدودة. متقوليش حسني مبارك ولا تقولي جمال!.. هناك فئة أخرى معروفة اتجاهاتها، هذه الفئة لا تريد شريكًا، ولا تريد لأي فئة من فئات الشعب أن يكون له صوت، ولذلك ضاعت الحريات والدين والأخلاق، ثم إن النظام لا يبطش بالإخوان فقط.. لماذا تقول الإخوان المسلمين؟ صحيح أن الإخوان مضطهدون لأن

(1) المصري اليوم، حوار: شارل فؤاد المصري، 24/ 11/ 2007م.

عندهم تنظيمهم، وبالتالي يتوفر للنظام وسائل الضرب، أما الشعب المصري كله فهو مضروب، انزل الشارع واسأل هل هناك أحد مرتاح.. أنا أعجب كل العجب من هذا النظام، أليس عنده أجهزة قياس رأي، أما بالله عليك وأنت رجل صحفي هل تستطيع أن تقول إن هناك قياسًا للرأي في مصر يقف معها ويؤيد تصرفاتها زي ما هو بيقول: الإخوان انضربوا في المفاصل!.. أقول له: لا متشكرين.. المفاصل التي تتحدث عنها في الإخوان الواحد منها يصنع ألف مفصل)[1]!!

وهكذا تأكدت مقولة هيكل (**الإخوان يشكلون لغمًا كامنًا تحت سطح الحياة السياسية المصرية**)، فالاقتراب منه لنزع فتيله محاولة محفوفة بالمخاطر، والعبور فوقه استهانة أو غفلة محاولة قد تؤدي بهلاك من عَبَر!

فقد اتبع الإخوان سياسة النفس الطويل مع نظام مبارك، فقد استطاعوا امتصاص الضربات التي وجهت لهم، وبعدها أخذوا زمام المبادرة في ضرب النظام باستدراجه إلى ملعبهم المفضل، فأُنْهِك ذهابًا وإيابًا، حتى ذهب إلى حتفه أيام 25 - 28 يناير 2011م.

(1) ج (الدستور)، حوار: صلاح الدين حسن، 3/ 10/ 2007م.

بصمـــات العهـــد (العـــاكفي)

لم تشهد جماعة الإخوان المسلمون انفتاحًا وحراكًا سياسيًا وتغطية إعلامية لناشطيها مثل التي شهدتها في عصر المرشد السابع (محمد مهدي عاكف: 2004/1م - 2010/1م)، ومنذ توليه مهامه اتسعت رقعة الحراك على المستوى السياسي والاجتماعي والإعلامي مُحدثًا صخبًا بين النخبة المصرية، بل وصل الصَّخَب إلى داخل الجماعة نفسها!

فقد بدأ مهامه بتصريح أثار جدلاً واسعًا داخل الجماعة، عندما قال: (الحرية مقدمة على الشريعة الإسلامية)!

وقال في تصريح آخر بأنه رفض أن يبايع مرشدًا سريًا اختاره بعض أعضائها عقب رحيل الإمام الهضيبي في نوفمبر 1973م، قائلًا بصراحته المعهودة: (**كيف أبايع رجلاً لا أعرفه؟!**)

ومن هنا أطلق يد أعضاء الجماعة في التصريح العلني بعضويتهم للتنظيم، مما أتاح لطلاب الجماعة تغيير الاسم الذي كانوا يتخذونه عنوانًا لهم في الجامعة من (التيار الإسلامي) إلى (طلاب الإخوان المسلمين)!

وهذه السياسة التي كان يرفضها المستشار (المأمون الهضيبي) سلف الأستاذ عاكف، بمنع أي عضو في الجماعة من الإدلاء بتصريحات صحفية إلا بالعودة إليه لكونه المتحدث الرسمي باسم الجماعة، وكان لا يفوته خطاب أو بيان إلا وراجعه بنفسه.

بينما أطلق عاكف العنان لكوادر الجماعة في الحركة بحرية، للتعبير عن الجماعة باعتبارهم سفرائها في أي مكان يحلّون فيه، وتبنى أيضًا الأستاذ عاكف تحديث الخطاب السياسي للجماعة، بانفتاحها على التيارات والقوى الأخرى.

وبدأ تنفيذ هذه الرؤى بعد شهرين من توليه مهامه؛ إذ أعلن عن مبادرته للإصلاح السياسي والدستوري، وكان جوهرها وفي القلب منها: (**إن واجب الوقت يقتضي من جميع القوى السياسية والنخب الفكرية والثقافية وجميع المهتمين بالشأن العام أن يلتفّوا حول إطار عريض ينطلق من المقومات الأساسية لهذا المجتمع، وأن يتعاونوا في المتفق عليه - وهو كثير - وأن يتحاوروا حول المختلف عليه - وهو قليل - من أجل الصالح العام لهذه الأمة**).

وشهدت فترة أستاذنا تحالفات سياسية خاصة مع الناصريين وبعض فصائل اليسار - الأعداء التاريخيين للجماعة - بل وسمح لأعضاء الجماعة بالخروج معهم في التظاهرات ضد النظام.

وقد سئل فضيلة الأستاذ: **كيف تقف إلى جوار الناصريين، وبينهم وبين الإخوان من صفحات دامية في الزمن الغابر؟!**

قال بصراحة: (**إنني أريد أن أغلق صفحات الماضي واحدة بعد واحدة، ليس لدينا عقدة الثأر التاريخي**)!

والأستاذ عاكف - بغض النظر عن تصريحاته الصحفية الصادمة للبعض - شخص متاح للجميع من الإعلاميين، فهو يعطي تليفونه الخاص بدون حرج، ويجري الحوارات، ويعقد اللقاءات دون خطابات مكتوبة، وهو على النقيض تمامًا من مسؤولين وسياسيين كبار، ويتاح لك بأن تهاجمه مباشرة وجهًا لوجه، ويكون من رابع المستحيلات أن تهاجم مسئولاً حزبيًا أو موظفًا بدرجة رفيعة خشية المساءلة القانونية.

وفي الوقت الذي تجد فيه مبارك لا يخاطب شعبه إلا من وراء جدر وبجمل مكررة ومعادة وبدون تغيير أو إبداع، تجد أستاذنا عاكف ضيفًا مرة على منتدى حوار أذاعته (البي بي سي) مباشرة مع العديد من المشاركين يسألونه ويستفسرون منه عن بعض النقاط الشائكة التي تخص الجماعة، وبغض النظر عن نوعية الردود وطبيعة الإجابات التي تأتي أحيانا منفعلة وغاضبة إلا أن فكرة تفاعله مع الجمهور العادي عبر هذه القنوات يعتبر نقلة كبيرة لمرشدي الجماعة.

وقد أظهر أستاذنا عاكف تفهمًا كاملاً للفائدة المرجوة من جراء التركيز الإعلامي، ولذا كان توقيت تصريحاته وأحاديثه الصحفية مثار اهتمام بالغ من قبل الصحف والفضائيات، والتي كانت تسارع بالتعليق على ما يقوله أو يفعله.

وخلال فترة توليه مهامه، أدلى عاكف بمئات التصريحات الصحفية واللقاءات عبر الفضائيات، بدا وكأنما كان يقضي أغلب وقته أمام وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، وهذه ميزة لم تكن توفرها وسائل العصر ومرونة الحركة لمن سبقوه من المرشدين (عليهم رضوان الله جميعًا).

وكثيرًا ما استغلت أذرع النظام الإعلامية بعض ردوده لتشن حملات شرسة على الجماعة، كتصريحه الذي اعتبر فيه (أسامة بن لادن) زعيم القاعدة مجاهدًا فيما يقوم به من جهاد ضد الأمريكان، في الوقت التي ترفض فيه الجماعة خطاب القاعدة!

فالرجل الذي يحبه أعضاء الجماعة وقواعدها نظرًا لبساطته في التعامل معهم وروح الدعابة التي تسيطر عليه، ولا يختلف كثيرًا في التعامل مع الشخصيات التي لا يعرفها أو الصحفيين الذين يرغبون في أخذ الأحاديث الصحفية معه، كما يقول أحد الصحفيين الذين تعاملوا معه: (فهو بسيط للغاية وعند زيارتك

لمقر الجماعة في المنيل يستقبلك مرحبًا بك في حفاوة شديدة (**أهلًا بك يا وليدي، إيه أخبارك؟**) وقليل ما يرفض طلبًا بالحوار، ولا يرفض استقبال المكالمات لمجرد التعليق على ما حدث، ويصرّ أن يكون صريحًا للغاية فضفاضًا في كلامه، ومن السهل أن تعرف أن خطابه معك قد أوصله لحد (**النرفزة**) التي تبدو على وجهه بشكل سريع، ففي بداية حواره معك ستجده يتحدث إليك قائلًا: **يا أخي الحبيب**، وما أن يشعر بأن أسئلتك لا تحلو له يبدأ حالة من الغضب وينابيك وقتها: **لا يا حبيبي!**.. مقطبًا حاجبيه ملوحًا إليك بيديه، وتعلو نبرة صوته، ويفتح أزرار بدلته، وتكثر حركته على المقعد الجالس عليه)[1]!

(لا يتجمل في حديثه الذي ما أن يبدأ فيه ينسى أنه رئيس لأكبر تنظيم سياسي ودعوي على مستوى العالم، وتجده يستخدم مصطلحات المصري البسيط غير المعقدة، لذلك تجده في تصريحاته وكأنه ليس رجل سياسة)[2].

هذه الطبيعة التلقائية، رغم ما جرته على الجماعة من مشاكل، فإنها أكسبته مصداقية واسعة لدى الأجيال الشابة وجيل طلبة السبعينيات والثمانينيات، ويشترك في هذه الصفة مع الراحل (عمر التلمساني) المرشد الثالث للجماعة (1973/12م - 1986/5م) في الثقة بهؤلاء الشباب والدفاع عنهم مع من يختلف معهم في وجهات النظر، لقد كان الأستاذ عاكف أكثر قربًا لمجموعة الوسط التي انشقّت على الجماعة في منتصف التسعينيات، حتى إن قيادات الجماعة قالت بأن بساطته في التعامل مع هذه المجموعة هي السبب الرئيسي في تصاعد الأزمة!

بل وكان حريصًا عليهم، واثقًا في نياتهم، ولم يقطع التواصل معهم برغم فصل عدد كبير منهم واستقالة البعض الآخر، مثل المهندس أبو العلا ماضي!

---

(1) مهدي عاكف: المرشد المختلف عليه، ج (الدستور): عبد المنعم محمود، 2008/6/18م.

(2) المصدر السابق نفسه.

والأستاذ لم يضجر أو يظهر التململ من انتقادات الشباب للجماعة، وكان الشخصية الوحيدة التي اعتبرت ظاهرة (المدونين الإخوان) ظاهرة صحية يمكن تفهمها واستيعابها، رغم انتقاداتهم المرة والموجعة عبر صفحاتهم الإلكترونية، وعلّق قائلًا بأن هؤلاء الشباب يكسرون الحواجز التي وضعها الأمن لمنع تواصل قيادات وشيوخ الجماعة بهؤلاء الشباب.

وانصاع أيضًا لرغبة الشباب الذي أعلن عن غضبه من موقف الجماعة من إضراب 6 إبريل، ودخل في خلاف مع عدد من أعضاء مكتب الإرشاد حتى استطاع أن يقنعهم بالمشاركة في إضراب 4 مايو، وتأتي موافقة عاكف من حرصه على هؤلاء الشباب الغاضب الذي أعلن عدد كبير منهم المشاركة حتى ولو رفضت الجماعة وأعلنت عدم المشاركة!...

حاشية:

كلامي وثنائي وإشادتي بفضيلة المرشد الراحل (محمد مهدي عاكف) (رحمه الله) لا يجوز أن يُؤوّل ويفهم على غير مراده، أني أغمط وأنتقص حق من سبقوه من المرشدين (عليهم رضوان الله جميعًا)، فلكل منهم مساهماته وإضافاته وصبره وبلائه في فترة قيادتهم للجماعة الصامدة، جزاهم الله عنا خيرًا وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته.

هل يتحول الإخوان إلى حزب سياسي؟

بعد خوض الإخوان أول انتخابات برلمانية كبرى مع حزب الوفد عام 1984م، قرر مجلس شورى الإخوان العمل على إقامة حزب سياسي يعبر عن نشاط الإخوان في الساحة السياسية، التزامًا بالقانون وتفعيلًا للمشاركة السياسية، وتقوية لجانب الإخوان في التحالفات السياسية.

وكان هذا القرار مراجعة شجاعة لفكرة قديمة عند الإخوان، وقاعدة عريضة من الحركة الإسلامية بعدم الترحيب بفكرة التعددية الحزبية، وعدم فعالية الأداة الحزبية في ظل مناخ سلطوي وقمعي يسد الطريق أمام تداول سلمي للسلطة.

وتم ترجمة تلك المراجعة الشجاعة بالتقدم بطلب لإنشاء حزب سياسي (حزب الوسط) في مرحلته الأولى، وكان رد النظام باطشًا كالعادة.. فاعتقل وكيل المؤسسين المهندس أبو العلا ماضي وعدد من المؤسسين وقيادات الجماعة الداعمين للحزب كالأستاذ عاكف، وتم تقديمهم إلى محاكمة عسكرية عام 1996م!

وبعد تلك الضربة الإجهاضية للحزب في بداياته، استقر الرأي على إعداد البرنامج وعدم التقدم به للجنة الأحزاب بشكلها الحالي (المانعة لتأسيس الأحزاب!)، وإنما ليكون برنامج يوضح كيف يكون (الإسلام هو الحل) في كل القضايا والمجالات؟ وهو يعد وثيقة توضح فكر ومنهج الإخوان، واستشرافها لمستقبل العمل السياسي في مصر، لعرضه عى الأمة وليس للسياسيين أو الحزبيين فقط.

ولهذا كلف الأستاذ عاكف المرشد العام لجنة بإعداد البرنامج، وضمّت هذه اللجنة عددًا من السياسيين والقانونيين وأصحاب العلم الشرعي، وحصيلة ما

توصلت إليه اللجنة عرض على مكتب الإرشاد، وعقدت جلسات للمراجعة، وبعد أخذ ورد، أصدر مكتب الإرشاد قرارًا بعرض البرنامج على المكاتب الإدارية في كل المحافظات، وهذه المكاتب المنتخبة تضم أعضاء مجلس شورى الجماعة، إضافة إلى قيادات ومسئولي الجماعة في كل المحافظات.

ثم صدرت نسخ البرنامج في شكلها الحالي، ووافق مكتب الإرشاد على إرسالها لعدد من الكتاب والسياسيين والمثقفين بخطاب خاص من فضيلة الأستاذ مهدي عاكف، وتم الاتفاق على أن تكون هذه النسخة قراءة أولى وليست نهائية، وطلب من الشخصيات أن ترسل ملاحظاتها لمكتب الإرشاد مباشرة، وأرسل البعض ملاحظاته، وفضل البعض إرسالها في شكل مقالات عبر الصحف، ووسائل الإعلام المختلفة.

وعند اكتمال الملاحظات، ستعقد عدة جلسات للاستماع والمناقشة المتخصصة للاستفادة من كافة الآراء.

وبعد ورود كثير من الآراء، اتفقوا على أن الإخوان غير واضحين في عدد من القضايا تتعلق بممارسة الديمقراطية والموقف من الأقباط وبعض الموضوعات الأخرى.

وكان الموقف من تأسيس هذا الحزب مدار سجال طوال ست سنوات (2005 - 2011م)، يتراوح ما بين انفراج الوضع السياسي وانسداده، تبعًا لحالة المزاج السياسي المتقلب، في عصر مبارك وبعد الثورة عليه!

في عام (2005م)، سئل أستاذنا:

هل الإخوان بالفعل يريدون تأسيس حزب على الرغم من وجود لجنة الأحزاب الحالية التي يهيمن عليها الحزب الحاكم؟

- نحن لنا رغبة في تأسيس الحزب، ولكني أرى أنه لا يجوز أن أتقدم بحزب للجنة

غير دستورية، نحن موجودون، والشارع هو الذي يعطينا الشرعية، والدستور هو الذي يعطينا الشرعية، ولا يليق ولا يجوز أن نلجأ إلى لجنة مشكوك في شرعيتها ودستورها.

ولكن هذا واقع موجود وكل من يريد تأسيس حزب يتقدم إلى هذه اللجنة؟

- لا أعترف بالواقع المختل المخالف للدستور.

ما شكل الحزب الذي يريده الإخوان؟

- حزب مدني ذو مرجعية إسلامية، وعجيب جدًا أنهم يرفضون هذه المرجعية، وكل الأحزاب لها مرجعية، الشيوعية لها مرجعية، والليبرالية لها مرجعية... وهكذا.

هل سيتم الاستغناء عن الجماعة بشكلها الحالي بعد تأسيس الحزب؟

- الجماعة هيئة إسلامية جامعة، والسياسة فيها جزء صغير، فالحزب يعبر عن وجهة النظر السياسية للجماعة، والجماعة لها مشاريعها التربوية والاقتصادية و...، بمعنى أنها تقوم بواجبات كثيرة جدًا[1].

وبعد اعتقالات 2006/12/16م، التي طالت 40 من قيادات الجماعة، وعلى رأسهم النائب الثاني للمرشد (خيرت الشاطر)، والتلويح بمحاكمتهم عسكريًا، سئل أستاذنا عاكف:

هل هناك علاقة بين هذه الاعتقالات في رأيك وبين نيتكم إعلان مشروع حزب الجماعة الجديد، خصوصًا أن هناك تكهنات بأن القيادات المعتقلة مؤخرًا كانت تضع اللمسات الأخيرة عليه؟

- لا أحسب أن هناك علاقة بين الأحداث ونية الإعلان عن مشروع الحزب..

(1) مجلة (المجتمع)، ع 1652 - 21/5/2005م.

فموضوع الحزب سبق الإعلان عنه منذ فترة، ولكن - كما ذكرت لكم - هذه الأفعال لا يضبطها منطق أو عقل، قد تكون لإجهاض إعلان الجماعة برنامج حزب سياسي الشهر القادم[1].

وتجدد الحديث مرة ثانية عن الحزب في ربيع 2005م، وسئل أستاذنا، وأجاب كالعادة بتلقائيته المدهشة:

هل تسرَّع الإخوان في الإعلان عن نيتهم لتأسيس حزب، وهل شعروا بعدها بأنهم أخذوا خطوة متسرعة.. ندموا عليها؟!

- قرار الحزب لم يكن جديدًا، ولكنه موجود منذ الثمانينيات، ولكن ما أعلناه أننا سنعمل برنامجًا حزبيًا سياسيًا، ونعرضه على المفكرين كقراءة أولى حتى نعرف رؤيتهم في وجهة نظرنا وفكرنا للإصلاح في المجالات المختلفة، فنحن نريد الاستعانة بفكر الناس ليس أكثر من ذلك.. لكن على أي حال ليس لدينا حزب ولن نعلن عن حزب إطلاقًا.. وإنما سنعلن عن برنامج حزبي فقط، وسوف نسأل المفكرين بعد طرحه عليهم: هل يصلح هذا البرنامج أن يكون برنامجًا لحزب أم لا!

لكن هذا الكلام جديد.. وأول مرة تقولون إنكم لا تنوون تأسيس حزبًا؟

- نحن لن نتقدم بحزب إطلاقًا لا من طرف واحد ولا إلى لجنة شؤون الأحزاب، والكل رأى كيف رفضت لجنة شؤون الأحزاب (12) حزبًا مرة واحدة.

إذًا ما سر تراجعكم عن إعلان برنامجكم السياسي في الوقت الحالي وتأجيله ثلاث مرات على التوالي؟

- ليس هناك أي مشكلة في البرنامج؛ لأنه جاهز بالفعل، ولكن كل الظروف السياسية الحالية غير مناسبة.

(1) مجلة (المجتمع) ع 1732 - 22/12/2006م، ص16 - 19.

هل انضم إلى لجنة إعداد برنامجكم السياسي الحزبي أقباط ساهموا فيه بشكل واضح؟

- ربما!

ربما أكيد؟

- يا مرحبًا بهم[1].

وبعدها بعام تجدد الحديث عن الحزب مرة ثالثة، وقيل له:

لكن الجماعة أعلنت منذ فترة عن برنامج سياسي انتقده البعض من داخل الجماعة وخارجها.. فما مصيره؟

- اجتهدنا في وضع برنامج، وقمنا بتوزيعه على الناس ليقولوا رأيهم فيه، وأرسلوا رؤيتهم، واستفدنا منه كثيرًا، وهناك البعض هاجمونا، لكننا لا نعيرهم شأنًا، ولا نعتد برأيهم، وبخصوص الاختلافات، هناك ثلاثة مواضيع:

- أولهما موضوع (هيئة العلماء) التي طالب البعض بأن تكون منتخبة، وهي التي تنتخب شيخ الأزهر، وألا يكون المنصب بالتعيين، أما كون رأيها استشاريًا فهذا لا يعني أن يتكلم البعض عن ولاية الفقيه، هذا الكلام ليس له أساس من الصحة، ولم يحدث أن ورد في ذهننا.

- والنقطة الثانية هي المرأة ودورها بالنسبة لرئاستها الجمهورية، لا نتحدث إلا برأي الفقهاء، والبعض منهم رأى أنه يجوز أن تتولى المرأة رئاسة الجمهورية والبعض الآخر رفض، أفليس من حق الإخوان أن يختاروا أحد الرأيين ثم يعرضوه على الشعب وهو صاحب الرأى الأخير، نحن مع الشرع إذا اتفق على شيء نحن معه إما إذا اختلف نرد هذا الإختلاف إلى صاحب الحق وهو الشعب.

---

(1) ج (الدستور)، 2/5/2007م.

• وثالثًا هو (الأقباط) وتوليتهم رئاسة الجمهورية، أيضًا اختلف العلماء حوله فمنهم أجازه والآخر رفضه ونحن اخترنا الأمر الثاني ورددنا الاختلاف إلى الشعب.

تقصد أن الجماعة لا تمانع في ترشح المرأة أو القبط لرئاسة الجمهورية؟

- أنا اخترت عدم جواز الترشيح، لكن في النهاية رددته إلى الشعب وهو الذي يختار.

قيل إن هناك تعديلات على البرنامج، ولكن حتى الآن لم تخرج التعديلات إلى النور؟

- لست مستعجلًا... تعرفت على وجهة نظر الناس، وعلى رؤية الإخوان، وأكتب البرنامج بصيغة جديدة، وأنا أضع في ذهني كل هذه النصائح والتوجهات، لكن لست مستعجلًا لإصداره!

هناك من يقول إن تيارًا محافظًا داخل الجماعة رفض هذه التعديلات ما أوقف ظهور البرنامج؟

- لا المشروع لم يوقف، ثانيًا من يرفض يأتي إلينا، ويقوم بتسجيل ملاحظاته التي ترسل إلى اللجنة المؤسسة لوضع رؤيتها على هذه الملاحظات.

متى نرى البرنامج النهائي لحزب الإخوان؟

- مازال الوقت مبكرًا، وهناك أولويات، في الوقت الذي أعلنت فيه البرنامج كان له أولوية، أما الآن فليس له الأولوية[1].

وبعد ثورة يناير وسقوط مبارك ورموز حكمه، وعلى رأسهم المفسد الأكبر (صفوت الشريف) المختص برفض الأحزاب الجديدة، وتفجير الهياكل الحزبية الموجودة من داخلها، تقدم الكثيرون بطلبات لإنشاء أحزاب، وكان

(1) ج (الحياة اللندنية)، حوار: أحمد رحيم - أحمد مصطفى، 2008/5/11م.

في طليعتهم جماعة الإخوان، وسئل أستاذنا عاكف رغم تركه مسؤولية الإرشاد منذ عام وأكثر:

هل هذا المناخ السياسي هو الذي شجعكم على الإعلان عن تشكيل حزب سياسي؟

- الحزب السياسي مقرر إنشاؤه منذ عام 1984م، فمجلس شورى الجماعة وافق على فكرة الحزب، ولكنه ترك لمكتب الإرشاد اختيار الوقت، ولم يكن هناك وقت مناسب لأن لجنة إنشاء الأحزاب كان يرأسها أفسد الناس في مصر (صفوت الشريف)، ونحن رفضنا أن نقدم أي حزب في ظل هذه اللجنة الفاسدة، وطبعًا المناخ الحر الذي نعيش فيه الآن هو الذي شجّعنا على إقامة حزبنا السياسي.

وكيف سيعمل الحزب في ظل وجود الجماعة.. هل سيلغي الحزب الجماعة أو ستعمل الجماعة كجناح للحزب؟!

- الجماعة هيئة إسلامية جامعة تقوم بكل الأنشطة الرياضية والسياسية و...، وهذا شغل الجماعة.. أما الحزب فهو مثل أي حزب له أعضاؤه وبرنامجه وهيئته ولائحته، وسيكون هذا الحزب مستقلًا تمامًا عن الجماعة، وسيعمل في توجهه، ولن يلغي أحدهما الآخر، والاثنان هدفهما خدمة العالم الإسلامي كله.. والإخوان كانوا يديرون في وقت ما معظم النقابات المهنية مثل نقابة المحامين و...، هم كانوا يديرون النقابات بنفس اللوائح والقواعد التي تعمل بها النقابات والحزب أيضًا سيعمل بقواعد العمل الحزبي.

لكن حزبًا يحمل اسم "الإخوان المسلمون"، يعني ببساطة أنه حزب ديني وهو ما سيرفضه الدستور وبقية المجتمع؟

- المادة الثانية من دستور الدولة تقول إن الإسلام دين الدولة، والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، فهذا ألا يعني أن الدولة المصرية دولة دينية، فهي دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية، وهكذا حزب "الإخوان المسلمون" حزب مدني بكل لوائحه وقوانينه، مثل أي حزب سياسي، ولكن له مرجعية إسلامية مثل الكثير من الأحزاب الموجودة التي هي ذات مرجعية اشتراكية أو ليبرالية أو..)[1].

ونظرًا للحراك السياسي والجدل الفكري داخل جسد الجماعة، فكثيرًا ما كان يُسأَل أستاذنا:

أنتم تطالبون النظام بالديمقراطية، فهل الإخوان ديمقراطيون فيما بينهم، أليس هناك داخل الإخوان صراع بين الأجيال الثلاثة: الحرس القديم، وجيل الوسط، وجيل الشباب؟

- هذه نغمة مستهلكة، هل تظن أن جماعة مؤسسية لديها مؤسسات ومكتب إرشاد وكل حياتهم قائمة على الشورى والانتخابات من أول المرشد لأصغر شاب في أي قسم، جماعة بهذه المواصفات تعتبر الشورى خلقًا لها قبل أن تكون فرضًا، هل تتصور أن جماعة كهذه لا تكون ديمقراطية فيما بينها؟ قد نختلف بشدة، وقد تعلو أصواتنا، ولكن في نهاية الأمر نصل لقرار يجتمع عليه الجميع، وهذا - ما شاء الله - ببركة الشورى التي لا تجعل ما يشاع عن خلاف الأجيال له قيمة، أما اختلاف وجهات النظر بين الإخوان فهذا شيء أسعد به جدًا، ولذلك فإنني أسعد بمن يخالفني الرأي أكثر ممن يتفق معي؛ لأنه يفتح المجال لتأمل الأمور أكثر..[2].

وفي سؤال من صحيفة (الحياة اللندنية)، للأستاذ عاكف:

(1) مج (الشباب)، ع 405، 4/ 2011م، حوار: عزيزة أبو بكر.
(2) ج (العربي)، حوار: ماهر حسن، 26/ 8/ 2007م.

الجماعة تنتقد عدم تطبيق الديمقراطية في مصر، ولكن البعض يقول بأنها لا تطبق الديمقراطية بداخلها، حتى إننا لم نرَ المرشد السابق؟!

- أرجو أن أسمع بأنني مرشد سابق، ولكنهم متمسكون بي، أما أنا فأريد أن أسمع بأنني مرشد سابق، والجماعة لديها من القيادات المتميزة التي تستطيع أن تجلس على هذا الكرسي، ومن يقول بعدم تطبيق الديمقراطية داخل الجماعة لا يتعايشون معنا، فالإخوان جماعة مؤسسية قائمة على الشورى، من أول الأسرة إلى مكتب الإرشاد، وبالتالي إن أردت أن أكون مرشدًا سابقًا وأنا لدي من العمر حاليًا (80) عامًا فذلك لا يجوز إلا بالشورى، لكنها رغبة موجودة لديّ[1]!

وقد كان!.. وأصبح أستاذنا عاكف أول مرشد سابق لجماعة الإخوان المسلمين رغم محاولات الإلحاح الشديدة من الجماعة لإثنائه عن قراره!

وكانت البداية:

أصدر الإخوان المسلمين بيانًا رسميًا يوم الاثنين (2009/10/19م)، نفوا فيه الشائعة التي انتشرت مؤخرًا حول استقالة المرشد العام للجماعة، مؤكدين أنه لم يقدم استقالته من منصبه، كما زعمت وسائل الإعلام، وأوضح البيان أن (أعضاء مكتب الإرشاد وقيادات الجماعة يستنكرون مثل هذا الخبر، وبرغم نفيه شخصيًا في تصريح صحفي تم نشره مساء الأحد 18 أكتوبر على الموقع الرسمي للجماعة، إلا أن بعض وسائل الإعلام ارتضت أن تتخذ من الشائعات مواد للنشر، وارتكزت في تقاريرها الإخبارية على مصادر مجهولة، لتنسب للجماعة ومرشدها ما لم يحدث)[2].

---

(1) ج (الحياة اللندنية)، 2008/5/11م.

(2) الإخوان ينفون شائعة استقالة المرشد العام، مجلة (المجتمع)، ع 1874، 5 ذو القعدة 1430هـ، 2009/10/24م، ص12.

وأكد البيان أن (**المرشد العام حاضر بين إخوانه أعضاء مكتب الإرشاد وقيادات الجماعة ويمارس عمله بشكل اعتيادي**)[1].. كما أكد أن (**الإخوان المسلمون يعتزون بمرشدهم على رأس مؤسسات الجماعة التي تعمل وفق نظمها ولوائحها في ظل القيم الأخلاقية والإيمانية عبر تاريخها الطويل من الدعوة والنضال على طريق الإصلاح السلمي في إطار من الحب والتفاني وإنكار الذات**)[2].

ورفض المرشد العام الخوض في الرد على ما تردد بخصوص استقالته، قائلًا: (إن أمور الجماعة موكولة لأعضائها، وهم وحدهم المنوط بهم ترتيب شأنها الداخلي، أما مسؤولية الإعلام فهي أن يتابع أداء الجماعة في الشارع السياسي، وأن يرصد ما يتم من تجاوزات بحق الإخوان وذويهم من قبل النظام البوليسي الذي يحكمنا بقوانينه الاستثنائية؛ لأنه من غير المعقول أن يتحول خبر القبض على الإخوان إلى مجرد رصد دونما تحقيقات ومانشيتات تنتقد الظلم البيّن الواقع علينا بحجم مثيلاتها التي تملأ الصحف منذ سنوات عن انشقاقات وانقسامات واستقالات في صفوف الإخوان)[3]!

وتطور الموقف بسرعة من شائعة تم نفيها، إلى خلاف بين المرشد العام، وأعضاء مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، الذين لم يوافقوا على طلب المرشد العام بتصعيد د. عصام العريان لعضوية المكتب خلفًا للراحل الكبير الأستاذ محمد هلال، وكانت نقطة الخلاف بين الطرفين في تفسير لائحة الجماعة!... وانتقل الحدث ليكون في صدر أخبار النشرات التلفزيونية وعلى الصفحات الأولى من الصحف المحلية، وطاف العالم كله!

(1) نفس المصدر.
(2) نفس المصدر.
(3) المصدر السابق.

ونشرت الأذرع الإعلامية أن المرشد استقال، وأعطى صلاحياته لنائبه الأول، لكن سرعان ما ظهر فضيلته مكذبًا لنبأ الاستقالة، ومؤكدًا استمراره في المنصب حتى انتهاء ولايته في يناير القادم... ونفى أن يكون قد تنازل عن صلاحياته لنائبه الأول د. محمد حبيب، مؤكدًا أن د. حبيب - وطبقًا للائحة - يقوم بأعمال المرشد العام في حال غيابه، وقائلًا: (**إنه منذ تولي المنصب وهو يفوض أعضاء المكتب بل وبعض الإخوان - ومنهم شباب - في كثير من صلاحياته دفعًا للعمل ورفضًا للمركزية**)[1].

وبعد أن انجلت العاصفة السياسية، أجرى وكيل نقابة الصحفيين الأستاذ (صلاح عبد المقصود) ثلاثة حوارات صحفية مع فضيلة الأستاذ المرشد، كاشفة لتفاصيل الأزمة الأخيرة، بل وتطرق لموضوعات مثارة تخص البناء الداخلي للجماعة وعلاقتها بالنظام السياسي والقوى والأحزاب المصرية وموقفه من قضايا الأمة، وعلى رأسها قضية فلسطين.

وهذه المحاورات ليست تحليلًا للحوادث، وإنما هي أقرب أن تكون مجرد متابعة لها، بعد أن طوت الأزمة شراعها، بعدما شدت أعين المحللين السياسيين تحليلًا ورصدًا!

الحديث الأول:

أبدأ مع فضيلتكم بأحداث يوم الأحد، وما قيل عن طلبكم من مكتب الإرشاد على تصعيد د.عصام العريان لعضويته، وتفسير فضيلتك للائحة، وتفسير المكتب، وما قيل عن أنك استقلت من منصب الإرشاد ونفيك لذلك، ورغم ذلك نشرت وسائل الإعلام أنك تقدمت باستقالتك اعتراضًا على عدم استجابة المكتب لطلبكم بتصعيد د. عصام لعضوية المكتب؟

(1) المصدر السابق نفسه.

- القضية بسيطة جدًا، ولا تستدعي كل هذا الزخم الإعلامي الذي أخذته.. ببساطة، عندما توفي الأخ الكبير الأستاذ محمد هلال(رحمه الله) عضو المكتب، وحضرت في أول اجتماع لمكتب الإرشاد، طلبت اتخاذ إجراءات لتصعيد د. عصام العريان لعضوية المكتب، وخصوصًا أن ترتيبه كان السادس في الانتخابات التكميلية الأخيرة، والتي انتخب فيها خمسة أعضاء للمكتب، وحصل على أكثر من 40% من الأصوات، كما تقضي اللائحة، فوجدت المعارضة، وكانت وجهة نظرهم أن عندنا انتخابات لمجلس الشورى بعد أسبوعين أو أكثر لانتخاب مكتب الإرشاد، ولا داعي لتصعيد د. عصام، وليترك الأمر للانتخابات طبقًا لتفسيرهم للائحة، أما وجهة نظري فكانت أنه يجب أن يصعد فورًا، ثم تجرون انتخابات (على مهلكم) يتم انتخابه فيها أو لا ينتخب، فذلك أمر متروك لمن ينتخبون، وخصوصًا أنه كان بودي أن يتم انتخاب مكتب إرشاد جديد قبل أن تنتهي ولايتي، فوجدت معارضة شديدة، ولا أكتمك أنني لم أقبل هذا، وخصوصًا حينما أجد إجماعًا من المكتب كله.. وقلت لهم: كيف أكون مرشدًا، وتقولون لي: اللائحة؟ نحن الذين وضعنا اللائحة، واللائحة لها مجالاتها ولها آلياتها، نحن محرومون منها، نحن مطاردون، ولا نقوم بتطبيقها على الوجه الأكمل بسبب المناخ الظالم الذي نعيش فيه.

وأضاف المرشد:

الشورى لها آلياتها، وحينما قلت: إن الشورى فرض وخلق، أقصد أننا محرومون، ولو كانت الشورى مسألة مختلفًا عليها بيني وبين إخواني، كان من السهل جدًا أن أجمع مجلس الشورى وأعرضها عليه، ويكون رأيه هو الحكم بيني وبينكم، و لكني لا أستطيع بسبب القمع الأمني.

لكني أقول من أول يوم: أنا مع الشورى ومع أضعف الرَّكْبِ، وفي كثير من الأحيان، أرى أن أداءنا غير جيد، وليس على المستوى الذي يجب أن يكون،

ولكن طبيعتي أن أسير مع أضعف الركب وأحتمل، أما هذه المرة فلم أحتمل، فخرجت وأخذت أسبوع راحة لأفكر تفكيرًا جيدًا، ثم عدت إلى المكتب، ولأني أحبّ أحبابي الذين يعاونونني في كتابة الرسالة الأسبوعية، وأحترمهم جدًا؛ لأنهم مجموعة من المستشارين الشباب المثقفين الذين لا يتغيب منهم أحد منذ توليت رئاسة مكتب الإرشاد حتى اليوم، سطّرت رسالة كنت أود أن أعتبرها آخر رسالة، لكن لم أحب أن أعلنها إلا في هذا المكان الذي يعاونني فيه كُتّاب رسالتي الأسبوعية، ولم أكن أريد أن أخرج بها بنفسي، فاجتمعت بهم، وقلت: هذه رسالتي، استمعوا إليها، وقرأت الرسالة وسجّلوها، وكان عندي بعدها اجتماع مع بعض السياسيين، فانتقلت من مكاننا الذي نجتمع فيه إلى مكان الاجتماع مع السياسيين.

مع حركة (مصريون من أجل انتخابات حرة)؟

- نعم، وكان د. عبد الحليم قنديل - منسق حركة كفاية - حاضرًا مع بعض الإخوة السياسيين من تيارات متنوعة، واجتمعت معهم لساعة ونصف الساعة، ثم صلينا الظهر. وبعد ذلك، أَحْضَرَ لي الفريق الذي يعاونني في كتابة رسالتي وجهةَ نظرٍ مكتوبة، فقرأتها، فتفضّل أحد الأخوة وقال لي: ألا تعطيني فرصة لإعادة صياغتها؟ فأعطيته فرصة، فأنا لست مستعجلًا.. لكني فوجئت أن الدنيا كلها انقلبت، وإذا بالناس والصحافة يتناولون الموضوع، وأناس يسجّلون الموضوع بالصوت والصورة، ويذيعون في الدنيا أن مهدي عاكف استقال!!

هذا لمجرد أني جالس مع الإخوان أقول لهم ما في نفسي.. أليس من حقي أن أتحدث مع إخواني وأقول لهم ما أريد؟! لكنه التصنّت علينا بالصوت وبالصورة يا أخي!! لم أكن أتوقع ما نشر، والصحفيون منتظرون تحت البيت بالساعة والساعتين، وكان عندي يومها لقاء تلفزيوني مع قناة (النرويج)،

والبيت مكتظ، فطلبت الأخ المسؤول عن موقع الإخوان الإلكتروني، وأمليت عليه التصريح النافي لما تردد عن الاستقالة، وسألت وسائل الإعلام: لماذا أنتم مشغولون بنا؟ ألا تنشغلون بالبلاء الذي تعيش فيه البلاد، والـ 320 معتقلًا من أبناء هذه الأمة المخلصين؟ بدلًا من أن تهتموا بعاكف والجماعة وكل ما يحدث بها، هذا شيء داخلي لا شأن لكم به.. وأريد أن أقول لك: لا يكدر الأخوة ولا الحب ولا متانة التنظيم أن أختلف معك، ليس عيبًا أن نختلف، أو نخطئ، إنما الزخم الإعلامي هذا من أين أتى؟ على رأى (فهمي هويدي): ما هذا؟ الأخبار في النشرات التلفزيونية والصفحات الأولى كلها إخوان مسلمين وعاكف..؟!

وبعد أن كتبت التصريح الأول، امتنعت عن الكلام أو إصدار أي تصريح. ونظرت، فوجدت الصحافة لم تتوقف.

أما تفويض د. محمد حبيب، فأنا منذ أن توليت الإرشاد، وهناك صلاحيات أفوض بها الأعضاء.

وقد سئلت مرة: ما صلاحيات مكتب الإرشاد؟ فقلت لهم: هي صلاحيات المرشد، فأنا أعطيت صلاحياتي لكل أعضاء مكتب الإرشاد، كل في موقعه وكل في مجاله.

صحفي قال لي مرة: وأنت ماذا تفعل؟ قلت له: كل هذا يعود إليّ في النهاية، ولا يُقضَى أمر إلا بموافقتي، وبالعكس، فقد أعطيت صلاحيات لجميع الإخوان كبيرهم وصغيرهم أن يتحدثوا عن الإخوان المسلمين دون الرجوع إليّ ودون إذني.

لكن فضيلتك وافقت على رأي المكتب الذي فضل انتظار تصعيد د. عصام لأخذ رأي مجلس الشورى؟

- لا.. لا.. حتى الآن أنا لم أوافق على تفسيرهم، لكني التزمت بقرار الأغلبية.

حضرتك محتفظ برأيك وتفسيرك للائحة أن من حق الدكتور عصام أن يصعد؟

- ومن حقي أنا كمرشد أن أطلب مثل هذا، فلا يعارضونني؛ لأنه أمر ليس فيه مخالفة للائحة، والشورى لا بد لها من آليات، فموضوع مثل هذا كان من الممكن أن أجمع له مجلس الشورى وأعرضه عليه ليتم حسمه.

لكن الظروف لم تساعدك؟

- أنا منذ جئت وأنا أحاول تغيير مكتب الإرشاد لدرجة أنني قلت لهم: إن أيام الأستاذ حسن البنا والهضيبي كانت مدة مكتب الإرشاد سنتين، وكانت هناك وجوه تدخل وأخرى تخرج من المكتب.

يعني فضيلتك مع التغيير والتجديد للأعضاء؟

- منذ أن توليت وأنا أقول لهم: يا إخوان نريد التغيير، نريد إجراء انتخابات بأي شكل، فوافقوا في العام الماضي وأجرينا انتخابات تكميلية لاختيار خمسة أعضاء للمكتب، وكانت على أعلى مستوى من النزاهة والشفافية، ونجح خمسة، وكان د. عصام السادس، وكنت أتمنى قبل أن أمشي أن أرى تجديدًا في المكتب بصورة أكبر؛ لذا اقترحت على إخواني في المكتب تعديل اللائحة، بحيث تكون عضوية مكتب الإرشاد لا تزيد على دورتين فقط، ووافق مجلس الشورى على هذا التعديل ووضعناه في اللائحة.

فضيلة المرشد.. من وراء إشاعة استقالتكم.. من وجهة نظركم؟

- أنا لم أستقل، إنما عندما كنت أتكلم وهذا من حقي، فمن الممكن أن يكونوا قد فسّروا كلامي على أنه استقالة.

من الذي له مصلحة في استقالتكم؟

- أنا والله لا أدري، وكلها شهران أو ثلاثة وسأترك الموقع كما أعلنت في مارس الماضي.

وأنت الذي طلبت رغم إلحاح الإخوان على بقائك؟

- ومُصِرّ على ذلك، أنا أفعل ذلك لأخفّف الضغط على نفسي، فأنا لا أنام، تصوّر ماذا لو كان حبيبك وعزيز عليك ويطلب منك البقاء في موقع المرشد؟ يصبح صعبًا عليك أن ترفض، فأنا عندما أردت أن أحسم الأمر مبكرًا، وقلت: إنني لن أبقى لفترة ثانية، تعبت من كثرة الإلحاح عليّ بالبقاء.

مِن مِصر فقط أم بقية الأقطار؟

- من العالم كله، لماذا؟ أنا أقرر مبادئ مقتنعًا بها ومؤمنًا بها.

ولماذا اخترت عدم التجديد؟ وماذا تريد أن توصل من خلال هذه الرسالة، سواء للشأن الداخلي أو الخارجي؟

- أوصي إخواني أن يتقدموا ويكونوا أقوياء، بمبدأ التغيير، الدنيا تتغير، فإن لم نكن نحن قادة هذا التغيير فمن يكون؟!

ولذلك في رسالتي قلت: أيها الأحباب، لا تهابوا التغيير، فالتغيير بركة، أما (الإِلْفُ) فهو يقتل المُثُل العليا، إياكم و(الإِلْف)، فأنا أدعو الإخوان إلى التغيير، وخصوصًا أن المستقبل لهذا الدين، والمستقبل للإخوان المسلمين، لما يحملونه من مبادئ ومن دين عظيم آمنوا به، ومن منهج راق حملوه ومشروع حضاري لخدمة الإنسانية لا مثيل له على الساحة، أنتم الأعلون، أنتم معكم كل الخير، لا أحد يقدر أن يقف أمامكم، لماذا تهابون المستقبل، لا تهابوه واقتحموه بما لديكم من خير.

لكن طالما أنك قادر على العطاء ولم تتول إلا ولاية واحدة، فلماذا لم تجدد الولاية واللائحة تعطيك هذا الحق؟

- يا سيدي أنا عمري (81) عامًا، وكنت أود وأنا عندي 80 سنة اعتزال المسؤولية، وأكون جنديًا عاديًا، ربما أُعطي الإخوان أكثر مما أكون قائدًا، لماذا أظل مرشدًا حتى أموت؟!

هل تريد أن ترسي قاعدة للإخوان؟

- ولغير الإخوان.

أي أنها رسالة أيضًا للنظام؟

- لا، لا أفكر في النظام، فلا فائدة منه، أنا أفكر في إخواني ومستقبلهم.

نعلم عنكم أنكم ضد مركزية العمل، وأنكم تنتهجون أسلوب الإدارة بالتفويض، وتوزيع الملفات على أعضاء المكتب، لماذا قيل: إنكم أعطيتم صلاحياتكم أو معظمها للنائب الأول د. محمد حبيب؟

- شيء عجيب جدًا، أنا قلت: منذ توليت المنصب وأنا أفوض أعضاء المكتب كلًا في موقعه، وكلًا في مسؤولياته في كل صلاحياتي.

يعني هذا أمر قديم لا علاقة له بموضوع تصعيد د. عصام؟

- نعم قديم، ثم إن الذي يقوم بأعمالي في غيبتي النائب الأول طبقًا للائحة، ليس من اليوم، بل من يوم توليت الإرشاد، يعني أنا لو تغيبت لأي سبب، النائب الأول هو من يرأس الاجتماعات، وهذا الذي أستغربه، ما الجديد؟ والناس يقولون: تفوّض أعمالك وصلاحياتك للنائب الأول. وأنت (أي المرشد) أصبحت لا تصنع شيئًا؟ هذا شيء في غاية السوء، وهذا شيء قديم في سلوكياتي وأعمالي، ليس فيه جديد.

أعلنتم أنكم ستتركون منصب الإرشاد في يناير القادم، ماذا لو حالت الظروف دون اختيار مرشد جديد.. الظروف الأمنية، خصوصًا أن هناك ما يقرب من 30% من أعضاء شورى الإخوان في السجن الآن؟

- أقول: من وجهة نظري لا تستطيع أية قوة، وأي تصرف أمني أن يحول دون إجراء الانتخابات، سأجريها ولو بالتليفون أو الإنترنت، فعندنا وسائل كثيرة لأخذ رأي أعضاء مجلس الشورى، الأصل في اللائحة أن يجتمع المجلس، ولكن ماذا لو حالت الظروف؟ لن أقف مكتوف اليدين.

السؤال يا فضيلة المرشد: أين سيكون موقعكم بعد أن تتركوا منصب المرشد العام؟

- هذه حاجة ظريفة.. سأكون في الصف مع الإخوان جنديًا.

بعد أن كنت مرشدًا عامًا؟ وتلتزم بما ستكلف به من قيادة الجماعة؟

- الأسهل عليّ أن أُكلَّف بدلًا من أن أُكلِّفَ غيري!.

هل هذا يريحك أكثر أنك تتخفف من المسؤولية أمام الله؟

- لا... المسؤولية على دماغي، وأنا جندي مثل ما أنا قائد. ولي مسؤوليتي، ولكن لكل مكان أوصافه وحدوده، أنا مرشد فمسؤولياتي عن الإخوان كذا كذا، وحدودها كذا وكذا. وأنا جندي مسؤوليتي عن الإخوان مثل وأنا مرشد، لكن هناك حدودًا، أنا مسؤول أن أؤدي واجباتي نحو الإخوان والدعوة إلى الله، والدعوة إلى مبادئ الإخوان مثل المرشد بالضبط.

رغم السن والأعباء... ستبقى جنديًا عاملًا للدعوة؟

- نعم، سن ماذا؟ أنا فقط سأتحرر من الالتزام بأوقات محددة، وواجبات يومية، (خلاص بقى عندي فسحة سأؤدي واجبي نحو الإخوان) أنا على أبواب الآخرة، يعني عملنا للآخرة لا يغيب عنا، كما لم يغب عنا في الماضي، لكن هذه الأيام يبقى أكثر إن شاء الله.

فضيلة المرشد.. تم انتخابكم في 2004/1/14م، والمفترض أن تنتهي ولايتكم ظهر يوم 1/13، ما تقييمكم لهذه الفترة لجلوسك على رئاسة أكبر حركة إسلامية في العالم؟

- لا يجوز لي أن أُقوِّمها أنا، وأعتبر نفسي مقصرًا، ولم أستطع أن أقوم بما كنت أود أن أقوم به.

هل يمكن أن تقدم لنا كشف حساب بأهم ما وفقك الله إليه في هذه الفترة، نحن لاحظنا أن الجماعة - والحمد لله - صعدت لأول مرة في تاريخها، وحصدت 20% أو أكثر من مقاعد البرلمان، والإخوان نزلوا في هذه الفترة إلى الشوارع، وكان الإخوان لا يعرفون الشارع إلا عبر النقابات والجامعات، لكن أنت بجهدك - بفضل الله - استطعت أن تُحرّك.. ألا تشعر أن هذه إنجازات؟

- هي بفضل الله، الذي هيأ الظروف العالمية والداخلية التي سمحت بهذا، أما تقييم فترتي، فالآخرون يُقيّمون، أنا لا أُقيّم.

لكن، ألا تشعر بشيء من الرضا عن الجماعة في فترة ولايتك، التي حقّقت هذا الزخم السياسي والاجتماعي والإعلامي؟

- وجهة نظري أنا، أن الله وفقنا في أن نظل مستمرين حاملين هذه الراية، هذا هو توفيق الله لنا، لم نتنازل عنها، ولم نقبل بحال من الأحوال أن يغيب الإخوان عن الساحة المحلية والعالمية[1].

الحديث الثاني:

فضيلة المرشد، في العام القادم ستُجْرَى انتخابات (مجلس الشعب) (الغرفة الأولى في البرلمان)، وفي المجلس الحالي تمثل كتلة الإخوان القوة الثانية (88) مقعدًا، حيث يشكلون نسبة 20% من النواب، وأحزاب المعارضة مجتمعة (24 حزبًا) لهم 9 مقاعد فقط.. فماذا تتوقعون للإخوان في الانتخابات القادمة؟

(1) حوار: صلاح عبد المقصود/ فضيلة المرشد العام للإخوان عاكف يتحدث للمجتمع (1) - ع 1875 - 12 ذوالقعدة 1430هـ - 31/10/2009م، ص 14 - 19.

- أن نتوقع شيء، وإرادتنا شيء آخر.. فنحن نتوقع - إذا استمر الاستبداد والفساد بهذه الصورة - حدوث (كارثة)، كما حدث في الانتخابات المحلية الأخيرة، وكذلك انتخابات مجلس الشورى (الغرفة الثانية في البرلمان).. أما إذا كان هناك نوع من الممارسة العقلانية والمنطقية فسندخل الانتخابات، ونحصد منها ما استطعنا، ولكن الواقع ينذر بأنه إذا استمرت الحال هكذا فستكون الانتخابات القادمة (كارثة) بكل المقاييس.

إذا كنتم تتوقعون تزوير الانتخابات، فهل هناك جدوى من المشاركة فيها؟

- أنا لا أتخذ مثل هذه القرارات إلا بمشاورة جميع الإخوان في القطر.

مشاورة جميع الإخوان؟!

- نعم، في القطر كله.

ليس أعضاء مكتب الإرشاد فقط، ولا أعضاء مجلس الشورى فقط؟

- لا، لا، بل جميع الإخوان.. كل الإخوان في المكاتب الإدارية بالمحافظات وأعضاء مجلس الشورى يجب أن أستشف رؤيتهم قبل اتخاذ القرار.

وفي النهاية استشفاف الرؤية هذا يكون ملزمًا لكم؟

- بالنسبة لنا، أنا دائمًا أحترم رأيهم.

رأي الأغلبية؟

- نعم.

فضيلة المرشد، في الأسابيع الأخيرة أصر الإخوان على إجراء الانتخابات في الشُّعب والمناطق والمكاتب الإدارية، رغم إقدام سلطات الأمن على اعتقال العديد من قيادات الجماعة بالجُملة، وعدد من مسؤولي المكاتب الإدارية، ففي محافظات القاهرة الكبرى مثلًا اعتقل الستة المسؤولون؟

- نعم، كل المكاتب الإدارية، وطلع الصف الثاني، فقبضوا عليه، وطلع الصف الثالث، فقبضوا عليه أيضًا، ثم طلع الصف الرابع!!

وأنتم مصرون؟

- ونحن مصرون، فنحن لا نتغير إطلاقًا بحال من الأحوال مهما استبدوا.

لماذا؟

- لأننا منتصرون في النهاية بإذن الله.

أترون أن لكم شرعية شعبية رغم أنكم حركة (محظورة) كما يرددون؟!

- نحن الجماعة الشرعية الوحيدة، من الذي يعطي الشرعية؟ الشعب هو الذي يمنحها، بدليل أن جميع القوى السياسية في الداخل والخارج يقولون: إن القوة المنظمة الوحيدة في مصر هي الإخوان المسلمون، فالشعب هو الذي أعطاها الشرعية، لا رئيس جمهورية لديه شرعية، ولا النظام لديه شرعية، فالشرعية لابد أن تأخذها من الشعب وليس بالتزوير ولا بالقمع والاستبداد.

فضيلة المرشد، بعض الأقلام وبعض التقارير الإعلامية تقول: بها محافظون وإصلاحيون، صقور وحمائم، منغلقون وانفتاحيون.. ماذا تقول بعد خبرتك الطويلة في صفوف الإخوان؟

- كل هذه الأوصاف من خيالهم، ليس لها وجود في صفوف الإخوان، فكلنا أبناء دعوة واحدة، وتربينا على مائدة واحدة، ولكن أهذا يمنع أن يكون لكل واحد منا رأيه الشخصي؟ فالأبناء يعيشون في بيت واحد ويكونون مولودين من أب واحد وأم واحدة ويأكلون في طبق واحد، ولكن كل واحد له رأى ويفكر بطريقته.. وأنا سعيد بهذا، أن يكون في الإخوان هذا التنوع في الآراء والفكر والأسلوب.

أيسعدك اختلاف الرأي في مكتب الإرشاد ولا يغضبك؟

- نعم، وعندما أجدهم كلهم على قلب رجل واحد أقول: قف، هناك شيء خطأ!.. وفي موضوع د. عصام العريان لما وجدتهم كلهم مجمعين، قلت: قف، يوجد خلل هنا.

هل أنت مع تنوع الآراء واختلاف الأفكار لإفراز أفضل رأي ممكن؟

- نعم، إنما حين أجد إجماعًا حتى لو كان فيه مصلحة أشك في الأمر، وأقول: قف، وأعيد فيه النظر.

هناك ما يثار عن وجود تربيطات وتكتلات داخل مكتب الإرشاد، وأن أمين عام الجماعة د. محمود عزت يسيطر ويهيمن على الأمور.. فما تعليقك؟

- لا، هذا ليس صحيحًا، لأن د. محمود رجل طيب وعاقل، وأحسبه من المخلصين[1].

الحديث الثالث:

فضيلة المرشد، ورقة (الحزب السياسي) ما زالت تراوح مكانها، فمرة يلوح الإخوان بها، ومرة أخرى يضعونها في الإدراج، فما الموضوع؟!

- لقد قلنا: يجب أن نعمل فكرنا، وننظر لمستقبل هذه الأمة، وما الذي تحتاج إليه؟ ففكرنا أن نضع مشروعًا لحزب سياسي، وكتب الإخوان صيغة مبدئية للمشروع، طبعت منها خمسين نسخة، وأرسلتها إلى خمسين مفكرًا وسياسيًا، وقلت لهم في خطابي، هذه قراءة أولى لمشروع برنامج، ويشرفني أن استنير بآرائكم وفكركم، وأرجو أن تصلني رؤيتكم فيها... ولكني فوجئت بأن الصحافة أبرزت النقاط المختلف عليها، فاتصلت هاتفيًا باثنين أو

(1) حوار: صلاح عبد المقصود: محمد مهدي عاكف للمجتمع (2)، ع 1876، 19 ذو القعدة 1430هـ، 7/11/2009م، ص24-29.

ثلاثة من الذين أرسلت لهم المشروع، وقلت لهم: أهذا يليق؟ لقد أرسلت لكم وأردت رأيكم في رسالة خاصة، فلماذا تردون بملاحظاتكم على صفحات الصحف؟! وكلهم بلا استثناء قالوا: نأسف جدًا، نحن أخطأنا.. علمًا بأن هناك آخرين أرسلوا إليّ أرائهم - وكانت آراء محترمة جدًا - في خطابات خاصة، ردًا على خطاباتي الخاصة، وقد كان هدفي من هذا تحريك الإخوان، ليفكروا ويعملوا مع الناس خارج دائرتهم، ليس من أجل الحزب؛ لأن الحزب مصيره معروف، فحزب (الوسط) يحاول منذ عشرين سنة، ولم يعط الترخيص حتى الآن.

فما الهدف؟

- تشغيل العقول.

وأن تقول لمن ينتقد الإخوان ويدعي أنه ليس لديهم برنامج، تقول له عندنا برنامج شامل؟

- نعم، بالإضافة إلى استطلاع آراء الناس في عمل مشروع سياسي... ولكن الطريق مسدود أمام تشكيل حزب سياسي للإخوان المسلمين.

هل تقصد أن النظام لن يسمح بذلك؟

- طبعًا، وأنا بالمناسبة كلما يأتي ذكر (مجلس الشعب) (الغرفة الأولى في البرلمان) أتذكر الأستاذ عمر التلمساني (المرشد الثالث للإخوان)، حيث كان يرى أن (الشورى مُعْلِمَة، وليست مُلزِمَة).. وأنا بعد ذلك طبعًا لم أتفق معه، فقد كنت شابًا وقتها، لكن حين كبرت وجدت أن الشورى تحتاج شيئًا آخر، تحتاج إلى خلق، فإن لم تكن الشورى كفرض مدعومة بأخلاق تصبح خطرًا، فتذكرت مجلس الشعب والأغلبية فيه، وأريد فقط تذكير الإخوان بأن الشورى محكومة بأخلاق.

اسمح لي، أهم قضيتين تم الاختلاف عليهما في برنامج الحزب كانتا ترشيح المرأة، وترشيح الأقباط (النصارى)، فما موقفك منهما؟

- أنا فرد، والجماعة - كجماعة - ملتزمة بشرع الله، وحين تأتي قضية في شرع الله يرد فيها قولان أو ثلاثة، أعتقد أن من أبسط القواعد أن من حق الجماعة أن تختار.

تختار وتلزم نفسها بهذا الاختيار، لكن هل تلزم غيرها؟

- نعم، تلزم نفسها، فلما تطرقنا لقضية المرأة قلنا: إن الآراء اختلفت فيها، فهناك آراء تجيز أن تتولى المرأة رئاسة الجمهورية، وآراء أخرى لا تجيز، فاختار الإخوان عدم الجواز، ثم بعد ذلك اشترطنا شرطًا.. هذه رؤية الإخوان، وليست رؤية الشعب، صاحب القرار النهائي حينما تعرض قضية، فهو صاحب القرار وليس الإخوان.

أقصد أنك لن تقف ضد ترشيح امرأة من غير الإخوان؟

- إطلاقًا.

ولا قبطي (نصراني)؟

- إطلاقًا.

يعني القرار للشعب؟

- شيء عجيب، أصحاب النفوس المريضة لا يعجبهم هذا التوضيح، أيوجد توضيح أكثر من هذا؟! أنا أقول: هذه رؤيتي، وهذا من حقي.. فلن أرشح امرأة من الإخوان، ولن أنتخب قبطيًا رئيسًا عليّ، أما أن القبطي يريد ترشيح نفسه فليفعل، والمرأة تريد ترشيح نفسها فلتفعل هي أيضًا، فلن أقف ضد أي منهما، وعندما يختار الشعب فهو حر.

فضيلتك أمضيت ما يقرب من 65 عامًا في صفوف الإخوان.. بعد هذه الأعوام المباركة، ما وديعتك التي تودعها الإخوان الآن وأنت على رأس الجماعة، وتريد أن تترك منصب القيادة وتتحول إلى موقع الجندية مرة أخرى؟

- أقول لهم: أيها الأحباب، إن المستقبل لكم ولهذه الجماعة التي تحمل رسالة السماء بمنهج متفرد، وبمشروع حضاري لإنقاذ الإنسانية، فلا تهابوا ولا تخافوا ولا تحزنوا، واحملوا الخير للمستقبل بما حباكم الله من رجال ونساء وشباب ذوي مستويات راقية في كل المجالات بما لديكم من تاريخ ناصع روته الدماء من سالف الأعوام حتى اليوم، منذ استشهاد حسن البنا، مرورًا باستشهاد عبد القادر عودة ومحمد فرغلي وإبراهيم الطيب وهنداوي دوير ومحمود عبد اللطيف وسيد قطب ومحمد هواش وعز الدين القسام وأحمد ياسين وسعيد صيام وغيرهم من آلاف الشهداء الذين روت جماعة الإخوان المسلمين شجرتها من دمائهم الطاهرة.. فاحرصوا على أن تظل هذه الشجرة الوارفة صامدة قوية تعطي الخير، ليس في بلادنا فقط، بل للإنسانية كلها، وفي سبيل ذلك لا تهابوا التغيير بل غيروا وتقدموا؛ لأن السكون فيها موات، أما الحركة فهي تأتي بالخير.

وما رسالتك لإخوانك خلف الأسوار؟

- الله أكبر ولله الحمد، هؤلاء هم أحبابي، أعتذر إليهم لأني مقصر في حقهم، ولا أستطيع أن أقوم بواجبي الكامل نحوهم، ولكن ليقبلوا ضعفي وقلة حيلتي، وبثباتهم وصبرهم نستمد بعد الله بهم وجودنا وقوتنا واعتزازنا بما نحن عليه.

هناك سؤال نسيت أن أطرحه في سياقه، وهو أن أحد الكتاب قال: (إن الجماعة تمر الآن بمرحلة شيخوخة)، فهل تراها شاخت وكبرت أم ما زالت حيوية متجددة وأنها الحركة الوحيدة الشابة؟

- الحركة تعيش بدماء شبابها، فهم يظنون أننا شيوخ، لكن قلوبنا وعقولنا - ولله الحمد - لا تزال شابة، والجماعة لا تسير بشيوخها، وإنما تسير بشبابها، الذين تربوا على مائدة واحدة مع شيوخها.. وانظر إلى أية جنازة، أي نشاط، أي مؤتمر، ستجد الشيخ الذي جاوز الثمانين مع الشاب ابن الخمس عشرة سنة جنبًا إلى جنب.

يعني فكرة صراع الأجيال غير موجودة في جماعة الإخوان؟

- هذا كلام العلمانيين، والأحزاب التي تتوسل هنا وهناك.. نحن تربينا على مائدة واحدة هي كتاب الله وسنة نبينا (ﷺ)، بفكر ومنهج الإخوان المسلمين وهو منهج مكتوب معلوم.

هل تؤيد تشجيع الشباب لشغل مناصب قيادية بالجماعة؟

- بالتأكيد، فقد كنت شابًا وأقوم بمهام ضخمة أكثر مما أقوم به الآن وأنا مرشد عام، وكنت أترأس أقسامًا للإخوان المسلمين، وأنا في الثانية والعشرين، وقدت معسكرات الجامعة كذلك في هذه السن أيضًا، وكنت رئيسًا لقسم الطلاب والشباب وأنا في الرابعة والعشرين، ودخلت السجن وأنا في السادسة والعشرين، وحكم على بالإعدام في هذه السن، فالشباب بركة وقوة.. وفي بعض الأحيان أعود بالذاكرة إلى الوراء، وأقارن بين أدائي في ذلك الوقت وأدائي في هذه الأيام، وأقول في نفسي (ما أقعدني إلا هذا الاستبداد) والحمد لله رب العالمين، الذي حفظ لنا تفكيرنا ورسالتنا وقدرتنا على العمل الإصلاحي.

وهل تشعر بالأمل في المستقبل؟

- نعم، فالمستقبل لنا بإذن الله، وسأقول لكي شيئًا، لقد كنا (الإخوان) ملء السمع والبصر حتى عهد جمال عبد الناصر (ثاني رئيس جمهورية بعد إعلان

الجمهورية)، الذي غيبنا عن الساحة عشرين عامًا، ثم عدنا أقوى مما كنا، واليوم أنظر حالنا (الإخوان)، وماذا يقول الناس عنا هنا في الخارج.

القوة الرئيسية؟

- في العالم، ليس في مصر فقط، بل في العالم والحمد لله رب العالمين.. وكل المظاهرات التي قامت من أجل غزة في العالم كله كان في قلبها الإخوان، والحمد لله أولًا وأخيرًا[1].

وبعد خمس أسابيع، أعلن المرشد العام للإخوان المسلمين محمد مهدي عاكف تشكيل مكتب الإرشاد الجديد في بيان رسمي يوم 2009/12/21م، أن الانتخابات أجريت طبقًا لقرار من مجلس الشورى العام للجماعة.

وقال في البيان: (تعلمون جميعًا أننا أجرينا انتخابات تشكيل مكتب إرشاد جديد للجماعة في الأيام القليلة الماضية، وذلك بعد استطلاع رأى مجلس الشورى العام، وكان رأى أغلبية المجلس أن يتم انتخاب كامل لمكتب الإرشاد الآن... ونزولًا على رأى مجلس الشورى، واحترامًا للشورى كمبدأ إسلامي أصيل، وإعمالًا للائحة والمؤسسية، فقد قمت شخصيًا بتشكيل لجنة لإجراء هذه الانتخابات من أعضاء مجلس الشورى تحت إشرافي، وتمت هذه الانتخابات بحمد الله بالطريقة المناسبة، رغم الظروف التي نعيش فيها)[2].

وعن وضع كل من م. خيرت الشاطر - النائب الثاني للمرشد العام - ود. محمد علي بشر - عضو مكتب الإرشاد - المحبوسين في القضية رقم 2 (لسنة 2007م جنايات عسكرية).

---

(1) حوار: صلاح عبد المقصود: محمد مهدي عاكف للمجتمع (3)، ع1877، 26 ذو القعدة 1430هـ، 14/11/2009م، ص20 - 22.

(2) كتب: أسامة عبد السلام، المرشد العام للإخوان يعلن تشكيل مكتب الإرشاد الجديد، مجلة (المجتمع)، ع 1882، 9 المحرم 1431هـ، 26/12/2009م، ص10.

قال المرشد العام: (إن ما أعلن هو نتيجة الانتخابات التي تمت مؤخرًا، أما الأخوان الكريمان فإنهما ما زالا يحتفظان بموقعيهما في مكتب الإرشاد)، حيث تقول مادة اللائحة المختصة بهذا الشأن: (لا تسقط عضوية المكتب عند تعرض العضو للحبس والاعتقال السياسي، لحين انتهاء هذه الظروف، وفي حال زوال السبب يعود لممارسة عضويته حتى ولو أدى ذلك إلى زيادة عدد أعضاء المكتب عما ورد في هذه اللائحة ويتم جبر الزيادة عند أول خلو)[1].

وقال المرشد العام: (لقد مرت على الجماعة في الأسابيع القليلة الماضية ملابسات وأحداث كثيرة، صبرنا عليها، وعانيتم أيها الإخوان منها ومن تضارب التصريحات فيها، ومن المناخ العام الذي أوجدته، ولكنكم - بفضل الله - صبرتم عليها، وأعانكم على هذا الصبر التزامكم بأصول وأعراف الجماعة، وبأركان بيعتها التي أرساها الإمام المؤسس حسن البنا)[2].

وأدلى الدكتور عصام العريان بشهادته حول العاصفة السياسية التي ألمت بالجماعة طيلة شهرين كاملين، وسط قصف إعلامي كثيف، وملاحقات أمنية متواصلة، وجدل عارم لم يهدأ، وكان نهايته خلاف بين المرشد العام وغالبية مكتب الإرشاد حول تصعيده، ثم بين النائب الأول للمرشد د. محمد حبيب وغالبية أعضاء المكتب في مرحلة الإعداد للانتخابات، وبينه وبين المرشد أيضًا على موعد الانتخابات وآلياتها، قائلًا:

(... كان من المقرر أن يرحل المرشد في هدوء ويترك موقعه للنائب الأول د. محمد حبيب حتى يحل موعد الانتخابات القادم بعد ستة أشهر في يوليو 2010م، ولكن من الواضح أن غالبية المكتب القديم لا تتوافق مع النائب الأول في كثير من الملفات وطريقة إدارة العمل، وتفجرت تلك الخلافات عقب عيد الفطر،

(1) نفس المصدر.

(2) نفس المصدر.

وتطايرت الأحاديث الصحفية من أطراف الخلاف الذي ظهر للعلن في سابقة أخرى لم يعاهدها الإخوان في عصرهم الحديث، وإن كانوا مروا بها في تاريخهم القديم والوسيط في عهدة الإمام البنا وخليفته حسن الهضيبي (يرحمهما الله).

لتلك الأسباب ولإصرار المرشد على الرحيل ولقطع الطريق على حالة القلق والانزعاج التي أصابت جموع الإخوان في مصر والعالم تم استفتاء مجلس الشورى الحالي على أمرين:

- الأول: هل يتم انتخاب لكامل أعضاء المكتب؟ وكانت الأغلبية مع تجديد كامل لأعضاء المكتب.

- الثاني: موعد الانتخابات، وكانت الأغلبية أيضًا مع تسريعها.

وعندما يثير البعض مدى قانونية هذه الانتخابات ومشروعيتها، ويتحدثون عن ضرورة الإجماع، ينسون أن هذا الإجماع مطلوب في المجالس التنفيذية عندما يتم اتخاذ قرار ما بالتمرير، أما المجالس الشورية وعملية الانتخاب بالذات التي يتم فيها التفضيل بين مرشحين عديدين، فإن الإجماع فيها يكون مستحيلًا لتشتت الآراء، وبالتالي يكون اشتراط الإجماع هو من طلب المحال، ويكون الرجوع إلى قواعد الأغلبية هو السليم، مع الأخذ في الاعتبار الظروف القاسية التي تمنع الاجتماع ودواعي السلامة والأمن، وعدم الرغبة في استمرار العمل بمادة الطوارئ التي عطّلت مجلس الشورى طوال السنوات الخمس عشرة الماضية...، وقد أدت العجلة إلى مواجهة الموقف في بعض الأخطاء، ولكنها لا تقدح في مدى مشروعية الاختيار، اللوائح بها عوار ونقص وتحتاج إلى مراجعة شاملة، والسبب الرئيسي هو عدم تفعيلها بشكل كامل، وليس هناك اعتراض على تلك المراجعة التي يجب أن تتم في هدوء دون ضغوط حتى تؤتي أكلها.

يقول المحللون والمراقبون الذين لا يعيشون ما يعيشه الإخوان: إن تيارًا انتصر

على تيار، ويسعون إلى تقسيم الإخوان إلى محافظين وإصلاحيين أو إلى متشددين ومعتدلين، وينسون حقائق جلية واضحة:

- أن هذه الجماعة كلها إصلاحية قامت لإصلاح النفس والبيت وإرشاد المجتمع وإصلاح الحكومات.
- أن الفرد الواحد قد يكون في بعض مواقفه وآرائه متحفظًا أو محافظًا وفي غيرها إصلاحيًا مجددًا.
- أن الجماعة تسعى - وإن ببطء - إلى التجديد والمراجعة المستمرة.

قد نجد أماني عند العض أو أوهامًا عند آخرين أو أخطاء في التحليل عند المحللين، ولكن يبقى الحب في الله والأخوة الصادقة هما ضمان احترام الاختلاف وعدم الانزلاق إلى الانقسام..)[1].

(1) مجلة (المجتمع) ع 1882 - 26/12/2009م، ص 10 - 11.

الكلمة الفصل الأخيرة

وسط حضور إعلامي مكثف، أعلن فضيلة الأستاذ محمد مهدي عاكف المرشد السابع، اختيار الدكتور محمد بديع المرشد العام الثامن للجماعة.

وأكد الأستاذ عاكف في كلمته في المؤتمر الصحفي ظهر السبت غرة صفر 1431هـ الموافق 2010/1/16م. لإعلان اسم المرشد الثامن: (**إن الإخوان المسلمين منهاجًا واضحًا للإصلاح ومراجعة مستمرة لمناهجهم ولوائحهم ومواقفهم لتطوير آرائهم حسب الجديد الذي يواجهونه من المواقف والأفكار، في مرونة لا تناقض الثوابت ولا تنقض المبادئ التي اقتنعوا بها، وهم يدركون أنهم لن يزالوا بخير ما قبلوا النصيحة**)[1].

ومن جانبه، طالب المرشد الثامن محمد بديع للجماعة، في رسالته الأولى لجموع الإخوان: (**إن مصر والعرب والمسلمين، بل والناس أجمعين، لينتظرون منكم الكثير والكثير، وأنتم - بإذن الله - أهل لتلك المهمة الثقيلة، وقادرون على حمل تلك التبعة الخطيرة وتاريخكم يشهد لكم بالصبر والاحتمال والعمل والإنتاج، رغم ما يثار حولكم من شبهات ورغم ما حدث من هنات وأخطاء**)[2].

وأضاف: (**أتوجه إلى أستاذنا وأخينا الكبير ومرشدنا الكريم الأستاذ محمد مهدي عاكف المرشد السابع للجماعة الذي قاد السفينة وسط العواصف والأنواء، وتجاوز بها العقبات، ثم قدم هذا النموذج الفريد لكل القادة والمسؤولين في الحكومات والهيئات والأحزاب بالوفاء بعهده، وتسليم القيادة بعد فترة واحدة،**

(1) مجلة (المجتمع)، ع 1886، 8 صفر 1431هـ، 2010/1/23م، ص16 - 17.

(2) المصدر السابق.

فتعجز كل كلمات اللغة عن التعبير عما في صدورنا من حب وتقدير لهذا المرشد، ولا نملك إلا أن نقول: جزاك الله خيرًا وأثابك بفضله ثواب الصديقين)[1].

ووجه الأستاذ محمد مهدي عاكف رسالته الأخيرة للإخوان المسلمين، كمرشد عام للجماعة، قال فيها:

(هذه رسالة استثنائية بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ؛ إذ هي الرسالة الأخيرة التي أكتبها من موقع المسؤولية في هذه الجماعة المباركة؛ وفاء لمبادئي، والتزامًا بما أعلنته منذ أن شرفني وكلفني الإخوان المسلمون بتحمل المسؤولية في الموقع الأول لقيادة هذه الدعوة المنصورة بإذن الله، ليعلم القاصي والداني أن الإخوان المسلمين لا يتلونون ولا يتغيرون ولا يقولون إلا ما يفعلون.

أيها الإخوان الأحباء، أشقاء الروح، ورفقاء الدرب، وشركاء الطموح والآمال، لقد كان من توفيق الله لي منذ وقت مبكر في حياتي وقبل زهاء سبعين عامًا؛ أن عرفني بهذه الدعوة المباركة، وشرفني بلقاء مرشدها ومؤسسها الإمام الشهيد (رحمه الله)، وبصحبة رعيلها الأول من عظماء الرجال الذين عرفهم تاريخنا الحديث من مصر وغيرها، ومن تمام توفيقه (سبحانه وتعالى) أن ثبتني عليها برغم كل الضغوط والتحديات، وأسأله سبحانه أن يختم لي بالموت عليها، حتى يجمعني برسوله (صلى الله عليه وسلم) والدعاة من خلفه يوم اللقاء.

لقد أدركت بيقين أن هذه الدعوة هي حاجة مصر، بل حاجة العرب، بل حاجة المسلمين، بل حاجة الدنيا بأسرها؛ لما حملته من مبادئ جددت بها الإسلام العظيم، وكشفت روعته، وصوّبت فهم رسالته، باعتبارها رسالة إصلاح شامل لكل مناحي الحياة، على حد قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: 162-163).

---

(1) المصدر السابق.

فبعد أن كان شاع خطأً أن الإسلام مقصور على ضروب من العبادات والروحانيات، جاءت دعوة الإخوان المسلمين لتعلن أن الإسلام دين شامل، ينتظم شؤون الحياة جميعًا، ويفتي في كل شأن منها، ويضع له نظامًا محكمًا دقيقًا، ولا يقف مكتوفًا أمام المشكلات الحيوية والنظم التي لابد منها لإصلاح الناس، **(فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاة، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة، سواء بسواء)**[1].

وما أشد حاجة العالم كله أن يفهم الإسلام على هذا النحو العظيم، فعندئذ تتحقق آمال كثيرة وتنمحي مفاسد عظيمة، ويحل على البشرية سلام تام وآمن مطمئن، فيا ليت قومي يعلمون![2].

وكان من الطبيعي أن يثير هذا المشهد غير المألوف في مصرنا (ذات الكراسي الأبدية!)، الحزب الحاكم الذي يدعي بأنه (ديمقراطي!)، ووضعته في مأزق حرج للغاية أمام الرأي العام المحلي والإقليمي والعالمي.

فكانت ترجمة هذا الانزعاج والرعب القيام بحملات اعتقالات واسعة وغير مبررة، طالت رموز كبيرة في الجماعة: د. محمود عزت نائب المرشد، ود. عصام العريان، ود. عبد الرحمن البر وعددًا كبيرًا من كوادر الجماعة بالمحافظات، في محاولة منه لإفساد (عُرّس الديمقراطية في مصر والعالم العربي) الحقيقي وليس الأعراس المزيفة التي تقيمها الأنظمة من وقت إلى آخر!

وسئل أستاذنا بعد تركه مهام منصبه، **ما الذي تغير في عاكف بعد ترك منصب المرشد العام؟!**

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

- لم يتغير شيء.. عاكف هو عاكف، هو أخ من جماعة الإخوان المسلمين سواء عندما كان مكلفًا بأن يكون مرشدًا عامًا، أو هو الآن جندي من جنود الدعوة، وهذه رسالتي للجميع: فكل فرد في هذا الوطن الكريم سواء كان داخل تنظيم الإخوان أو خارجه عليه دور في خدمة دينه ووطنه، كل في موقعه وعلى كل فرد أن يجتهد في أدائه، ويتق الله فيه من أكبر مسؤول إلى أصغر فرد.

- لقد أصررت على رفض التجديد.. وكان هذا المبدأ عندي منذ عام 1994م، وكان يعمل معي أخوة أفاضل في قسم الطلاب منهم حلمي الجزار وأبو الفتوح والعريان، وبعد أن عملت معهم عامين قلت لهم: "**مش عاوز أشوف واحد منكم بعد ستة أشهر، كل واحد يحضر نائبه في إيده**"!

وهذا مبدأ.. لا يجوز أن يجلس أحد في المكتب 15 سنة أو 20 سنة، والمكتب كان أيام الأستاذ البنا عامين والمرشد العام هو من يختاره، ولا يصح أن يظل الواحد 24 سنة عضو مكتب، إذًا أين يذهب هؤلاء الشباب، وهل الإخوان هم فقط 16 من أعضاء المكتب؟)[1].

(... قال لي أحد المحللين السياسيين: إن النظام بعد أن تأكد أنك مصر على الخروج من مكتب الإرشاد وتكتفي بفترة واحدة، حاولوا مع أنصارهم في الداخل والخارج ألا يخرجوك سليمًا ولكن خرجت والحمد لله وأنا أكثر قوة وعزة وثباتًا)[2].

فالأستاذ عاكف ينسب إليه الفضل في نقل تنظيم الإخوان نقلة نوعية كبرى عبر ترسيخ المؤسسية في الجماعة، وتطوير اللوائح في إجراء الانتخابات الداخلية وتعميق الشورى وتوسيع دائرة اتخاذ القرار.

---

(1) ج (الأخبار)، حوار: محمد مصطفى، 18/5/2011م.

(2) ج (الدستور)، حوار: أحمد سيف النصر، 24/2/2010م.

ومقولته الشهيرة التي أصرّ عليها في صك مصطلح (المرشد السابق واللاحق)!.. وما تبع ذلك من خطوات إصلاحية تدل على إخلاص الرجل وتجرده، وحرصه على ترك بصمات الشورى، تورث لمن بعده زاد على الطريق للقادة القادمين، وعدم التمسك بأهداب المناصب للنزع الأخير مما يشكل مدرسة جديدة حقًا لا مجازًا تستضيء بها الأجيال المتلاحقة من أبناء الجماعة المنتشرين في كل أنحاء العالم.

وهذا المشهد المنير والفريد من نوعه، والنادر الحدوث في منطقتنا المنكوبة بالديكتاتوريات الخالدة، فقلما تجد مسؤولاً في حركة سياسية أو أحد الكيانات الحزبية الكرتونية، أن يتنازل عن حقه الذي تجيزه لائحته المتوافق عليه مع من دونه، وأحكام القضاء الإداري وحصار الأحزاب المتقاتلة فيما بين أنصار المسؤول السابق واللاحق شاهدة على صدق كلامنا!

وروى فضيلة المرشد الصامد (محمد بديع)، بعد تسلم مهامه مرشد عامًا، وبعد مغادرة مندوبي الصحف ووكالات الأنباء، أراد الأستاذ عاكف أن يغادر مكتب الإرشاد متوجهًا إلى منزله، ووسط الزحام فوجئ الجميع بمقر المركز العام، بالأستاذ عاكف بصوته الجهير ينادي: يا فضيلة المرشد.. يا فضيلة المرشد!، المشهد أثار استغراب الكثيرين حتى الدكتور بديع نفسه!

فعلى مدار ست سنوات، اعتاد الجميع أن يسمع الأستاذ عاكف بنفسه هذا النداء، لا أن يقوله!.. يا فضيلة المرشد!

فرد الأستاذ بديع: نعم!.. فقال الأستاذ عاكف أمام الجميع: **من الآن أنا جندي تحت قيادتك.. أأتمر بأمرك.. فاطلبني في أي وقت من ليل أو نهار ستجدني تحت الطلب**[1]!

(1) ج (الأخبار)، حوار: محمد مصطفى، 18/5/2011م.

أبى أستاذنا ألا تفارقه طبيعة (الجندي) الملازمة له منذ باكورة شبابه، عندما قال أمامه الإمام البنا بأنه لا يوجد لنا أحد في كلية التربية الرياضية، فحوّل أوراقه إليها بدون تكليف شخصي!.. ومواقف أخرى يضيق المجال لذكرها وعدّها!

وقد سأله أحد الصحافيين، أثناء ولاية الدكتور بديع: ما تقييمك لأداء المرشد الحالي الدكتور بديع؟!

ويقول الصحفي: استجمع عاكف أداء وتقاليد اكتسبها على مدار أكثر من سبعين عامًا في الجماعة، وقال بغضب: عيب!!.. وكرّر الصحفي السؤال موضحًا بأنه ليس أحد فوق التقييم مرشد حالي من مرشد سابق!

فأجاب عاكف بأكثر حدة: عيب الجندي يقيّم أداء قائده!

وكرر الصحفي السؤال للمرة الثالثة، فرد عاكف متسامحًا: ازدادت الجماعة قوة تحت قيادته[1]!

بالمناسبة، كيف ترى الدكتور بديع بعد أن جلس على مقعدك كمرشد عام للجماعة؟

- أراه عالمًا متواضعًا خلوقًا، وأدعو له بالعون والنجاح دائمًا، وأتوقع أن يحرز تقدمًا جديدًا، حيث إن الإخوان يعتمدون على الله، ويستعينون به (ﷻ) في إنجاز أعمالهم، وهذا ليس بجديد على الجماعة.

عند تسليمك لبديع ما يسمى بالبيعة في منتصف يناير الماضي شددت على يديه، وقال لك في همس كلمات قليلة، ما هي؟

- لقد ذكر لي جملة: (**لقد نجحت يا أستاذ، وأنا لا أعلم هل سيحالفني التوفيق والنجاح؟!**).

(1) المصدر السابق نفسه.

لقد تمت انتخابات المكتب والمرشد تقريبًا بشكل علني، لماذا لم تأخذوا هذه المرة في الاعتبار الرصد الأمني، كما تفعلون دائمًا؟

- أنا منذ أصبحت مرشدًا لم أُعِر الأمن أهتمامًا، فالأمن دائمًا يفعل ما يريد، ونحن أيضًا نفعل ما نريد، وأدعو الخالق أن أرى الأمن يعمل لمصلحة مصر الحقيقية بدلًا من كونه أصبح سببًا رئيسيًا في تدهور أحوال المصريين بسبب ممارساته الإرهابية وتدخله في شتى نواحي الحياة.

ما رأيك في القول بأن الأمن راضٍ عن نتائج انتخابات مكتب الإرشاد؟

- الأمن لا شأن له بنتائج انتخاباتنا ولا نفكر مطلقًا في رضائه أو عدمه[1].

هناك اتهام موجه لكم بأنك صممت أن تغادر مكانك باستفزاز النظام بعد أن أعلنت بيعة علنية أمام جميع وسائل الإعلام المحلية والعالمية؟

- هذا النظام لا قيمة له عندي، ولا أعمل له أي حساب في تصريحات، وأي تصريحات ترضي ربنا سواء عن حزب الله أو إيران أو الشأن الداخلي[2].

(1) ج (المصرى اليوم)، حوار: طارق صلاح، 2010/8/21م.
(2) ج (الدستور)، حوار: أحمد سيف النصر، 2010/2/24م.

الفصل الرابع

المرشد الثائر

انطلق الأستاذ عاكف في حراكه من خلال رؤية تحليلية للنظام وأدواره ووسائله ولمراكز القوة المؤثرة في المجتمع، وفهم عملي للواقع، رافضًا الفصل بين حركة التنظيم والعمل السياسي في الشارع.

المرشد الثائر

انطلق الأستاذ عاكف في حراكه من خلال رؤية تحليلية للنظام وأدواره ووسائله ولمراكز القوة المؤثرة في المجتمع، وفهم عملي للواقع، رافضًا الفصل بين حركة التنظيم والعمل السياسي في الشارع، فمهما كانت قوة أي تنظيم، فلن يستطيع الصمود للنهاية أمام القوى الأمنية للنظام، فمقدار الحماية له تأتي بتبني مطالب الجماهير حليفها الأخير، بل جسدها الحي، لذا كانت حركته تنطلق من أوجاع الأمة بدوائرها الثلاث (المصرية والعربية والإسلامية).

وقام أيضًا بكسر وتحطيم أوهام تاريخية تتعلق بمواجهة النظام السلطوي، وهي (مهادنة النظام والهروب من مواجهته حتى تكتمل القدرة المكافئة)؛ وهذا وهم مضلل، يشل الحركة ويقتلها ويسمح للطرف الآخر بالنمو والتعاظم في القدرة إلى ما لا نهاية!

ومن هنا كان قراره الأخطر هو النزول بأعضاء الإخوان إلى الشارع بكميات قليلة ووقفات صامتة، أولًا، ثم الدفع بكميات أكبر بداية من القاهرة ثم تلتحم بمحافظات الأقاليم مع التغلغل في القرى التي لم تر مظاهرات تجوب طرقاتها أبدًا!

في مظاهرات الإصلاح السياسي والدستوري، ثم انتخابات الرئاسة، وتتبع نفس التكتيكات في الانتخابات البرلمانية، وفي مظاهرات القضاء، والتضامن مع غزة ضد الاعتداءات الصهيونية، ومع كل حدث، كانت حركة جماهير الإخوان في الطليعة تواجه قمع النظام وهراواته والغاز المسيل وقطعان بلطجية الشرطة.

فالذي يعتاد السكون وعدم القابلية للحركة، لا يملك الفرصة لتنمية عضلاته، وبالتالي لن يتمكن من الحراك النشط، ناهيك عن الحركة القوية الفعالة.. لقد فهم الأستاذ عاكف جدلية الصراع، فعندما يتم إرسال نداء الثورة لن تستجيب الجماهير على الفور، بل يجب أن يتم تدريبها على الصدام مع النظام ولو بشكل أولى بسيط، ثم يتسع يومًا بعد يوم، وهذا ما فعله أستاذنا عاكف طيلة الست سنوات في فترة توليه مرشدا عامًا (2004 - 2010م)، فقد كان الصدام مع النظام يتصاعد، حتى وصل إلى درجة المواجهة الشاملة في 25 يناير 2011م، ولنا أن نقول وبملء الفم بأن (**محمد مهدي عاكف**)، **هو الأب الروحي لثورة يناير، فهو قد قام بحرث أرض السياسة المصرية ذهابًا وإيابًا، حتى أصبحت جاهزة لاستنبات بذرة ثورة يناير!**

وهكذا تحدثت مصر عن نفسها بثورة شعبية غير مسبوقة في تاريخها، فاجأت القاصي والداني وزلزلت النظام زلزالًا عظيمًا، وقد تفجّرت تلك الثورة المعجزة من بين ركام ثلاثين عامًا من الظلم والجبروت والتهميش والإفقار لمعظم أبناء الشعب المصري، وتزوير إرادته وصوته الانتخابي، إضافة إلى إهانة الكرامة الوطنية بالتبعية الذليلة للغرب وأمريكا والهرولة لطلبات الكيان الصهيوني من حصار جائر لأهل غزة الصابرة. فبرغم سقوط بن علي الدكتاتور التونسي، لم يعر الرئيس اهتمامًا وانطلقت أبواقه تردد: **مقارنة مصر بما جرى في تونس لعب عيال!!**

فقد أعلن شباب مصريون عن النزول يوم 25 يناير وهو يوم عيد الشرطة مع ما يحمل هذا التاريخ من دلالات وإشارات، ونزل في هذا اليوم إلى الشوارع مئات الألوف يتبنون مطالب تكون واحدة: إصلاحات سياسية واقتصادية، وقد تبلورت حول شعار (الشعب يريد إسقاط النظام)!

وبدأ النظام في قرارات مسرحية لتخدير الثائرين وإيهامهم بأن تغييرًا يجري وأن مطالبهم تتحقق، فليعودوا إلى بيوتهم سالمين، فالنظام فهم الرسالة!

ولكن لم تنطلي على أحد وواصل الثوار مسيرة الثورة، حتى أعلن مبارك تنحيه عن السلطة يوم 2011/2/11م، بعد ثمانية عشر يومًا من الحراك الثوري!

وقال أستاذنا عاكف بأعلى صوته: (هذه الثورة من عند الله، وليست من صنع البشر، لما علم الله صدق قلوب هذا الشعب من صدق وقوة وثبات على هذا الدين وقيمه ومبادئه، فمنحهم الله هذه الثورة المباركة وهذا النصر المبين، وهذه الثورة لم تكن مفاجأة، لقد طالب الإخوان بما طالبت به الثورة قبل الثورة بأعلى صوتنا، قلنا لحسني مبارك: عليك بحل مجلس الشعب والشورى، عليك بالإفراج عن المسجونين السياسيين، وعليك بتشكيل حكومة وطنية.. ولكنه من غبائه لم يتحرك)[1]!!

وبعد سقوط مبارك وتولي المجلس العسكري السلطة، كانت هذه الفترة الانتقالية مليئة بالأحداث الكبيرة، كان الفيضان عارمًا بعد اشتياق وحجب، حوض السياسية المصرية الجاف بفعل إرهاب السلطة العسكرية خلال ستين عامًا امتلأ بالماء حتى عمّ وطم!

ورغم ترك أستاذنا مهام الإرشاد قبل عام من الثورة، إلا أن وفود الصحافة والفضائيات تتوافد عليه لتأخذ رأيه في كل ما يَجِدّ على الساحة، فقد سُئِل:

كيف ترى المشهد السياسي الحالي؟

- عظيم بكل المقاييس، فالشعب المصري خلال العام شارك في انتخابات النقابات والجامعات والبرلمان، وأصبح هناك أكثر من 50 حزبًا و100 ائتلاف، ولا أهتم كثيرًا بهذه الفقاعات التي تخرج من هنا وهناك!!

(1) ج (المصرى اليوم)، 2011/5/8م.

هل ترى وثيقة السلمي (المبادئ الدستورية) التي طرحها الدكتور علي السلمي من بين الفقاعات السياسية التي تحدثت عنها؟

- الوثيقة رفضها الشعب وسقطت.

ولماذا اعترضت عليها رغم إعدادها في حزب الوفد الذي كان عضوًا في التحالف الديمقراطي معكم وكنتم ومن بين الموقعين عليه؟

- رفض الوثيقة جاء بسبب ما أضيف إليها، خاصة المادتين 9 و10 الخاصتين بوضع الجيش في الدستور، والسلمي نفسه ذكر بأن المادتين كانتا بتكليف من المجلس العسكري، وكانت فضيحة للأسف الشديد.

لماذا أعلن حزب الحرية والعدالة رغبته في أن يكون نسبة النواب في الجمعية التأسيسية 40%، ثم أصبحت 50%؟

- كان رأي الحزب أن تكون النسبة 40%، وجاء رأي البرلمان أن تكون 50%، فرأي البرلمان هو الذي ينفذ بالطبع.

لكن أغلبية البرلمان من الحزب؟

- الإخوان أكثرية وليسوا أغلبية.

لكن الحزب سبق أن قرر خوض الانتخابات على 30%، ثم خاضها على أكثر من ذلك بكثير، وطالب بـ 40 % في الجمعية التأسيسية، ثم تغيّر موقفه أيضًا، كيف ترى هذا؟

- لم نتراجع عن شيء من أول يوم، وكنت أحضر اجتماعات مجلس شورى الجماعة حين قررنا خوض الانتخابات على 50%، وهناك فرق بين عدد المرشحين وعدد من ينجح، وكنا نستطيع ترشيح 100%، ولكن لأننا نعلم

أن الأحزاب لم تأخذ الفرصة كاملة لترتب أوراقها، خضنا الانتخابات على هذه النسبة، وحصلنا على 42%، والأحزاب حصلت على الباقي ومن بينها حزب النور.

كيف ترى مدنية الدولة؟

- الدولة مدنية، ولا يوجد لدينا ما يسمى بالدولة الدينية المطلقة، ولكن عندنا دولة مدنية بمرجعية إسلامية.

وماذا عن المرجعية الإسلامية؟

- المرجعية الإسلامية أن نرجع لله ورسوله وكتابه، فالمادة الثانية من الدستور تقول إن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع.

الشريعة وليس مبادئها أو أحكامها؟

- هذه فلسفة من يجلسون على المكاتب ولا يعملون شيئًا، يتحدثون عن الديمقراطية ولا يقبلون بالديمقراطية، فالشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع، ولا نحتاج أن نكتب تحتها أي شيء آخر، فالمسيرة تسير.

يقول البعض بأن المجموعة التي ستقوم بكتابة الدستور اختارتها الأغلبية الإسلامية في مجلس الشعب، وبالتالي ستطوع الدستور لصالح الإسلاميين؟

- كاذبون! فالدستور ليس لعبة، وإنما فقه وعلم وتجربة وتاريخ، ويضعه أصحاب الفكر والرؤى والعقول والمتخصصون في كل المجالات سواء قانونية ودستورية و...، وهم موجودون، وما يقال أمر غريب؛ فكيف لا نحترم اختيارات الشعب، ومن يقول هذا خارج عن المنطق والخلق، فهناك آليات عرفها العالم كله، وعرفها الإسلام لاحترام الرأي الآخر، وعلى أية حال يقولون ما

يشاؤون، والأيام ستنهي هذا[1].

وعلى طريق استرداد الشعب المصري لحقوقه كاملة وامتلاك زمام مبادرته في صناعة مستقبله.. كان الخروج المليوني في طوابير طويلة أذهلت العالم والمراقبين لبناء أولى مؤسساته الدستورية (مجلس الشعب)، وكانت ردًا على مؤامرات الدولة العميقة لإجهاض الثورة، ومحاولة إغراق مصر في الفوضى..

وكانت سعادة أستاذنا عاكف على انتصار إرادة الشعوب وإن طال الزمان بها تحت القهر والظلم، وسئل:

ما تفسيركم لاكتساح التيار الإسلامي للانتخابات البرلمانية في المرحلة الأولى؟

- كلمة اكتساح غير صحيحة إطلاقًا؛ لأن معنى كلمة اكتساح أننا دخلنا منافسة واكتسحنا كل المقاعد من كل الناس، وسط وجود منافسين أقوياء لنا، ولكن نحن دخلنا بمنطق معروف لكل شخص وفق ما أعلناه من قبل، وهو المشاركة فقط لا المنافسة أو المغالبة، وحددنا مطالبنا في أول يوم فتح به باب الترشيح بأننا سنرشح 50% على المقاعد، وبعد ذلك نحصل على 30% أو40%، وهذا لا يهم؛ فكل هذه النسب التي حصلنا عليها جاءت بإرادة الشعب فقط، ونحن التزمنا بهذا، وقمنا بترشيح 50%، ولم نكن وحدنا في هذه الانتخابات فنحن معنا تحالف اسمه (التحالف الديمقراطي من أجل مصر)، ويوجد به أكثر من حزب وليس حزبًا واحدًا فقط، ولكن بعد خروج الأحزاب ارتفعت نسبة (الحرية والعدالة)، إلى 60% من المرشحين، ونحن لسنا وحدنا، وحصولنا على 40% في المرحلة الأولى لا يسمى اكتساحًا.

ولكن معظم المقاعد الفردية ذهبت للحرية والعدالة وليس للأحزاب الموجودة في التحالف؟

(1) ج (المصري اليوم) 25/9/2011م، حوار: عادل الدراجي.

- هذا هو اختيار الشعب للحرية والعدالة، ونحن نحترم الشعب ونقدره تمامًا؛ لأنه يثق فينا، ولكن يجب ألا نغفل أن المجلس القادم سيكون فيه كل الأطياف السياسية حتى الأحزاب الصغيرة لها مقاعد ولها وجود في البرلمان.

وهل تتوقع أن يستمر هذا التفوق في المرحلتين الثانية والثالثة في ظل حملات التخويف والتفزيع التي لجأ إليها البعض ضد التيار الإسلامي، وخاصة الحرية والعدالة؟

- هناك 10 أو12 فضائية وغيرها من أصحاب الأجندات الخارجية من قِبَل الثورة المضادة يحاولون تشويه وشن حرب كبيرة ضد الحرية والعدالة، ولكن هم في النهاية فاشلون؛ لأن الشارع يعرفنا جيدًا ونحن منه، وهم لا يملكون سوى التهليل والتشويه، وهذه الصيحات تدل على أنهم فاشلون، وهم من أول يوم في الثورة ولهم أجندات خاصة لمهاجمة الإسلاميين فقط، والدليل على ذلك عندما قالوا لا للتعديلات الدستورية الشعب قال نعم للتعديلات، وعندما قالوا الدستور أولًا فإن الشعب قال الانتخابات أولًا..

إنكم متهمون باستخدام نفس أساليب التحايل على الجماهير للحصول على الأصوات في الانتخابات، واستغلال الشعارات الدينية لعدم توافر الوعي الكافي لدى المواطنين؟

- أنا ضد كلمة "الناس يقولون"، وضد هذا التعميم، وأنت اسأل نفسك هذه التساؤلات، أما بالنسبة لي فهذا الكلام لن أرد عليه. ومن يرددون ذلك أيضًا أن الإخوان يحاربون السياحة..

لو عدنا إلى الانتخابات.. ما توقعاتك للمرحلتين الثانية والثالثة.. وهل تتوقع زيادة نسبة الحزب في المرحلة القادمة؟

- سأنتظر حتى نرى، ولكن أستطيع أن أقول: هناك محاولات من قِبَل أشخاص بأمن الدولة المنحل مازالوا يمارسون أعمالهم لإجهاض فوز الإخوان، فهناك أحدهم هو الذي خطط وعمل الدوائر بالطريقة التي تجعل الإخوان يفقدون كراسي في البرلمان، وخاصة في المرحلة الأولى فتمّ تقسيمها حسب أضعف الأماكن تواجدًا للإخوان، ووضع المناطق التي فيها تواجد قوي للإخوان في آخر مرحلتين حتى نأخذ نسبًا بسيطة، ولكن الله كشف تدابيرهم الخفية[1].

وتتابعت أصداء زلزال فوز الإخوان بأغلبية البرلمان، وانهمرت الأسئلة على أستاذنا تستطلع رأيه فيما بعد الفوز، وسئل:

هل تنتظر أن يحكم الإخوان مصر؟

- ليس الآن.. ولكن عندما تقوى مصر، ويتعافى اقتصادها، ويتطور تعليمها، ويعود الأمن، وتستقر المؤسسات عندئذ تصبح مصر قوية، ويتنافس على حكمها الإخوان وغيرهم، أما الآن فأي تيار عاقل يقتنع بالمشاركة فقط، ولذلك رفضنا أن يكون لنا مرشح رئاسي؛ لأن مصر ضعيفة، والشيء الآخر أن العالم كله ضد الإخوان المسلمين، وعندما يتولى الإخوان الحكم سوف يجلبون على مصر البلاء!!

تقول بأن العالم كله ضد الإخوان، فلا بد أن يكون هناك شيء خاطئ؟

- هناك أفكار وظروف رشحتها السنوات الماضية، والنظام الفاسد الذي ظل يشوّه تيار الإخوان، ولكن الله خيّب ظنّهم.

أستاذ عاكف أشعر من رائحة كلامك بأنك تستهدف تحويل الشعب كله إلى المشروع الإسلامي؟

(1) ج (اليوم السابع): حوار: محمد حجاج، 10/ 12/ 2011م.

- هذا ما أتمناه، وأسعى إليه، ولكن كونه يحدث أو لا يحدث فالله أعلم، وقد سبق أن اتهموني في المحاكمات العسكرية بأنني أسعى إلى أستاذية العالم، فقلت لهم: هذا شرف لا أناله![1].

بالنسبة للسياسة الخارجية، ماذا عن المعاهدات التي أبرمتها مصر، وخاصة مع إسرائيل؟

- الإخوان المسلمون يحترمون كافة المعاهدات، ونحن ملتزمون بجميع المعاهدات التي أبرمتها مصر، وبالنسبة للمعاهدات مع إسرائيل، وخاصة معاهدة السلام، فقد تم توقيعها في ظروف خاصة ونحن سنردّها إلى البرلمان.

ولكن هل من المتوقع أن يرفض البرلمان معاهدة السلام مع إسرائيل في حال طرحها عليه؟

- خلاص يلغيها! هتقولي الحرب.. هو احنا كل ما نلغي معاهدة، معناه إن احنا هنشعل حرب!.. لن يكون إلغاؤها دعوة للحرب، فالنحاس باشا قال: "**باسم مصر وقعت معاهدة 36، وباسم مصر أقوم اليوم بإلغائها**".. وهناك من يصنع من إسرائيل بعبع.. إسرائيل أضعف مما تتصور يكفي أنها هزمت أمام حزب الله في لبنان وأمام حماس في غزة وهم لا يملكون شيئًا[2].

وكانت جماعة الإخوان المسلمين قد قررت الدفع بالمهندس خيرت الشاطر لرئاسة مصر، بعد مداولات في مجلس الشورى للجماعة، صدر في نهايتها قرار مجلس الشورى بترشيح الشاطر لمواجهة محاولات إعاقة الثورة المصرية عن استكمال أهدافها.

---

(1) ج (الأهرام) 25/ 11/ 2011م.

(2) ج (الأخبار): حوار: عامر تمام، 19/1/2012م.

ورأى عدد من المراقبين بأن تغيير المواقف وفقًا لمستجدات الأمور لا حرج فيه وليس نفاقًا أو تراجعًا يعاب ويذم، وانطلقت حملة ضارية على هذا القرار من الليبراليين والسلفيين!

وسئل أستاذنا في عدد من الصحف حول هذا القرار وتداعياته، أكد عاكف: (أنه لم يرشحه (الشاطر)، ولم يكن سببًا في هذا القرار، ولكن الكلمة كانت للحزب، موضحًا أنه ليس له دخل بهذا الموضوع؛ لأن سلطته التنفيذية انقطعت عن الجماعة منذ تولي الدكتور محمد بديع منصب المرشد العام)[1].

ولما سُئِل: **هل تتوقع فوز الشاطر بمنصب رئيس الجمهورية؟**

أجاب: (بأنه يتمنى أن يفوز من يُجْمِع الشعب على اختياره حتى لو كان شخصًا آخر غير الشاطر أو حتى غير إسلامي، والشعب نفسه أصبح واعيًا وسوف يختار من في صالحه)[2]!

وزاد أستاذنا الأمر إيضاحًا، قائلًا: (.. **قناعتي كانت - ولا تزال - ألا يكون للجماعة مرشح، لكن بما أنه جاء بقرار من مجلس الشورى فعلينا الالتزام.. وهذا القرار يعد اجتهادًا، وإن كان هذا الاجتهاد خيرًا، فلمن اختاروه أجران، وإن كان غير ذلك فلهم أجر واحد**)[3]!

وبعد مماطلات قانونية من اللجنة العامة للانتخابات، تمت إزاحة الشاطر وأبو إسماعيل وعمر سليمان مرشح الدولة العميقة.

وتم الدفع بالدكتور محمد مرسي الذي حقق المركز الأول، وفي الإعادة جاء هو وشفيق - بديل عمر سليمان - وفاز عليه الدكتور مرسي بـ 52% بعد معركة ضارية لا مثيل لها!

---

(1) ج (روزا اليوسف)، 2012/4/10م.
(2) المصدر السابق.
(3) ج (الشروق)، 2012/4/12م.

ومنذ أن نجح الرئيس المنتخب د. محمد مرسي، حتى بدأت الدولة العميقة بجنرالاتها وشرطتها وقضائها وإعلامها الفاسد، العمود الفقري وسلاح المعارضة التي لا وجود لها شعبيًا على الأرض، تناوش الرئيس على مدار عامه الأول بالكامل عبر سلسلة من الأحكام الغريبة للمحكمة الدستورية وعدة محاكم أخرى، حلّت مجلس الشعب الذي انتخبه الشعب، وجاء بأغلبية إسلامية، وعاونت على تفشي الفوضى الأمنية في البلاد عبر امتناع قيادات الشرطة الفاسدة عن العمل، وتشجيع البلطجية على اقتحام وحرق ونهب مقار الأحزاب الإسلامية.

مظاهرات 30 يونيو:

لم تكن معركة الدكتور محمد مرسي مع أعداء الثورة سهلة، فأعداء الثورة متغلغلون في مفاصل الدولة، ولديهم مليارات الجنيهات الحرام ينفقونها لتحقيق أهدافهم، ويتحينون الفرصة للانقضاض على القوى الثورية، وهم لا يستثنون فصيلاً دون الآخر، وتداعبهم أحلام العودة إلى السلطة والفساد.

وقد حوّلوا حياة البسطاء إلى جحيم، فافتعلوا الأزمات المعيشية اليومية، مثل أزمة البنزين والوقود وانتشار حالات الفوضى الأمنية لتخويف الناس من استمرارية الرئيس مرسي وحكم الإخوان المسلمين.

وكانت كل تلك المحاولات من فلول مبارك جزءًا من (الأسلحة الفاسدة) التي استخدموها بشكل مكثف ومروع للوصول بمصر إلى حافة الهاوية، إلى اليوم الذي حددوه للقضاء على أول رئيس منتخب في تاريخ مصر والعودة إلى حكم العسكر - 30 يونيو 2013م)!!

قبل ذلك اليوم الفاصل بأيام، بدا المشهد واضحًا أمام كل ذي عينين، فقد احتشد كل المناوئين للفكرة الإسلامية وللإسلام ذاته في خندق واحد بزعم

إسقاط الرئيس.. والسبب أنه إسلامي، وذلك أكبر كاشف لكذبتهم الكبرى عن قناعتهم بالديمقراطية!

يحتشد التيار العلماني بكل أطيافه (الشيوعيون، الاشتراكيون، القوميون، وفي القلب منهم الناصريون، الشواذ، الملحدون، الفلول من عصابات النظام السابق)، ويعاونهم رجال حبيب العادلى!

ولم تغب عن المشهد مباركة شيخ الأزهر د.أحمد الطيب عضو لجنة السياسات التي تشبث بعضويتها بعد تعيينه شيخًا للأزهر قائلاً: الحزب الوطني والأزهر كالشمس والقمر لا غنى لأحدهما عن الآخر!

كما لم تغب مباركة (البابا) الذي عبّر أكثر من مرة عن امتعاضه من الحكم، ولم ينطق بكلمة واحدة تعليقًا عن تحريضات قساوسة وفعاليات دينية من داخل الكنيسة على العنف في 30 يونيو!

ولإكمال المشهد، فقد ظهر الكيان الصهيوني في قلب المعركة يقودها أو يوجهها أو ينسق معها دون مواربة، فقد قالت (**ليفني رئيسة الوزراء الإسرائيلية سابقًا**) مهددة ومتوعدة: (**مصر وتركيا** ستدفعان ثمن خروجهما من حظيرتنا)!

وقول وزير الدفاع الصهيوني: (**إن هدف حركة "تمرد" المناوئة للرئيس المصري مرسي هو أن تثبت بشكل واضح أن الإسلام ليس هو الحل**)!

ثم أخيرًا وليس آخرًا قول رئيس الاستخبارات الصهيوني (أفيق وكخاف)، على موقع وزارة الدفاع الصهيونية: (**الفوضى التي تشهدها المنطقة العربية هي في مصلحتنا، خاصة أنها غير إسلامية وسيتواصل دعمها اقتصاديًا لتستمر**)!

مليونيات الإسلاميين.. نظام وأخلاق

كانت مليونية (لا للعنف) وما تلاها التي نظمتها قوى وحركات إسلامية وثورية تقدر بـ 30 حركة وحزبًا، إثباتا جديدًا على قوة الإسلاميين وشعبيتهم

ووجود أغلبية من الشعب تساند الرئيس المنتخب (د.محمد مرسي)، وهو ما أكدته المليونيات التي خرجت في الأسبوعين السابقين لـ 30 يونيو، ولكن مليونية (لا للعنف) كانت تأكيدًا جديدًا على الفارق الشاسع بين مليونيات الإسلاميين الحضارية التي تنتهي في هدوء ونظافة، ومليونيات المعارضة اليسارية والليبرالية التي تنتهي بحرائق الشوارع وتخريب الممتلكات وطلاء الحوائط بألفاظ نابية غير أخلاقية وخرطوش ومولوتوف وتحرش وغلق المحال التجارية.

وقد كشف دعاة التظاهر في 30 يونيو عن وجههم الحقيقي والمعادي لكل ما هو إسلامي، وليس فقط المناهض للرئيس مرسي وجماعة الإخوان، فقد أعلن المتظاهرون والداعون لتظاهرات 30 يونيو صراحة عن أن تظاهراتهم ضد الإسلام، فالبرادعي قال: "**لن يرهبنا الحديث عن الأخلاق لوأد حرية الرأي**"، وحازم عبد العظيم، قال: "**لن نكتفي بالإخوان، وسننهى على الشيء المسمى** (الإسلام السياسي)"، وعمرو حمزاوي قال: "**لابد أن نكافح من أجل ألا تكون هوية مصر إسلامية**"!!

انقلاب 3 يوليو العسكري الصهيوني

كان الهدف الذي رصدته المعارضة هو أن يكون قمة مخططها للانقلاب على الرئيس مرسي والحكم الإسلامي يوم 30 يونيو، وبرغم الحشد الكبير في هذا اليوم، فقد أعطى انتهاء اليوم دون خروج الرئيس من القصر الرئاسي - وفق ما خططوا - أكثر من رسالة ودرس.. فلم يسقط (د.مرسي) بفضل حشد الإسلاميين في رابعة العدوية لخلق توازن وتفويت المؤامرة.

جاء بيان الجيش الأول في 30 يونيو الذي أعطى مهلة أسبوع للقوى السياسية للتوافق، ثم بيانه الثاني أول يوليو الذي يهدد بفرض (خارطة مستقبل) في

حال عدم الاستجابة لما أسماها مطالب الشعب؛ ليفتح الباب أمام سلسلة من التحركات المريبة التي تستهدف إسقاط الرئيس مثل استقالات خمس وزراء وبعض المحافظين، وغلق المعارضة لمقرات حكومية، ومنعها من العمل و.. و، وهو دليل على أن دولة مبارك العميقة بكل قواها الفاسدة قفزت إلى الواجهة لتضرب بالدستور والقانون عرض الحائط لاستكمال مشاهد الانقلاب على الشرعية... أم أن هذا كله كان سيناريو معدًا من قبل؟!

ولكن خروج مظاهرات 30 يونيو بهذا الشكل، جعل الرئاسة تفكر مرة أخرى في تشكيل حكومة انتقالية وتسريع انتخابات البرلمان؛ كي يعبر عن الخريطة السياسية للبلد، وتخرج منه حكومة تجسد هذه الخريطة، وللاثنين أن يحددا موعد الانتخابات المبكرة بحسب الدستور، وهي مبادرة توفق بين الحفاظ على مؤسسات الدولة وبين الاستجابة لرغبات التيار العاقل بين المعارضين، وأن هذا هو ما تنوي الرئاسة طرحه مرة أخرى بعد تحذير الجيش بمهلة الـ24ساعة، ولكن المشكلة أن المعارضة واصلت الرفض!

ثم تطورت الأحداث بسرعة حتى أعلن الجيش انقلابه المستتر بوجه مدني، والذي دعمته مشيخة الأزهر والكنيسة.

وبدأ الانقلاب العسكري عهده الجديد بحملة عصف بحرية الإعلام، واعتقال كبار قيادات الإخوان المسلمين.. فما إن انتهى السيسي من بيانه حتى تم تسويد خمس قنوات فضائية إسلامية، ثم بدأ الجيش حملة اعتقالات واسعة ضمت المرشد العام السابق محمد مهدي عاكف، وم.خيرت الشاطر نائب المرشد العام، ود.حلمي الجزار أمين عام الحزب بالجيزة، والشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل.

كما أصدرت القوات المسلحة أمرًا باعتقال 300 من قيادات ورموز جماعة الإخوان المسلمين.

واعتقل قادة الانقلاب الرئيس د.محمد مرسي صباح الخميس 4 يوليو.

وأرسلت القوات المسلحة بيانًا لمطارات الجمهورية ووزارة الداخلية صباح الخميس 7/4 لإدراج قائمة مكونة من أربع صفحات تضم قيادات الإخوان المسلمين وعددًا من الإعلاميين بغرض منعهم من السفر خارج البلاد.

وكأن آلة الزمن في مصر توقفت عقاربها على محاكمات 1954م، وعاد الأستاذ عاكف يتصدر "مانشيتات" الصحف مرة أخرى!

وقُدِّم الأستاذ عاكف للمحاكمة في القضية المعروفة إعلاميًا باسم (أحداث مكتب الإرشاد)، وذلك أمام محكمة الجنايات برئاسة المستشار محمد شيرين فهمي، وأسندت النيابة للأستاذ عاكف الاشتراك بطريق الاتفاق والمساعدة في إمداد مجهولين بالأسلحة النارية والذخائر والمواد الحارقة والمفرقعات، والمعدات اللازمة لذلك المخطط لارتكاب الجريمة، وأن الموجودين بمقر الجماعة أطلقوا الأعيرة النارية والخرطوش صوب المجني عليهم!

وقُدِّم أيضًا في قضية إهانة القضاء، وذلك أمام محكمة الجنايات، وصدر قرار بالتحفظ على أموال عاكف تنفيذًا للحكم الصادر من محكمة القاهرة للأمور المستعجلة بحظر أنشطة الجماعة وذلك في سبتمبر 2013م، كما صدر ضده قرار بإدراج اسمه ضمن قائمة الإرهاب لمدة 3 سنوات.

وبعد صراع مع المرض في سجون الانقلاب بمصر؛ ونتيجة للإهمال الطبي المتعمد، توفي الأستاذ مهدي عاكف، عن عمر يناهز الـ90 عامًا، بعد أن قضى أكثر من أربع سنوات في سجون السيسي؛ ليصبح أكبر المعتقلين السياسيين ليس في مصر فحسب، بل في العالم!!

الفصل الخامس

في رثاء شيخ المجاهدين

لم تلن قناة الأستاذ محمد مهدي عاكف رغم ما لاقاه في غياهب سجون العسكر من عنت واضطهاد وإهمال طبي منذ بواكير شبابه وحتى صار شيخًا مهيبًا.. فَضَّل جندي الدعوة المخلص السجن على الاستسلام لمساومات العسكر الرخيصة وآثر البقاء على العهد حتى الشهادة التي نالها راضيًا مرضيًا بإذن الله وهو محبوس الحرية وراء قضبان الظلم.

في رثاء شيخ المجاهدين

لم تلن قناة الأستاذ محمد مهدي عاكف رغم ما لاقاه في غياهب سجون العسكر من عنت واضطهاد وإهمال طبي منذ بواكير شبابه وحتى صار شيخًا مهيبًا يخشاه النظام الانقلابي الذي يعرف جيدًا مكانة الرجل وسطوته الفكرية.. فَضَّل جندي الدعوة المخلص السجن على الاستسلام لمساومات العسكر الرخيصة وآثر البقاء على العهد حتى الشهادة التي نالها راضيًا مرضيًا بإذن الله وهو محبوس الحرية وراء قضبان الظلم..

فقد أعلنت السيدة علياء ابنة المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين في مصر الأستاذ محمد مهدي عاكف أن والدها توفي يوم الجمعة 22 سبتمبر عام 2017م داخل سجنه.

وكتبت علياء على حسابها بموقع "فيس بوك": **"أبي في ذمة الله، إنا لله وإنا إليه راجعون"**.

كان ذلك في يوم (الجمعة: 2 محرم 1439هـ، 22 سبتمبر 2017م).

مشهد تشييع جثمان الأستاذ "عاكف" إلى مثواه الأخير:

قالت الحقوقية وعضو المجلس القومي لحقوق الإنسان سابقًا "هدى عبدالمنعم": إنه تم الانتهاء بحدود الثانية بعد منتصف ليلة السبت من تشييع جثمان المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين، محمد مهدي عاكف، حيث تم دفنه بمقابر المرشدين بمدينة نصر في محافظة القاهرة.

وأشارت أ. هدى عبد المنعم في تصريح خاص لـ"عربي21" إلى أن أعدادًا قليلة للغاية لا تتجاوز العشرات تمكنت من المشاركة في جنازة "عاكف" (89 عامًا)، مؤكدة أن قوات الأمن - التي تواجدت بكثافة - قامت بمنع الراغبين في المشاركة في تشييع الجثمان إلى مثواه الأخير، ولم يتم السماح بدخول أحد سوى زوجته وابنته علياء فقط.

وأوضحت "عبدالمنعم"، التي شاركت في الجنازة، أن أربعة أشخاص فقط قاموا بالصلاة على جثمان "عاكف" داخل مستشفى القصر العيني بالقاهرة.

وقالت: "حينما قاموا بمنعنا من الوصول للمقابر، تجمعنا جميعًا أمام مدخل المقابر، ولم يتم السماح بدخول أحد، وتقدم المحامي خالد بدوي الحضور، ودعا للفقيد بالرحمة وأن يدخله المولى فسيح جناته، وكلنا أمنّا وراءه".

وأكدت "عبد المنعم" أنه تم منع جميع وسائل الإعلام بما فيها الحكومية من تغطية الجنازة.

ونوهت "عبد المنعم" إلى أن أسرة الرئيس محمد مرسي شاركت في تشييع جثمان "عاكف"، حيث شارك في الجنازة زوجة "مرسي" وأبناؤه وشقيقته.

يذكر أنه دفن في مقابر المرشدين، الموجودة بمدينة نصر، كلّ من: جثمان المرشد الثالث لجماعة الإخوان المسلمين، عمر التلمساني، والمرشد الخامس مصطفى مشهور، وأحد الرعيل الأول للإخوان المسلمين، أحمد أبو شادي، وآخرين.

ردود أفعال عالمية:

كان تفاعل أصحاب الضمائر الحية في العالم مع حدث استشهاد الأستاذ محمد مهدي عاكف المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين في سجون الانقلابيين واضحًا جليًا يتناسب مع قدر الرجل ومكانته الدعوية ومسيرته

الجهادية، فقد صدرت البيانات، وأقيمت صلوات الغائب على روحه الطاهرة في أقطار العالم الإسلامي منذ اللحظة الأولى لإعلان استشهاده، بينما تأخّرت ردود فعل شانئيه من مؤيدي الانقلاب.

فقد كان القدر الأوفى من عبارات الثناء والترحم على فقيد الأمة والدعوة، كان من نصيب الإسلاميين والأحرار في شتى بقاع الأرض، بينما انزوى الانقلابيون في منابرهم الإعلامية يكيلون للرجل - بوقاحة منقطعة النظير - سيلاً من السباب والشتائم في لغة شامتة متدنيّة، لا تقيم لهذا العملاق وزنًا، ولا تحترم مشاعر ذويه.

الانقلابيون وحدهم غرّدوا خارج السرب العالمي في تأبين عاكف والثناء على جهاده وذكر مناقبه، فافتضح أمرهم وانكشفت عورتهم، وبدا للجميع أنهم مذعورون من الرجل حيًا وميتًا.

ردود الأفعال الإيجابية الكبيرة - من الإسلاميين وبعض اليساريين والليبراليين - لا تمثل فقط شهادات حق وصدق بحق الشهيد، ولكنها تمثل شهادات إنصاف وعدل بحق جماعة الإخوان المسلمين، وهو ما بدا في كلمات تأبين الراحل والجموع التي احتشدت للصلاة عليه في عدة دول وعواصم، فأظهرت صغار الانقلاب والانقلابيين.

وهذه بعض مراثي الشهيد محمد مهدي عاكف الذي لقي ربه غير مبدّل، وترك وراءه إرثًا ثمينًا من المواقف البطولية التي ستشهد له يوم يقوم الأشهاد.

رموز التيارات المصرية المختلفة تنعى الأستاذ عاكف

جماعة الإخوان المسلمين :

نعتْ جماعة الإخوان المسلمين إلى الأمة الإسلامية وأحرار العالم في وفاة محمد مهدي عاكف، المرشد العام السابق للجماعة قائلة:

محمد مهدي عاكف (89 عامًا) صاحب مسيرة جهاد كبرى تحت راية جماعة الإخوان، وسجين كل عصور الظلم والطغيان من عهد فاروق إلى الانقلاب الأسود؛ فكان مضرب الأمثلة في الصمود والثبات رغم أهوال التعذيب التي كابدها والتي مزقت جسده حتى ظنوا في سجون عبد الناصر أنه قد مات، ورغم ذلك لم يتمكنوا من أن يظفروا منه بكلمة تأييد واحدة لهم.

أحد قادة الحركة الطلابية المناهضة للاحتلال، ومن أبرز قادة مقاومة الاحتلال على ضفاف قناة السويس، وتشهد له مدن القناة ومعسكرات الجامعات المصرية بتاريخ ناصع وسجل حافل في سبيل تحرير بلاده.

عاش في مدرسة الإخوان المسلمين 77 عامًا من حياته (1940 - 2017م) قضاها في مقدمة الصفوف قريبًا من مؤسسها الإمام البنا، ثم المرشدين الستة الذين سبقوه، ثم المرشد الثامن الدكتور محمد بديع، فك الله أسره وإخوانه.

اليوم فاضت روحه الطاهرة مسلّمًا راية الحق والعدل والحرية خفّاقة في السماء دون اهتزاز للأجيال التالية جيلًا وراء جيل، محتسبًا جهاده في سبيل الله المنتقم الجبار، ومدخرًا جزاءه عند الله ليوم تشخص فيه الأبصار".

الجبهة الوطنية المصرية

أسسها مجموعة من السياسيين في الذكرى الرابعة لانقلاب 3 يوليو 2013م في اسطنبول بتركيا:

قالت في بيان لها: "ظلمًا وعدوانًا بعد ربع قرن قضاها في سجون الملِك وَعَبَد الناصر والسادات هي دليل إدانة جديد ضد سلطة غاشمة منقلبة لم ترحَم شيخوخة هذا الرجل وغيره من أبناء مصر الأحرار، ومنعت عنه الدواء والعلاج، ورفضت أن تطلق سراحه ليتابع حالته الصحية خارج السجن، وتركته يموت ببطء نتيجة هذا الإهمال الطبي، وهذه الجريمة (القتل بالإهمال الطبي) بحق الأستاذ عاكف وغيره من أحرار مصر داخل السجون وأماكن الاعتقال الأخرى، هي جريمة لن تسقط بالتقادم".

واستنكرت الجبهة منع السلطات إجراء جنازة للشيخ، وقالت: "لقد أكمل النظام القاتل جريمته بحق الأستاذ عاكف حتى بعد وفاته، حيث منع جنازته التي كان يمكن أن تكون استفتاءً شعبيًا جديدًا يكشف حجم الغضب من هذا النظام، ولكننا واثقون أن منع هذه الجنازة لا يقلل من قدر الفقيد، بل سيكون حافزًا لكل أبنائه وأحبائه في كل مكان لتوديعه بالطرق التي تكافئ سيرته".

حزب الوطن - مصر:

أصدر عماد الدين عبد الغفور - الرئيس السابق لحزب النور قبل استقالته، ورئيس حزب الوطن - بيانًا نعى فيه الشهيد محمد مهدي عاكف، واستنكر تجاهل السلطة للنداءات المتكررة بالإفراج الصحي عنه خلال فترة مرضه.

د. محمد بديع - المرشد العام للإخوان المسلمين:

نعى مرشد جماعة الإخوان المسلمين، محمد بديع، السبت 23 سبتمبر 2017م سلفه محمد مهدي عاكف، "وأول تعليق لبديع، على وفاة عاكف، جاء

أثناء كلمته التي سمح بها القاضي، حسن فريد، رئيس هيئة محكمة جنايات القاهرة، خلال محاكمة مرشد الإخوان، وأسامة نجل محمد مرسي، أول رئيس مدني منتخب ديمقراطيًا في مصر، و737 آخرين، منهم أكثر من 300 متهم محبوس، فيما يحاكم الباقون غيابيًا ومخلى سبيلهم، في القضية المعروفة إعلاميًا (فض اعتصام رابعة). ووفق المصدر القانوني الذي حضر الجلسة بصفته محامي عن المتهمين، قال الدكتور بديع: "أنعي إلى الشعب المصري والأمة الإسلامية وجماعة الإخوان، استشهاد الأستاذ عاكف، وإن هذا لم ولن يثنينا عن قضيتنا، ودعوتنا مستمرة وقائمة.. الأستاذ عاكف ارتقى ونال ما نال إمامه حسن البنا (رحمه الله) وما آلمني هو إصدار قرار بعدم حضور أي شخص جنازته سوى زوجته وأبنائه، وهذا ما حدث مع جنازة الإمام الشهيد حسن البنا".

ووجه بديع، مرشد الإخوان، رسالة لمن ضيّق على جنازته قائلاً: "من فعل هذا مع الإمام البنا مات ولم يمشِ بجنازته سوى زوجته وأبنائه فكما تدين تدان، وسنقتص يوم القيامة لأخذ حقوقنا المسلوبة".

د. يوسف القرضاوي - رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين:

قال رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الشيخ يوسف القرضاوي: إن "النظام المصري منع الجنازة الشعبية لمرشد الإخوان المسلمين السابق محمد مهدي عاكف، فصلّى عليه ملايين المسلمين حول العالم".

جاء ذلك في كلمة للقرضاوي عقب صلاة الغائب على عاكف، في منزله بالدوحة مساء السبت 22 سبتمبر، بحضور خالد مشعل - الرئيس السابق للمكتب السياسي لحركة حماس، وقيادات من المعارضة المصرية وعدد من العلماء.

وأضاف القرضاوي من منزله أن جماهير من المسلمين أدّوا صلاة الغائب

على عاكف في إسطنبول، وغزة، والمسجد الأقصى، كما أدّاها عليه إخوانه المعتقلون، فضلاً عن ملايين في أنحاء العالم.

وأشاد القرضاوي بمواقف عاكف وجهاده في سبيل الدعوة وصلابته في الحق وتقديمه الدعوة على حياته ذاتها.

ووجه القرضاوي الشكر إلى أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، الذي سمح بإقامة صلاة الغائب في أي مسجد يتم اختياره، إلا أن الناس تقاطروا على بيت الشيخ للعزاء".

أ. وائل قنديل - رئيس تحرير جريدة العربي الجديد:

كتب مقالاً في جريدة "العربي الجديد" بعنوان "شكرًا إسرائيل: مهدي عاكف مات"، قال فيه:

جاءت فاجعة رحيل مرشد جماعة الإخوان السابق، الدكتور محمد مهدي عاكف، في سجنه، ضحية تنكيل وحرمان من العلاج في محبسه؛ فعادت الأصوات ذاتها، التي كانت في الصباح تجزل الشكر لإسرائيل على صنيع الانقلاب، لتعبر عن غبطتها وبهجتها برحيل القطب الإخواني، ثم تأتي سلطات السيسي لتصادر جنازته، وتمنع الناس من المشاركة في تشييعه، وتظهر العين الحمراء لكل من يفكر في وداع الرجل الذي بدأ حياته محاربًا في صفوف المقاومة الفلسطينية ضد قيام الكيان الصهيوني..

من اعتراف عماد جاد، واغتيال مهدي عاكف، بالمنع من العلاج، تتكون المعادلة المصرية الجديدة، وفقًا لكيمياء الثلاثين من يونيو: إقصاء الإخوان، وثورة يناير، مقابل إدماج إسرائيل، أو الأدق الذوبان والاندماج فيها، وهي معادلة لاحت مبشراتها منذ صيف 2014م مع العدوان الإسرائيلي على غزة.. أو بكلمة واحدة: (صهينة الوجدان المصري)؛ تلك التي دفعت بصحيفة عجوز "الأهرام"

لتنهش جثته، قبل أن يدفن، وتصف نضاله وجهاده في أربعينيات القرن الماضي، ضد قيام إسرائيل، بأنه "نشاط إرهابي".

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

د. عبد المنعم أبو الفتوح - رئيس حزب مصر القوية:

الأستاذ عاكف أحد أبناء مصر الذين شاركوا في الحرب ضد الصهاينة في فلسطين عام 1948م، ويحمل كل الوطنيين الشرفاء له التقدير؛ بسبب هذا الأمر، وأيضًا بسبب حبه لمصر وحرصه عليها أثناء فترة عمله، سواء كان داخلها أو خارجها.

أ. حمدين صباحي - رئيس حزب الكرامة:

رحم الله محمد مهدي عاكف وغفر له.. وغفر لنا تقصيرنا في المطالبة بالإفراج الصحي عنه وعن كل سجين!!

وأضاف: اجتمع عليه ظلام السجن وتقادم السن، وإنهاك المرض.. كما كان حال الفقيد (رحمه الله) وكثيرين سواه، أخص منهم المستشار الكريم محمود الخضيري، عافاه الله وكتب له النجاة.. البقاء لله.

رموز التيار اليساري في مصر:

نعي رموز التيار اليساري في مصر، المرشد العام السابق لجماعة الإخوان، الذي وافته المنية في محبسه، إثر تدهور حالته الصحية، وعدم الحصول على الرعاية الطبية الكاملة.

الاشتراكيون الثوريين

غردوا نعيًا في عاكف، فقالوا عبر حسابهم على فيسبوك:

قتل النظام العسكري مهدي عاكف المرشد السابق لجماعة الإخوان المسلمين، ومنع الصلاة عليه، بعد أن منع العلاج عنه في محبسه، وهو في الـ90 من عمره، وهو الذي كان يعاني من مرض السرطان.

وأضاف: علمًا بأن النظام المصري رفض إخلاء سبيله رغم المطالبات الحقوقية والعائلية المتكررة مؤخرًا؛ بسبب تدهور حالته الصحية، ورغم عدم وجود أحكام ضده؛ حيث إنه كان محبوسًا احتياطيًا منذ 4 سنوات على ذمة قضايا سياسية.

وتابعت: الإهمالُ الطبي قتلٌ عمد.. نعم للإفراج عن كل المعتقلين السياسيين.. يسقط الحكم العسكري.

وأضافت الحركة: الاختلاف السياسي مع مهدي عاكف فكرًا ودورًا، لن يثني المنصفين عن الامتنان والعرفان لدوره الوطني البطولي في مقاومة الاستعمار البريطاني، وعن تقدير كونه إنسانًا دافع عن مبادئه وأفكاره - اتفقنا أو اختلفنا معها - وضحّى في سبيل ذلك بعشرات السنوات من عمره في غياهب سجون الظلم والطغيان إلى أن قضى فيها.

أ.حسام الحملاوي - ناشط يساري:

"بغض النظر عن أي نقد وخلاف، الفترة اللي تزعم فيها عاكف الإخوان هي أكثر فترة انفتح فيها التنظيم على العمل المشترك مع القوى العلمانية".

وأضاف: "هو اللي دفع الإخوان للنزول إلى الشارع لأول مرة في تاريخهم بدون التنسيق المعتاد مع الأمن، واستجاب لضغوط الشباب في الجماعة للمشاركة في الحراك الديمقراطي اللي خلقته حركة كفاية".

حركة شباب 6 أبريل، نعت عاكف بالقول:

ما كان لصاحب الـ90 عامًا أن يُعامل هكذا .. أن يُسجن وأن يُعذّب وأن يُحرم من دوائه.

م. ممدوح حمزة – ناشط سياسي وخبير هندسي:

"لن أستطيع مسامحة السيسي لعدم الإفراج الصحي عن المرشد مهدي عاكف ليقضي الأيام المتبقية من عمره وهو مسن مريض مع أسرته، السيسي فاقد الإنسانية".

د.شادي الغزالي حرب – ناشط سياسي:

لم يُخرِجوا رجلاً ثمانينيًا انتشر السرطان في جسمه بعفو صحي ليتوفى وسط أهله، ويخرجون بدلًا منه (رجل الأعمال المدان بجريمة قتل) هشام طلعت مصطفى، هذا هو نظام السيسي".

د.سيف الدين عبد الفتاح – أستاذ العلوم السياسية:

"سيظل مهدي عاكف شاهدًا على حقارة النظام ووضاعته، عندما تركوا رجل بلغ التسعين ومريض بالسرطان يموت في السجن بلا تهمة".

د.محمد محسوب – نائب رئيس حزب الوسط:

"رحم الله محمد مهدي عاكف كتب بسنوات اعتقاله ومرضه وشيخوخته قصة صراع الاستبداد وكرامة الرجال، فآثر أن لا يلتمس العفو إلا من ربه، فمات رجلاً".

د. أيمن نور - زعيم حزب الغد:

"وفاة رجل تسعيني في سجنه بسبب رأيه وموقفه السياسي يؤكد أن النظام متجرد من العقل والضمير والمشاعر".

وثمَّن دور المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين، مهدي عاكف، في إثراء الحياة السياسية في مصر، وانتقد في الوقت نفسه تصرفات نظام السيسي الإنسانية في كل المراحل التي سبقت وفاة عاكف من اعتقاله إلى ظروف مرضه إلى وفاته، ومن ثم تشييعه ودفنه وسط إجراءات أمنية مشددة..

أستطيع أن ألاحظ أن النظام، من خلال ممارساته مع الراحل الكبير مهدي عاكف، هو نظام يرتعد من أي شخص له موقف مغاير سواء كان شيخًا طاعنًا في السن، أو طريح الفراش، أو حتى وهو جثة هامدة، لقد وصل بنا الأمر أن تصدر وزارة الأوقاف تعليمات بعدم الصلاة على شخص متوفى!.. مضيفًا أن هذا الرعب يعطي انطباعًا غير إيجابي عن الحالة النفسية التي يعيشها هذا النظام، وفي الوقت نفسه نجد النظام يمنع الصحفيين والمحامين والمتقاضين من دخول جلسة في دعوى يرفعها قاض (طعن المستشار يحيى الدكروري على تخطيه في رئاسة مجلس الدولة) للدفاع عن حقه الدستوري والقانوني، والمشهد في هذه الجلسة لا يقل خطورة عن مشهد المقابر التي استقبلت جثمان الراحل الكريم الأستاذ مهدي عاكف، ويضع النظام أمام حالة غير مسبوقة من الذعر غير المبرر، ومن القهر والمنع لكل شيء، ومن يمنع كل شيء سيفقد كل شيء!".

ودعا السياسي المصري المعارض، جماعة الإخوان إلى التوقف عند وفاة عاكف، وجعلها نقطة للتجمع مرة أخرى، قائلاً: وأتمنى أن تكون وفاة الراحل الكريم خطوة في اتجاه استعادة لحمة الصف الوطني داخل جماعة الإخوان المسلمين.

د. يحيى حامد

وزير الاستثمار في عهد الرئيس د. محمد مرسي:

رحم الله الأستاذ مهدي عاكف، المجاهد ضد الاستعمار، المعتقل في كل عصور الاستبداد والظلم، من وقت الملك إلى الخائن السيسي. إنا لله وإنا إليه راجعون.

م. أبو العلا ماضي - رئيس حزب الوسط:

إنا لله وإنا إليه راجعون، رحم الله الأستاذ مهدي عاكف، الذي غادر هذه الدنيا بعد رحلة طويلة، عانى فيها سنوات طوال في السجون في كل العصور، منذ عهد الملكية والجمهورية بكل مراحلها وحتى آخر يوم في حياته.. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وألهم أسرته ومحبيه الصبر والسلوان.

أ. جمال سلطان - رئيس تحرير جريدة "المصريون":

"في أي تقدير سياسي للمشهد وتوابعه لا يوجد أدنى شك في أن النظام السياسي خسر في تلك الواقعة على المستوى السياسي والإنسانى والأخلاقي أيضًا".

د. عصام العريان - نائب رئيس حزب الحرية والعدالة:

يتحدث الدكتور عصام العريان عن 40 عامًا صحبة وأخوة وتلمذة بجانب أستاذه في الدعوة الشهيد مهدي عاكف، بكلمات جاشت بها نفسه وهاج بها قلبه ولهجت بها شفتاه فتلقفها ناقل هذه الرسالة بالتسجيل والإثبات، وها نحن نعرض رسالته كما وردت، فإلى كلمات د. عصام العريان في رثاء الأستاذ الشهيد مهدي عاكف:

"رفض في إباء وشموخ أن يكتب طلبًا للعفو الصحي الذي يستحقه دون طلبات، وقال محدثًا من أرسله قائد الانقلاب الدموي للقائه: "**لقد رفضت ذلك وأنا شاب أستقبل الحياة حين حكم عليَّ بالإعدام وحين كنت أحتفظ بصداقات مع قادة الجيش، أأطلبه اليوم وقد غدوت شيخًا أنتظر لقاء ربي؟!...**".

وحين طلب محاموه - قبيل وفاته - من القاضي إطلاق سراحه على ذمة القضية المعروفة بأحداث "مكتب الإرشاد"، والتي انقلبت فيها الحقائق، فصار الإخوان الذين حُرّق مقرهم ومركزهم العام متهمين لا ضحايا!! وليسوا في ذلك استثناءً من باقي القضايا التي تحول فيها الضحايا إلى متهمين بينما تحول القتلة إلى قضاة!.. ظل القاضي على إصراره على ألا يطلق سراحه، وألا يبدأ المحاكمة إلا بحضوره لأكثر من عام، رافضًا إخلاء سبيله في القضية الوحيدة التي يحاكم فيها، رغم أن إصابته بالسرطان كانت في مراحلها النهائية، ورغم حاجته لمن يخدمه؛ لعدم قدرته - في الفترة الأخيرة - على تناول الطعام بنفسه، في الوقت الذي منعوا أهله وذويه من زيارته، فاجتمع الظلم على الظلم حتى يصبح ظلمات على الظلمة يوم القيامة إن شاء الله: ظلم النيابة وظلم الأمن وظلم القضاء.

لقي محمد مهدي عاكف ربه ولسان حال الجميع وحال إخوانه وأحبابه وأهل بيته يصب اللعنات على كل من شارك في ظلم رجل بلغ التسعين عامًا (1928م - 2017م)، أمضى منها سبعة وسبعين عامًا مجاهدًا في سبيل الله (1940م - 2017م) حتى لقي ربه صابرًا محتسبًا راضيًا مرضيًا، نموذجًا في الثبات والشموخ، وصدق الله القائل ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23).

عرفتُ محمد مهدي عاكف في أواخر السبعينيات من القرن الماضي خارج مصر وهو يستقبل الوفود المشاركة في مخيم "جنا قلعة" بتركيا؛ الذي أقامته وأشرفت عليه إحدى المؤسسات السعودية الإسلامية، التي عمل بها الأستاذ عاكف لفترة من الزمن، ثم توثقت صلتي به بعد ذلك عندما تزاملنا في مجلس الشعب المصري نوابًا في فترة 1987م - 1990م، ثم في السجون، ثم ازدادت الأواصر حين أصبح عضوًا بمكتب الإرشاد، وحتى تولى موقع المرشد العام عام 2004م خلفًا للمرشد الراحل الكريم المستشار محمد المأمون الهضيبي؛ الذي استمر مرشدًا لعام واحد فقط حتى لقي ربه.

اتسمت صلتي به طوال تلك المرحلة بالحب الصادق والأخوّة الكاملة والتقدير المتبادل، وتوطدت العلاقة أكثر وأكثر؛ إذ تعارفت أسرتانا حين جمعني به سجن واحد لمدة ثلاث سنوات، وما أدراك ما السجون! تُظهر معادن الرجال وتتمايز فيها مواقف الناس؛ بحيث يصبح الواحد منا صفحة مقروءة أمام إخوانه، فعرفت الأستاذ مهدي عاكف فيها نعم الرجل ونعم الأخ ونعم الصديق ونعم القائد.

وقد تولى منصب المرشد العام ثم تركه طائعًا مختارًا ليترك المسئولية لمن يلونه من إخوانه الكرام،... حتى عاد إلى السجن مرةً أخرى مع أول مجموعة يُلقَى القبض عليها في أعقاب الانقلاب العسكري في 3 يوليو 2013م، ليتنقل بين سجن العقرب ثم ملحق المزرعة ثم مستشفى القوات المسلحة في المعادي، ثم مستشفى ليمان طرة، ثم إلى مستشفى قصر العيني الفرنساوي (تحت ضغط الرأي العام) حتى لقي ربه قبل أيام وهو على سرير العناية المركزة.

ثلث عمره تقريبًا (قرابة ثلاثين سنة) قضاها في سجون العسكر، لم تلِن له قناة، صابرًا محتسبًا، مثالًا للرضا عن الله، وفيًّا لدينه ولدعوته ووطنه ولأمته الإسلامية.

هذا هو ابن العمدة وسليل العائلة الكريمة العريقة وابن قرية نوسا بمركز أجا بمحافظة الدقهلية؛ الذي تربى مرفهًا، ينام ثلث حياته على "البُرش" ويكسر الحديد في الجبل، ويتعرض للتعذيب، ويثبته الله في شبابه وشيخوخته حتى آخر نفس في حياته الحافلة، ذلك فضل الله تعالى الذي يمنُّ به على من يشاء من عباده ويختص برحمته من يشاء.

عندما تم انتخابي عضوًا بمكتب الإرشاد من مجلس شورى الإخوان عام 2010م، كان مُصرًّا (رحمه الله) على أن يكتفي بمدة واحدة كمرشد عام ليرسي منهجًا جديدًا للجماعة، في سابقة لم يسبقه إليها أحد، وكأنه بلسان حاله يقول للجميع: إن الإخوان المسلمين جماعة مؤسسية، لا يبحث فيها أحد عن منصب ولا موقع.. وهم جميعًا إخوة في الله وجنود لتلك الدعوة العظيمة، لذلك لم يكن غريبًا أن يطلق عليه المرشد الحالي للجماعة الدكتور محمد بديع لقب "المرشد السابق بالخيرات".

كلمات قليلة لا توفي أ. محمد مهدي عاكف حقه، أكتبها في ظروف السجن التي يعرف الجميع صعوبتها، أدونها في ظلام الزنزانة ولا أدري هل يقدّر لها أن ترى النور أم لا! وفاءً لرمز من رموز مصر والأمة الإسلامية وابن بار من أبناء الجماعة، وهو - لا شك - ممن يستحقون أكثر من ذلك.. أردت من ورائها أن أعرّف القارئ الكريم من هو محمد مهدي عاكف، وكيف ينظر إليه إخوانه ومعاصروه.. رحم الله شهيدنا وأسكنه فسيح جناته.

الأستاذ صلاح عبد المقصود - وزير الإعلام في حكومة الدكتور محمد مرسي:

عرفت الفقيد الكبير محمد مهدي عاكف - المرشد العام السابع للإخوان المسلمين - منذ ثلاثين عامًا، واقتربت منه في مناشط عديدة، حيث عملت

معه، وسافرت معه، وصحبته في لقاء عدد من الزعماء والشخصيات العربية والإسلامية.. تأثّرت به، وتعلمت منه الكثير..

عاكف الذي ولد مع ميلاد جماعة الإخوان المسلمين في عام 1928م، والتحق بقافلتها في عام 1940م، وقاوم في صفوفها الاحتلال الإنجليزي في مصر، والصهيوني في فلسطين..

عاش عاكف المحنة التي تكررت لمرات، ودفع من حريته ثمنًا كبيرًا، وشارك في صنع إنجازات الجماعة وانتصاراتها.

كان جنديًا حارسًا لها، كما كان قائدًا متقدمًا لصفوفها في ساحات النزال السياسي.

تبقى حياة عاكف كتابًا مفتوحًا، يقرأه الأجيال من الإخوان ومحبيهم، لينهلوا من تجربته التي هي بمثابة تاريخ جماعة في سيرة رجل.. تصلح لأن يصنع منها فيلم سينمائي، أو مسلسل درامي، وأتمنى أن نجد من يتعاون في هذا الأمر.

إنه (عاكف بيه)، كما كان يناديه الأستاذ نجم الدين أربكان، كنت أسمع هذا النداء كلما شرفت بالمشاركة في اللقاءات التي تجمعهما مع قيادات العمل الإسلامي..

تذكرت هذا اللقب، وأنا أشارك في صلاة الغائب على روحه في مسجد السلطان محمد الفاتح باسطنبول، وهو نفس المسجد الذي شارك عاكف في الصلاة فيه على رفيق دربه أربكان..

تذكرته وأنا أتابع أخبار إقامة صلاة الغائب على روحه الطاهرة في كل المدن التركية (81 محافظة)!

تذكرته وأنا أتابع الصلاة على روحه في معظم دول العالم، ومجالس العزاء التي فتحت في كل العواصم لتلقي العزاء فيه، بعد أن منعت سلطات الانقلاب المصريين من تشييعه إلى مثواه الأخير، وقرر مشايخ الشرطة في وزارة الأوقاف منع إقامة صلوات الغائب على روحه في مساجد مصر، وتهديد من يفعل بالعقاب..

جنازته كانت عبارة عن أرتال من المدرعات والمصفحات التي حاصرت الجثمان حتى أسلمته لباب المقبرة، ولم تسمح قوات الشرطة لأحد أن يودعه إلى قبره إلا لثلاث نساء.. زوجته وابنته وحفيدته، إضافة إلى محاميه!!

ويا له من مشهد مشابه تمامًا لمشهد جنازة مؤسس الإخوان المسلمين الإمام الشهيد حسن البنا، فلم يسمح لأحد أن يمشي في جنازته إلا للسياسي المسيحي الكبير مكرم عبيد باشا، وحمل نعشه والده وثلاث نساء!

في شبابه - كما في كهولته - أشرف عاكف على قسم الطلاب، فكان ذلك النشاط الطلابي الواسع الذي أشعله في جامعات مصر..

عملت معه عندما كُلِّف بالإشراف على قسم المهنيين، فكانت النقابات المهنية التي قادها شباب الإخوان أقوى في تأثيرها السياسي من كل الأحزاب، وفي تأثيرها الاجتماعي والاقتصادي لصالح أعضائها كانت أقوى من الحكومة.

وعملت معه في قسم الاتصال بالعالم الإسلامي الذي كان بمثابة وزارة الخارجية للإخوان المسلمين، وشرفت بصحبته في زيارة عدد من الدول، ولقاء العديد من المسؤولين فيها، فكان عاكف نعم الممثل لجماعته، تشعر أنك أمام سياسي محنك، تتعلم منه أصول الحوار والبروتوكول السياسي..

أما الشرف الكبير فقد كان عملي معه في لجنة فلسطين التي شكلها الإخوان منذ زمن بعيد لدعم القضية الفلسطينية.. وكان الدعم الذي يوجهه الإخوان لفلسطين بمساعدة شعب مصر - الفقير الكريم - يفوق أي دعم من أية دولة عربية أو إسلامية.. بترولية أو غير بترولية..

كان عاكف مهمومًا بالقضية، متصلاً بقادتها ورموزها، فكم من مرة يدعوني وكنت شابًا صغيرًا للقاء أبي عمار (ياسر عرفات) والنقاش معه فيما يخص الشأن الفلسطيني، أو العلاقة بين فتح وحماس، أو الصعوبات التي تواجهها القضية.

كان عرفات يحب عاكف بحكم علاقة النضال التاريخية التي جمعتهما شبابًا، وكان عاكف يبذل إليه النصيحة كصديق حميم، وفي الوقت نفسه يمثل الطرف الغائب في النقاش (حماس) أفضل تمثيل..

تسمع دفاعه عن حماس في مواجهة عرفات، فتشعر أن الشيخ أحمد ياسين، أو أبا الوليد خالد مشعل لو كان حاضرًا ما قال أكثر مما قاله عاكف!

وكان يشجعني وأنا الشاب الصغير أمام عرفات أن أدلي برأيي فيما يثار من أفكار ونقاشات.

وأذكر له أنه لما تولى منصب المرشد أصرّ أن تبقى رئاسة لجنة فلسطين معه، حتى لا يحرم من بركة العمل لفلسطين والأقصى والقدس!

رافقته في بعض لقاءاته بقيادات الأحزاب والحركات، وقادة الفكر والرأي، والكتاب والصحفيين، والفنانين، فقد كان حريصًا على التواصل مع كل قوى المجتمع وفئاته.. وفور انتخابه كمرشد زار كل الأحزاب المعارضة، وكان لبعضهم تباين في الرؤى مع الإخوان المسلمين، لكنه أراد أن يفتح صفحة جديدة من التعاون في المشترك الوطني مع الجميع..

حتى مع خصمه اللدود الراحل رفعت السعيد - الذي لقي ربه قبل عاكف بشهر واحد - ذهب إليه وقد كان رئيسًا لحزب التجمع اليساري، وجلس مع قيادات الحزب، ودعاهم جميعًا إلى التعاون مع الإخوان فيما يعود بالخير على مصر وشعبها.

لا تعجب إذا عرفت أن عاكف كان له عدة هيئات استشارية يعود إليها لأخذ رأيها في قراراته الاستراتيجية؛ فقد كانت له هيئة تضم قامات عظيمة، دعوية وسياسية وقضائية وقانونية وتاريخية، وكان يجلس مع هذه الهيئة كل خمسة عشر يومًا، أما مكان الاجتماع فقد كان متنقلاً كل مرة في بيت من بيوت هؤلاء العظام، وقد كان أعضاء هذه الهيئة من المحبين للجماعة الحريصين على نجاحها.

لا تعجب إذا علمت أن عاكف كانت له هيئة استشارية أخرى، تضم قامات أيضًا من مختلف التيارات: الشيوعية، والقومية، والليبرالية، والمسيحية..

كان يستشيرهم فرادى ومجتمعين كلما دعت الحاجة، وكانوا يبذلون له الرأي والنصيحة لثقتهم في قدرة الرجل وجماعته على أحداث التغيير الذي ينشدونه لمصر..

لكن للأسف الشديد تحوّل معظم أعضاء هذه الهيئة إلى معسكر الانقلابيين، رغم تعامل الإخوان الكريم معهم، ورغم حمل الإخوان لهم ودعمهم في الوصول إلى عضوية البرلمان، لكنه الحسد على الإخوان والغيرة التي دفعتهم للتعاون مع العسكر بغية القضاء على الإخوان!

كان عاكف مبادرًا مقدامًا.. انتخب في يناير 2004م، وبمجرد انتخابه طلب من القسم السياسي، ومن لجان الجماعة الفنية إعداد مبادرة للإصلاح في مصر، تشمل كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والصحية، إضافة إلى إصلاح الأزهر.

وقرر عاكف إعلانها من نقابة الصحفيين باعتبارها منبر الحرية والرأي في ذلك الزمان.

لم يتجاوب مبارك مع نداء عاكف، فما كان من الأخير إلا أن حرك المظاهرات التي بدأت في مارس 2005م، واستمرت حتى مايو من العام نفسه.

أذكر أن الإخوان خرجوا في كل مدن وقرى وكفور مصر عقب صلاة الجمة في أوائل شهر مايو، وواجههم الأمن بالقمع والاعتقال، ووصل عدد المعتقلين الإخوان في هذا اليوم إلى أربعة آلاف معتقل.

مساء هذا اليوم، جلست أتابع نشرات الأخبار في القنوات التليفزيونية، وأدير مؤشر الراديو على محطات الإذاعة العالمية لأجد خبر مظاهرات الإخوان محتلاً لصدر النشرات، وهو محور البرامج التحليلية..

غمرتني السعادة، وتوجهت في الصباح إلى فضيلة المرشد مواسيًا له في اعتقالات الآلاف من إخوانه وأبنائه.. دخلت عليه فاستقبلني بوجهه المشرق وابتسامته المعهودة..

قلت: فضيلة المرشد لك أن تشكر الله على ما أنجزه الإخوان بالأمس، لقد رفعت اسم الإخوان عاليًا.. لا تحزن على ما أصاب الإخوان من اعتقالات وتنكيل..

وأضفت قائلاً: قضية الإخوان ومظاهراتهم واعتقالاتهم الآن هي موضوع حديث أهاليهم وجيرانهم وأصدقائهم في الدراسة أو العمل..

رد بابتسامة الواثق: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.. أنا لست حزينًا على اعتقال الإخوان.. هذه ضريبة يجب أن يدفعها الإخوان نيابة عن الشعب المصري.. لأنهم الطليعة..

ثم ضحك وقال: الأمر بسيط.. أنا كنت عامل حسابي على اعتقال خمسة عشر أو عشرين ألفًا!!

فاجأني المرشد برده، وشعرت أنه قائد من طراز خاص.

نجح عاكف في إحداث أزمة كبيرة لنظام مبارك، وأظهره إمام العالم أنه نظام مستبد يقمع الحريات، ويعتقل المطالبين بالإصلاح، فما كان من نظام مبارك إلا أن قرّر الإفراج عن الإخوان بعد أسابيع من اعتقالهم، ولكن على ذمة قضايا تجمهر ومحاولة لقلب نظام الحكم بالقوة! وبكفالة مالية لكل معتقل متوسطها خمسة آلاف جنيه يدفعها المعتقل كي يفرج عنه..

ومرة أخرى يرمي عاكف بالأزمة في حجر مبارك.. إذ أصدر تعليماته للإخوان بالامتناع عن دفع الكفالة، ورفض توصيف المظاهرات المنادية بالإصلاح وحرية الشعب بأنها محاولة انقلابية..

تأمر نيابة أمن الدولة بإعادة الإخوان إلى السجون؛ لأنهم رفضوا دفع الكفالة.. لم يكترث عاكف بقرار النيابة.. ليذعن نظام مبارك المأزوم، ويقرر الإفراج عن الإخوان بلا كفالات مالية.

إنه المرشد الذي التقط فرصة الإشراف القضائي على انتخابات 2005م، ودفع بمئة وستين مرشحًا من الإخوان لخوضها، فاز منهم 88 نائبًا، وكان الإخوان جديرين بحصد أربعين مقعدًا إضافيًا باعتراف أحمد نظيف رئيس الحكومة آنذاك.. لكن أعمال القمع والتزوير والعنف الذي ارتكبه الأمن وأودى بحياة 12 مواطنًا حرم الإخوان من هذه المقاعد.

وأذكر أن المرشد عاكف والدكتور مرسي كانا مهندسي هذه الانتخابات.

في عام 2006م، خرج الإخوان يدافعون عن القضاة واستقلالهم بعد إقدام النظام على إحالة اثنين منهم إلى التحقيق (المستشاران محمود مكي وهشام البسطويسي) على خلفية فضح نادي القضاة لأعمال التزوير التي ارتكبها النظام في الانتخابات البرلمانية. واعتقل في هذه المظاهرات المئات من الإخوان، وكان من بينهم الدكتور محمد مرسي.

وفي عام 2006م، أخرج عاكف المظاهرات المنددة بالحرب الإسرائيلية على لبنان، وأعلن استعداده لإرسال عشرة آلاف متطوع من الإخوان للمشاركة في المقاومة الشعبية ضد العدوان الإسرائيلي ودفاعًا عن الأشقاء في لبنان.

وفي عام 2008م خرج الإخوان في تظاهرات عارمة ضد الحرب الإسرائيلية على غزة، ولم يكتفوا بالتظاهر، لكنهم حركوا مئات القوافل الإغاثية التي أوصلت الأدوية والأغذية لأهلنا في غزة.

وكان أطباء الإخوان في طليعة الأطباء الذين دخلوا غزة، وشاركوا في علاج الجرحى والمصابين رغم القصف الإسرائيلي الذي طال المستشفيات والمراكز الطبية.

إنه عاكف الذي أشعل شرارة المواجهة مع نظام مبارك الاستبدادي، تلك المواجهة التي مهدت لثورة الخامس والعشرين من يناير.. لم يرهبه الاعتقال الذي طال الآلاف من أبناء الجماعة، وامتد ليطال الأمين العام للجماعة وبعض أعضاء مكتب الإرشاد، بل كان رده: وأنا أيضًا مستعد لدخول السجن.

وعندما قتلت قوات أمن مبارك عددًا من أبناء الإخوان كطارق الغنام في المنصورة، وأكرم الزهري في الإسكندرية، قال عاكف: إنني أفضل أن يقتل أبناء الإخوان دفاعًا عن حرية إخوانهم المصريين.

حكى عاكف - لنا ولكل الأجيال - أنه عندما دخل السجن في عام 1954م، وحكم عليه بالإعدام مع ستة من إخوانه في قضية تهريب الفريق عبد المنعم عبد الرؤوف، أحد قيادات حركة يوليو، والذي قاد مهمة حصار قصر التين، وأجبر الملك فاروق على الخروج من مصر..

يقول: إنهم أعدموا إخوانه الستة واحدًا تلو الآخر، وكان ينتظر دوره، وكانوا في نفس الوقت يساومونه على كتابة التماس لعبد الناصر يطلب منه العفو أو تخفيف الحكم.. لكن عاكف رفض.. وشاءت إرادة الله أن تتدخل بعض الحكومات وتضغط على عبد الناصر لوقف مسلسل الإعدام، ليُلغَى إعدام عاكف، ويستبدل به السجن المؤبد..

عاش عاكف بعد إلغاء الحكم بإعدامه في عام 1954م وتأخر استشهاده 63 عامًا..

ورحل عبد الناصر الذي حكم بإعدامه في عام 1970م، ورحل السادات في عام 1981م، وخلع مبارك في عام 2011م، ويبقى عاكف حيًا يرزق حتى لقي ربه شهيدًا في سجون الانقلاب بعد حياة حافلة بالعطاء..

اعتقله الانقلاب وقام بإيداعه في باستيل مصر.. سجن العقرب سيء السمعة.. لمدة ثلاث سنوات.

كانت الزنزانة التي يقبع فيها تحت الأرض خالية من مقومات الحياة، فما هي في الحقيقة إلا حمام فيه قاعدة تواليت، ومصطبة بازلتية للنوم عليها، وبطانية رثّة ذات رائحة كريهة..

ولما اشتد عليه المرض في هذه الزنزانة، وأصبحت صحته في خطر عظيم، نجح محاموه في الحصول على قرار بنقله للعلاج على نفقته الخاصة في مستشفى القصر العيني..

وافقت وزارة الداخلية، لكنها لم تراع وضع الرجل الصحي وحاجته للرعاية، وفرضت عليه حراسة مشددة تحصي عليه أنفاسه، وتفتش الداخل إليه والخارج حتى الأطباء والممرضين..

لدرجة أنه كان (رحمه الله) يطلب حضور الممرضة لتتابع آلامه، لكنها كانت تمتنع تارة، وتتلكأ تارة أخرى بسبب المضايقات التي تتعرض لها من طاقم الأمن الموجود أمام غرفته.

طلبت زوجته أن يُسمَحَ لها بزيارته لمدة ساعة كل يوم لتقدم له بعض الرعاية الضرورية، لكن المحكمة رفضت طلبها..

فما كان منه إلا أن قال لها: لا تبتئسي فالراعي هو الله.

علمني عاكف أن الحياة موقف، فقد عاش حرًا عزيزًا قابضًا على مبدئه.. وكأن شعاره:

فإما حياة تسرّ الصديق وإما ممات يغيظ العدى

لقد جاءه من يطلب منه - وهو في أشد المرض - أن يلتمس العفو ليفرج عنه، فقال: لم أفعلها وأنا شاب صغير.. فهل أفعلها وأنا شيخ في التسعين أنتظر لقاء ربي كل لحظة؟!!

لله درك أيها المرشد العظيم.. طبت حيًا.. وطبت شهيدًا.

إجمـاع عـالمي على رثـاء الشهـيد

حركة المقاومة الإسلامية (حماس):

أصدرت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" بيانًا تنعي فيه وفاة مرشد الإخوان المسلمين السابق مهدي عاكف. وجاء نص البيان كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23) صدق الله العظيم.

تنعي حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ببالغ الحزن والأسى فقيد الأمة وأحد أعلامها وقامة من قاماتها الأستاذ محمد مهدي عاكف، المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين، وأحد الذين كان لهم الدور الكبير في الدفاع عن قضايا الأمة وعزّتها وقضية فلسطين، وداعمًا لمقاومتها ونصرة أهلها ومؤازرتهم، ومن الأوائل الذين خاضوا معركة الدفاع عن فلسطين، سائلين الله (عَزَّوَجَلَّ) أن يتغمده بواسع رحمته، ويلهم أهله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

(إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).

الأستاذ خالد مشعل - الرئيس السابق لحركة حماس:

(منذ ليلة أمس، وأنا أحاول أن أكفّ عن البكاء على والدنا ووالد الحركة الإسلامية وما استطعت).. هكذا كانت بداية الكلمة التي ألقاها "أبو الوليد خالد مشعل" في تأبين عاكف بالدوحة، قالها الرجل وهو يبكي، والحاضرون أسرى كلماته الحارة، وعباراته القوية، وهذا بعض ما قاله:

- "حق لنا - نحن الفلسطينيين - أن نرثي أنفسنا في فقيد الأقصى وفلسطين، وكيف لا والقضية الفلسطينية لها النصيب الأول والسهم الأوفى في حياة الشهيد؟!

- أعرف الفقيد منذ عام 1988م، حين التقيت به في أول مؤتمر دولي للقدس، والذي نجح نجاحًا باهرا على أرض لبنان.

- ما كان يميز أ .عاكف، ويمتاز به هو نظرته العالمية للأمور، وتخطيه حدود الأوطان والأعراق والأحزاب والحركات.

- نموذجه في القيادة كانت قريبة من (شيخ البلد أو عمدتها)، فتجد مع القوة الأبوة، وتجد مع الحزم العاطفة، حتى إن ياسر عرفات كان حريصًا على التواصل معه وزيارته حين يزور القاهرة.

- كان للفقيد مرونة عالية، ولكنها مبنيّة على الأصالة والثبات، وقَلّ أن تجد من يجمع بين المرونة والأصالة.

- أكثر من كان يتواصل معهم ويسأل عن أحوالهم هم الشيخ أحمد يس، ونجم الدين أربكان، ومحفوظ النحناح، والشيخ الغنوشي.

- لو كنت مصريًا لجعلت من موت الشيخ عاكف جذوة للتغيير ونبراسًا للقيادة وأملاً للشباب.

الشيخ على جاويش: المراقب العام للإخوان في السودان:

قال الله تعالى:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23) صدق الله العظيم.

نحتسب عند الله تعالى فضيلة المرشد السابق لجماعة الإخوان المسلمون الأستاذ

محمد مهدي عاكف، والذي لقي ربه صابرًا محتسبًا في سجون الطغاة بعد حياة حافلة بالجهاد والتضحيات في سبيل إعلاء رسالة الإسلام والاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية. سائلين الله تعالى أن يتقبله مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وأن يلهم أهله وذويه وإخوانه ومحبيه الصبر والسلوان.

(إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).

الشيخ كمال الخطيب - نائب رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني:

نعى الشيخ كمال خطيب - نائب رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني المحتل عام 1948م - الأستاذ عاكف، بالقول: "عندما كان محمد مهدي عاكف يجاهد على أرض فلسطين في العام 1948م كان السيسي الذي يعتقله نطفة قذرة في ظهر أبيه".

كما وجه الخطيب انتقادات للعاهل السعودي سلمان بن عبد العزيز بسبب دعمه للسيسي، مقارنًا بين موقف الملك فيصل بن عبد العزيز من اعتقال جمال عبد الناصر للمفكر الإسلامي سيد قطب، وموقف الملك سلمان الآن الذي وجدناه أصم أبكم بل داعم لهذا المجرم السيسي.

وبدا الشيخ الخطيب متأثرًا وهو يتحدث عن عاكف، مبديًا حزنه على أن "يموت شيخ مثله في الـ 90 وهو مريض بالسرطان في زنزانة فيها يعاني أشد الظروف صعوبة، فهذا لا يمارسه أبدًا إلا الطغاة، وإلا الجبابرة الذين ليس في قلوبهم رحمة".

حزب جبهة العمل الإسلامي - الأردن:

نعى الأمين العام لحزب جبهة العمل الإسلامي محمد الزيود في بيان أصدره

الجمعة وفاة المرحوم الشيخ محمد مهدي عاكف بعد حياة حافلة بالدعوة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

د.حاكم المطيري - أكاديمي إماراتي:

"بعد تسعين سنة قضاها الشيخ مهدي عاكف مجاهدًا في سبيل الإسلام ختم الله له بالشهادة في سجن الطاغوت ليضرب للشباب أروع مثل في الثبات والتضحية".

د.محمد مختار الشنقيطي - مفكر موريتاني:

عقد الدكتور الشنقيطي مقارنة بين الأستاذ مهدي عاكف وهو بين عبيد السيسي وبين الشيخ عمر المختار وهو بين عبيد موسوليني، موضحًا:

"طالما ذكّرتني صورة الشيخ مهدي عاكف بأيْدي عبيد السيسي الفاشيين، بصورة الشيخ عمر المختار بأيْدي عبيد موسوليني الفاشيين.

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين:

لقد تلقينا بقلوب مفعمة بقضاء الله وقدره نبأ وفاة فضيلة الشيخ المجاهد الأستاذ مهدي عاكف المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين بعد صراع ومعاناة مع المرض في المعتقلات المصرية عن عمر يناهز 89 عامًا بعد حياة حافلة بالجهاد والنضال والدعوة وخدمة الدين.

حزب الاستقلال - المغرب:

حزب "الاستقلال" يقدم خالص عزائه لمصر وللأمة العربية والإسلامية، ولأسرة الأستاذ مهدي عاكف المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين الذي وافته المنية بعد صراع مع المرض بعد تدهور حالته الصحية بشدة داخل السجن.

د. منصف المرزوقي - الرئيس التونسي السابق:

انتقد الرئيس التونسي السابق الدكتور منصف المرزوقي، طريقة تعامل السلطات المصرية مع مخالفيها في الرأي، واعتبر ذلك أمرًا مشينًا لن يولّد إلا رغبة الانتقام، وتواصل مسلسل العنف ودمار الأجساد والأرواح والمجتمعات.

وتساءل المرزوقي تعليقًا على نبأ وفاة المرشد العام السابق للإخوان المسلمين مهدي عاكف، في تدوينه نشرها على صفحته على موقع التواصل "فيس بوك": "أما لهذا الرجل ذرّة من الإنسانية؟.. بلغني خبر وفاة مهدي عاكف المرشد السابق للإخوان المسلمين في سجون السيسي، والرجل البالغ من العمر عتيًا لم يتلق منذ الانقلاب سنة 2013م أي علاج طبي.. رحم الله الفقيد، ورزق أهله وأحبابه جميل الصبر والسلوان".

الحزب الإسلامي الماليزي:

قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23)

ببالغ الأسى والحزن تلقينا خبر وفاة الشهيد المناضل المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين الأستاذ محمد مهدي عاكف في السجن مظلومًا، وبذلك قد انضم إلى قافلة شهداء المناضلين الأبرار.

حزب التجمع الوطني للإصلاح والتنمية "تواصل" - موريتانيا:

وصف رئيس حزب التجمع الوطني للإصلاح والتنمية محمد جميل ولد منصور المرشد العام السابق للإخوان بمصر محمد مهدي عاكف بأنه كان مرشدًا فعالاً حاضرًا في الشأن العام، عبر بالجماعة مطبات سياسية صعبة ووسع من حضورها وعلاقاتها في مصر.

حزب "حركة النهضة التونسية":

نعى حزب حركة النهضة التونسية المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين محمد مهدي عاكف، مشددة على أهمية التعايش والوفاق والوحدة بين المصريين لمجابهة الأخطار المحدقة بهم كافة.

هيئة علماء فلسطين في الخارج:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23)

ننعي إلى الأمة الإسلامية وأحرار العالم المجاهد الصابر المحتسب الشهيد بإذن الله تعالى "محمد مهدي عاكف" – المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين – الذي قضى شهيدًا مظلومًا في سجون الانقلاب المجرم في مصر عن عمر ناهز 89 عامًا قضاها في الجهاد في سبيل الله تعالى على أرض فلسطين، ومواجهة الاحتلال الإنجليزي لمصر وفي مواجهة الاستبداد والطغيان في مختلف العصور، فقضى شطرًا من عمره في سجون المستبدين إلى أن لقي الله (عَزَّوَجَلَّ) شهيدًا في زنازين الطغاة.

جماعة الإخوان المسلمين في الأردن:

تنعي جماعة الإخوان المسلمين في الأردن فضيلة الأستاذ محمد مهدي عاكف المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين، فارس الموقف والكلمة، الذي لاقى وجه ربه مؤمنًا صابرًا محتسبًا ثابتًا على المبدأ، لينطبق عليه قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23).

لقد كان لارتقاء فضيلة الأستاذ محمد مهدي عاكف شهيدًا إلى ربه بالغ الأثر في نفوس إخوانه ومحبيه وتلامذته.. فكان هذا حافزًا لأن تظل أقلام إخوانه ترثيه وتردد تاريخه جيلًا بعد جيل، ولِمَ لا وهو الشهيد الذي دوّخ الطغاة في عصور طغيانهم حتى لقي الله محتسبًا راضيًا.

المـــراجـــع

أ- الكتب:

1 - أحاديث الجمعة، للإمام حسن البنا، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2005م.

2 - مذكرات الدعوة والداعية، للإمام حسن البنا، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1990م.

3 - مجموعة رسائل الإمام البنا، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2009م.

4 - حديث الثلاثاء، دار الاعتصام، 1986م.

5 - أقسمت أن أروي، روكس معكروف، دار الأنصار، 1978م.

6 - البوابة السوداء (التاريخ السرى للمعتقل)، أحمد رائف، الزهراء للإعلام العربي، 1988م.

7 - سراديب الشيطان، أحمد رائف، الزهراء للإعلام العربي، 1989م.

8 - التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدولي، المستشار سالم البهنساوي، دار النشر للجامعات، 2003م.

9 - الحكم وقضية تكفير المسلم، دار الوفاء، 1986م

10 - فكر سيد قطب في ميزان العدل، دار الوفاء، 1987م

11 - سيد قطب بين العاطفة والموضوعية، دار الوفاء، 1988م.

12 - مذكرات يوسف القرضاوي (ابن القرية والكُتَّاب)، د.يوسف القرضاوي، دار الشروق، 2003م.

13 - الخديعة الناصرية، صافيناز كاظم، القارئ العربي للنشر، 1991م.

14 - الزلزال والصحوة (الإخوان المسلمون: محنة 1965م)، محمد الصروي، دار التوزيع والنشر، 2004م.

15 - الإخوان المسلمون في سجون مصر، محمد الصروي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2006م.

15 - أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، دار التوزيع والنشر، 2002م.

16 - الشيخ الغزالي كما عرفته.. رحلة نصف قرن، د.يوسف القرضاوي، دار الوفاء للطباعة والنشر، 1995م.

17 – الإخوان المسلمون.. (70) عامًا في الدعوة والتربية والجهاد، د. يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة، 1999م.

18 – الإخوان المسلمون.. (60) قضية ساخنة، مواجهة مع المستشار محمد المأمون الهضيبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1999م.

20 – الإخوان المسلمون والمجتمع المصري، محمد شوقي زكي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1990م.

21 – الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم، دار الدعوة للطبع والنشر، 2004م

22 – الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، كامل الشريف، ومصطفى السباعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1986م.

23 – الإخوان المسلمون، د.ريتشارد.ب.ميتشل، ت: د.محمود أبو السعود، تعليق: صالح أبو رقيق، د.ن، د.ت.

24 – الإخوان المسلمون في مصر، مصطفى الطحان، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2005م.

25 – النقط فوق الحروف (الإخوان المسلمون والنظام الخاص)، أحمد عادل كمال، الزهراء للإعلام العربي، 1407هـ / 1987م.

26 – الإخوان والعنف، عامر شماخ، السعد للنشر والتوزيع، د.ت.

27 – حقيقة النظام الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ، دار الاعتصام، 1407هـ – 1987م.

28 – عبقرية عمر، عباس العقاد، كتاب الدوحة، 10 / 2012م.

29 – مذكرات اللواء عبد المنعم عبد الرؤوف: أرغمت فاروق على التنازل عن العرش، الزهراء للإعلام العربي، 1990م.

30 – جمال عبد الناصر وحادث المنشية، عباس حسن السيسي، دار الطباعة والنشر، 1408هـ/ 1987م.

31 – هذا يوم الحداد، علي الطنطاوي، د.ن، د.ت.

32 – الأوردي: مذكرات سجين، سعد زهران، الهيئة العامة للكتاب، 2013م.

33 - أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين، حسين حمودة، الزهراء للإعلام العربي، 1405هـ / 1985م.

34 - خواطر مسجون، سعد سرور كامل، دار الدعوة للطبع والنشر، 1405هـ / 1985م.

35 - أيام من حياتي، زينب الغزالي، دار الشروق، 1982م.

36 - الإخوان وعبد الناصر(القصة الكاملة لتنظيم 65)، أحمد عبد المجيد، الزهراء للإعلام العربي، 2006م.

37 - ذكريات لا مذكرات، عمر التلمساني، دار الاعتصام، 1405هـ / 1985م.

38 - الإخوان المسلمون تحت قبة البرلمان، محسن راضي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ت.

39 - الإسلام والسياسة.. الرد على شبهات العلمانيين، د.محمد عمارة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1993م.

40 - الإمام الشهيد حسن البنا.. بأقلام تلامذته ومعاصريه، جابر رزق، دار الوفاء للطباعة والنشر، 1986م.

41 - آلام وآمال.. على طريق الإخوان المسلمين، حسن دوح، دار الاعتصام للطبع والنشر، 1989م.

42 - الأيام الحاسمة وحصادها، حسن العشماوي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1985م.

43 - جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين، حسن الجمل، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2000م.

44 - حسن البنا.. مواقف في الدعوة والتربية، عباس السيسي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001م.

45 - حسن البنا.. الملهم الموهوب، عمر التلمساني، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1984م.

46 - حسن الهضيبي.. الإمام الممتحن، جابر رزق، دار اللواء للطباعة والنشر،2003م.

47 - حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر، المرشد محمد حامد أبو النصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1988م.

48 - حوار مع الشيوعين فى أقبية السجون، عبد الحليم خفاجي، دار الوفاء للطبع والنشر، 1987م.

49 - حياة مصطفى مشهور.. كما عاشتها أسرته، د.محمد عبد الجواد، م.مشهور مصطفى

مشهور، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2005م.
50 - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالي، دار الوفاء للطباعة للطباعة والنشر، 1988م.
51 - دعاة لا قضاة (أبحاث في العقيدة الإسلامية ومنهج الدعوة إلى الله)، المرشد حسن الهضيبي، دار الدعوة للطبع والنشر، 1977م.
52 - رحلتي مع الجماعة الصامدة، أحمد أبو شادي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1998م.
53 - شاهد على جهاد الإخوان المسلمين في حرب فلسطين، علي مصطفى نعمان، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2002م.
54 - صحافة الإخوان المسلمين.. دراسة في النشأة والمضمون، د .شعيب الغباشي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1999م.
55 - صفحات من التاريخ، صلاح شادي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2006م.
56 - صيحة حق، د .محمود جامع، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2005م.
57 - عمر التلمساني بين حماس الشباب وحكمة الشيوخ، مصطفى العدوي، دار الأقصى للكتاب، 1987م.
58 - عمر التلمساني.. وداعًا، د .ن، د .ت.
59 - عندما يحكم الغباء، المستشار علي جريشة، دار اللواء للطباعة والنشر، 1992م.
60 - في صحبة المرشد العام الإمام حسن الهضيبي، عبد الفتاح المحروقي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1989م.
61 - في قافلة الإخوان المسلمين، عباس السيسي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2002م.
62 - قصة أيامي، (مذكرات) عبد الحميد كشك، المختار الإسلامي، د .ت.
63 - مذبحة الإخوان المسلمين في ليمان طرة، جابر رزق، دار اللواء للطباعة والنشر، 2001م.
64 - من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية في مصر، مركز الإعلام العربي، 2012م.
65 - نظرات تربوية في الدعوة والجماعة، حسام حميدة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2006م.
66 - هذه تجربتي وهذه شهادتي، سعيد حوى، مكتبة وهبة، 1987م.
67- هندي في السجن الحربي، د .توفيق الشاوي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001م.

68 – يوميات بين الصفوف المؤمنة، علي أبو شعيشع، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2000م

25 – 69 عامًا في جماعة الإخوان المسلمين، حسن دوح، دار الاعتصام للطبع والنشر، 1983م.

70 – عندما غابت الشمس: مذكرات السجون والمعتقلات، عبد الحليم خفاجي، دار الاعتصام، 1407هـ / 1987م.

71 – مذابح الإخوان فى سجون ناصر، جابر رزق، دار اللواء للطباعة والنشر، 2002م.

72 – الإخوان المسلمون في سجون مصر، محمد الصروي، دار التوزيع والنسر الإسلامية، 2004م.

ب – جرائد ودوريات:

1 – ج (الأهرام)، أعوام: 1954، 1965، 1966، 1967م.

2 – ج (الأخبار)، أعوام: 1954، 1965، 1966، 2006، 2011، 2012م.

3 – ج (العربي)، عام 2007م.

4 – ج (نهضة مصر)، عامي: 2011، 2012م.

5 – ج (الدستور)، أعوام: 2006، 2007، 2008، 2010م.

6 – ج (المصري اليوم)، أعوام: 2007، 2011، 2012م.

7 – ج (روز اليوسف): عامي: 2006، 2012م.

8 – ج (الحياة اللندنية)، 2008م.

9– ج (اليوم السابع)، 2011م.

10– ج (الشروق)، عامي: 2009، 2012م.

11– ج (الشعب)، أعوام: 1987 – 2000م.

12– ج (صوت الأمة)، أعوام: 2004، 2008، 2011م.

13– مج (الدعوة) الإصدار الثاني، أعوام: 1981 – 1976م.

14– مج (لواء الإسلام)، أعوام: 1991 – 1987م.

15– مج (الشباب)، 2011م.

16– مج (المختار الإسلامي)، أعوام: 2012 – 1987م.

17– مج (الاعتصام)، أعوام: 1990 – 1987م.

18 – مقالات "بصراحة" لمحمد حسنين هيكل، جريدة الأهرام.

المحتـــويـــات

إهداء 5

مقدمة أ.صلاح عبد المقصود 7

الفصل الأول: مسيرة حياة 17

مسيرة حياة 18

تحت لواء الإخوان 21

فتى النظام الخاص 29

في مدرسة الطور 42

بعد رحيل الإمام 47

23 يوليو.. الخدعة الخبيثة 55

تمثيلية المنشية والتنكيل بالإخوان 67

يوم الحداد العام 72

دعاة بالزي الأزرق 76

وهلك الطاغية 109

برلماني محنك رغم أنف النظام 122

أزمة حزب الوسط 128

الفصل الثاني: من الجندية إلى القيادة 139

من الجندية إلى القيادة 140

بداية إصلاحية 145

الإخوان وانتخابات الرئاسة 154

اكتساح الانتخابات البرلمانية (2005م) 158

الفصل الثالث: الجنسية مسلم 173
الجنسية مسلم 174
العدوان على غزة 183
في مواجهة الطاغوت 207
أزمة نادي القضاة 211
بصمات العهد (العاكفي) 231
هل تتحول الإخوان إلى حزب سياسي؟ 236
الكلمة الفصل الأخيرة 266
الفصل الرابع: المرشد الثائر 273
المرشد الثائر 274
الفصل الخامس: في رثاء شيخ المجاهدين 289
المراجع 321
المحتويات 326

شيخ المجاهدين

محمد مهدي عاكف

هذا الكتاب

• وثيقة حول رحلة حياة شيخ المجاهدين الأستاذ محمد مهدي عاكف؛ عرفانًا لرمز عظيم من رموز الأمة، وبرهانًا ساطعًا من براهين خيريتها، وتصحيحًا لوعي الأجيال المنكوبة بإعلام فاسد يروج لنماذج قدوة مشوهة يراد لها أن تتصدر هذا الوعي، وتشغل أصحابه بالتوافه والسفاسف ليصبحوا معاول لهدم الأمة لا وقودًا لنهضتها.

• هدية لروح الأستاذ عاكف، الروح الصلبة التي لم يستطع الطغيان كسرها، ولم يغيبها الرحيل، فالآثار مكتوبة في كتاب الأزل مصداقًا لقوله (عزوجل): (ونكتب ما قدموا وآثارهم) (يس: ١٢)، ومن بين واجبات الاستخلاف أن يكون هناك من يضطلعون بتوثيق آثار العظماء وسيرهم لتظل شاهدًا على ما بذلوه وتحملوه، ومدرسة في فقه الجهاد تتخرج فيها مواكب المرابطين في كل زمان ومكان.

MEDIA-MER
MEDENİYET İNCELEME ARAŞTIRMA VE EĞİTİM DERNEĞİ
مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب
مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب